سلسلة مؤلفات السيد الدّيباجي المطبوعة

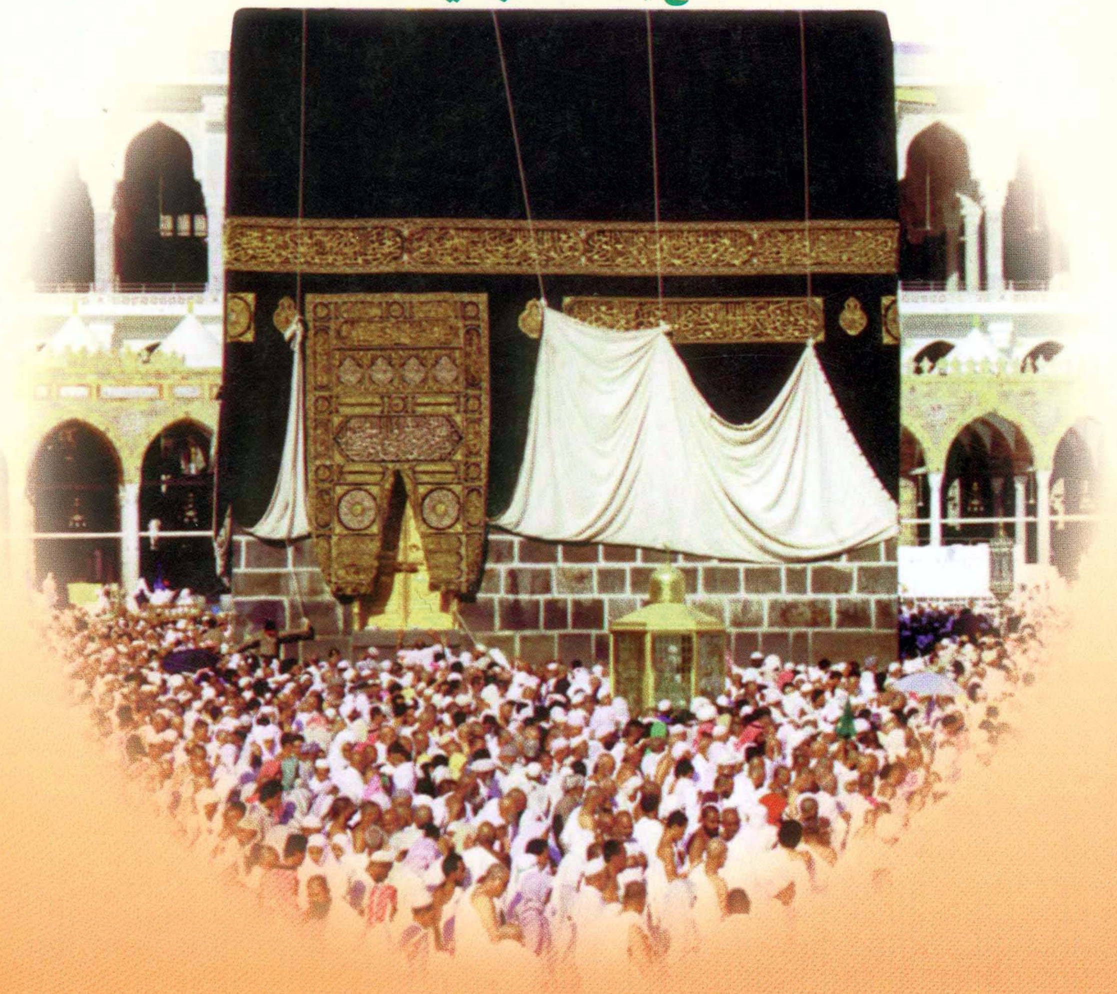
(٤٤)

﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾

الحَجّ

أحكاماً وفلسفةً ودُعاءً

مع إضافات جديدة



السيّد أبو القاسم الدّيباجي



مع إضافات جديدة

تأليف
السيّد أبو القاسم الدّيباجي

الطبعة الالكترونية الاولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م



الإهداء

إلى من ابتغى في حجِّه وجه اللّٰه تبارك وتعالى.

إلى من قصد الحج من أجل الحج.

إلى المسافر إلى اللّٰه تبارك وتعالى، ساعياً نحو ضيافته، مبتغياً رضاه وحده

أهدي هذا الجهد المتواضع.

المؤلف

مقدمة

الحمد لله منتهى حمده وغايته والثناء عليه أعظم الثناء ورفعته، رب الأرباب وخالق العباد الرؤوف الرحيم، تبارك وتعالى رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى ورحمته المهداة إلى العالمين، النبي الأمّي، صاحب الشفاعة الكبرى والمنزلة العظمى محمد بن عبدالله صلّى الله عليه وعلى أهل بيته المعصومين، أمناء الله تعالى في أرضه وحججه على عباده ورحمة الله وبركاته.

وبعد،

فقد يكون في الذهاب إلى القول بأن المناسك العبادية المتعددة التي تؤدّي خلال أداء فريضة الحج الإلهية العظيمة، ورغم كل ما كُتِب وأُلِّف وقيل وسُطِّر في تلمُّس وإيضاح الجوانب المختلفة من حِكَمِها وأبعادها، لازالت حينما يتدبر المرء فيها يكتنز الكثير الكثير من الأسرار والحِكم والمناهج التربوية السماوية التي كان ولازال وسيبقى المؤمنون وهم يؤدونها يتزودون من مناهلها رغم تقادم الدهور وتوالي العصور.

نعم، فإن الإسلام وهو خاتمة الأديان السماوية والرافد العظيم الذي امتد منذ خلْق البشرية كالبحر العظيم والذي تفرعت منه العديد من السواقي والأنهار و بمسميات مختلفة، أعطت الأمم السالفة ما يتواءم وظروفها وحاجاتها يبقى إلى أن يرث الله تبارك وتعالى الأرض ومن عليها ذلك المنهل العظيم الذي يستطيع طلاب النجاة الاستقاء منه ما أرادوا، لدنياهم وآخرتهم، دون أن ينقص منه شيء أو يبدو عليه الهزال كما نراه عيانا في جميع الأفكار والأطروحات الوضعية التي يبلو ثوبها ويتهرأ بتقادم الأيام.

نعم، هذا هو السر العظيم الذي ينطوي عليه الدين الإسلامي المبارك الذي جاء به النبي الأمي محمد بن عبدالله (ص) من لدن حكيم خبير.

بلى، فإن الله تبارك وتعالى عندما أذن بنشأة الخلق في هذه المعمورة وجعل من ابن آدم خليفة له في أرضه[١] جعل من هذا المخلوق تلميذا في مدرسة كبيرة ومتكاملة، تستقي مناهجها الدراسية في السماء، لا من الأرض وقيمها التي ما أن تخلّق حتى ينتابها العجز والخوار فتتهاوى وتتردى[٢].

إن تلك المدرسة العظيمة هي الدين الإسلامي المبارك، الذي لا بديل له ولا نظير: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ [٣] ، والذي كان ومازال وسيبقى يفيض علينا من البركات والنعم ما لا عد له ولا حصر ، وبأشكال مختلفة تتجدد مع الأيام والسنين، ولكن لمن أراد ذلك وابتغاه.

وإذا كان الحج الذي يُعَدّ من المناهج الدراسية العظيمة التي تدرّس في هذه الجامعة الضخمة قد أعلن عن وضع حجره الأساسي خليل الرحمن إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وأذّن بالناس معلنا عن قيامه حيث أمره الله تبارك وتعالى بقوله: (وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ...)[٤]، فإن رسول الله الكريم محمد بن عبدالله (ص) قد جعل هذا المنهج العظيم - بأمر من الله تعالى - سُنّة واجبة، يجب على جميع المسلمين اتباعها والتزود من معارفها والسير في منهج من سبقهم من الأنبياء والصالحين، حتى أنه قال (ص) : «قد حجَّ قبلي هذا البيت سبعون ألف نبي»[٥].

وهكذا فإن هذه السُنّة الحميدة الواجبة قد أصبحت بمناسكها المختلفة بابا مفتوحا للاستزادة من المعارف الإلهية والحكم السماوية، رغم ما رتّب الله تبارك وتعالى لها من الأجر العظيم والثواب الجزيل، حتى أنه روي أن رجلا من المسلمين سأل رسول الله (ص) عن أي عمل إذا عمله يعادل أجر الحاج، فأجابه (ص) بقوله: «انظر إلى هذا الجبل - أي جبل قبيس - لو أنفقت زنته في سبيل الله تعالى ما أدركت فضل الحاج»[٦].

بل وروي عن الإمام الصادق (ع) أن رجلا سأله: عتق رقبة أفضل أم حجة؟! فأجابه $ (ع): «حجة»، ولم يزل هذا الرجل يزيد والصادق (ع) يزيد حتى قال الرجل: ثلاثين رقبة؟! فقال (ع): «الحج أفضل»![٧].

وغير ذلك من الروايات الصحيحة المنقولة عن أهل بيت العصمة (ع)[٨].

وبالرغم مما رتب الله تبارك وتعالى لهذه الفريضة المقدسة من الأجر والثواب العظيمين، فإنه جل اسمه قد دعا هذا المؤمن الحاج إلى بيته للتدبر في مناسكه المختلفة والاستفادة من الدروس المستوحاة من هذه الشعائر، ليتضاعف له الأجر ويتعاظم له الثواب، كما هو حال غيره من الفرائض العبادية المختلفة.

قال الله تبارك وتعالى: (وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ

عميقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ...)[٩].

وللمؤمن الحاج أن يتدبر في هذه المنافع الروحية والمادية التي يمنُّ الله تبارك وتعالى بها على حجاج بيته الحرام، وحيث يترك حرية التزود بها لمن أراد ذلك وأعد له عدته[١٠].

إن الملايين من حجاج هذا البيت الحرام، والذين يفِدون عليه كل عام من كل حدب وصوب، متحملين مشاق السفر ووعثاء الطريق، مخلِّفين الأهل والأوطان في رحلة قدسية مباركة ربما تمتد لآلاف الكيلومترات، قد امتثلوا لأمر الباري جل اسمه حين يقول: (... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً...)[١١]، ومؤدين لجملة من المناسك العبادية المختلفة، وفي أيام معدودة، لابد لهم أن يرتبوا سفرهم وينظموا عبادتهم وفق المناهج المرسومة لهم من قِبَل المشرِّع الإسلامي الحكيم، ولا يأتي لهم ذلك إلا من خلال الفهم السليم لجملة الأحكام التي تتصدى لإيضاحها كتب الفقه المختلفة لعلمائنا الأبرار، ومنذ القرون الأولى للبعثة النبوية المباركة، كما في كتاب مناسك الحج المنسوب إلى علي بن جعفر الصادق (ع) وغيره كأبي بصير يحيى بن القاسم الأسدي، وحيث بدأت أولى ملامحه الواضحة تتبلور في القرن الثالث الهجري كما في كتاب المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي والذي جمع جملة من الأحاديث والروايات الخاصة بالحج، وكذا كتاب وجوب الحج لأبي النضر محمد بن مسعود العياشي وغيرهما.

وفي القرن الخامس الهجري كان الشيخ المفيد وابن البرّاج رحمهما الله تعالى من أبرز من كتب في هذا الموضوع وخصص له كتبا مستقلة، ومن ثم يصبح الحديث عن الحج ومناسكه من الأبواب الثابتة التي لا تخلو منها جميع الكتب الفقهية والرسائل العملية التي يلحقها معظم الفقهاء بكتب مستقلة خاصة بمناسك الحج كما هو واضح ومعلوم.

ومن هنا فإن كتابنا هذا الماثل بين يدي القارئ الكريم يمثل واحدة من تلك الثمرات التي تستقي وجودها من العطاء المقدس للشريعة الإسلامية المباركة، والمسترشدة خطواتها من مدرسة أهل بيت العصمة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

ونحن في كتابنا هذا حاولنا أن نقدم جهدا جديدا لا يمثل حالة مكررة للكتب الكثيرة التي تزدان بها المكتبة الإسلامية، من حيث الترتيب والتنظيم والإعداد، حيث عمدنا إلى تحديد النقاط التالية:

أولا: إيضاح الأحكام الفقهية لمناسك الحج المختلفة، كل واحدة منها بشكل واضح مختصر، مراعين في ذلك سهولة العبارة ومتجنبين فيه الالتباس قدر الإمكان، ليسهل للقارئ إدراك الحُكم الخاص بكل منسك بسهولة ويسر.

ثانيا: إيضاح الفلسفة الخاصة بهذا المنسك، محاولين قدر الإمكان تقوية الرابطة الروحية بين الحاج ومايؤديه من أعمال باعتبار هذه الأعمال مناهج دراسية مختلفة في مدرسة الحج الكبرى التي تستقي علومها من الشريعة الإسلامية المباركة.

ثالثا: تخصيص جانب من الكتاب لاستعراض بعض الأدعية الخاصة بالأعمال التي يؤديها الحاج، ابتداءً من خروجه متوجها إلى الحج ومروراً بمناسك الحج المختلفة وانتهاءً بعودته إلى أهله ودياره.

رابعا: تخصيص الجانب الأخير من الكتاب بالزيارات الملحقة بالحج، منها زيارة رسول الله ، وزيارة أهل بيته الطيبين#، وكذلك زيارة المساجد والأماكن المتبركة والمقدسة كمسجد قباء والفضيخ والغدير وغيرها.

وختاما نضع هذا الكتاب المتواضع بين يدي القارئ الكريم متوخين من الله تبارك وتعالى أن يجعله وسيلة نافعة يسترشد بها حجاج بيته الحرام في التعرف على ما يتعلق بمناسك حجهم المختلفة، وسائليه جل اسمه أن يجعله ذخرا لنا يوم تنشر فيه صحائف الأعمال، إنه نعم المولى ونعم النصير.

مدخل في الحج وأحكامه

ثبت الحج على المستطيع القادر، وأنه ركن من أركان الإسلام، كالصلاة والصوم، مَن تركه مع الاستطاعة كان عاصيا، ومن أنكره فقد خرج عن ربقة الإسلام، بأكثر من دليل، سواء كان من القرآن الكريم أو السنة المطهرة، وعلى ذلك إجماع المسلمين دون أي خلاف، لأنه ليس محلا للاجتهاد أو خاضعا للتقليد.

فمن الآيات القرآنية الحاثة على أدائه قوله تعالى:

(... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)[١٢].

وقوله تعالى:

(وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عميقٍ)[١٣].

وقوله جل اسمه:

(وأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ..)[١٤].

وأما الروايات المنقولة عن أهل بيت العصمة(ع) فهي من الكثرة والسعة بحيث يعسر حصرها واستقصاؤها، ونحن هنا نشير إلى جملة من تلك الروايات الشريفة:

روى الكليني في الكافي عن أبي جعفر(ع) قوله: «بُنِي الإسلام على خَمْس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية...»[١٥].

وروى الصدوق في خصاله عن أبي جعفر(ع) عن رسول الله(ص) أنه قال: «بُنِيَ الإسلام على عشرة أسهم: على الشهادة أن لا إله إلا الله وهي الملة، والصلاة وهي الفريضة، والصوم

وهي الجُنَّة، والزكاة وهي الطُهر، والحج وهي الشريعة...»[١٦].

وروى الكليني عن أبي عبدالله(ع) وقد سُئل عن الدين الذي افترض الله على العباد، ما لا يسعهم جهله ولا يقبل غيره، ما هو؟! فقال(ع): «شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله(ع)، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا...»[١٧].

وفي نهج البلاغة أن الإمام علي بن أبي طالب(ع) كتب إلى عامله على مكة: «فأقم للناس الحج، وذكّرهم بأيام الله تعالى»[١٨].

وفي الكافي عن أبي عبدالله(ع) أنه قال: «لو أنَّ الناس تَرَكوا الحجَّ لكان على الوالي أن يجْبُرَهم على ذلك»[١٩].

وفي موضع آخر منه أنه(ع) قال: «لو عطَّل الناس الحجَّ لَوَجَبَ على الإمامِ أن يجبرَهم على الحجِّ إن شاءوا وإن أبَوْا، فإنَّما هذا البيت وُضع للحجِّ»[٢٠].

مقدمة فلسفة الحج

عندما نبحث في فلسفة الحج فإن هذا لا يعني قطعاً أننا للاستفادة من معطيات هذا البحث وثمراته يجب علينا الذهاب فعلا إلى الحج وتلمُّس ذلك عيانا كنتيجة لازمة لإدراك البعد العظيم له.

كلا لا نقول ذلك، فإن لذلك أوجه مختلفة ومتعددة، فصلاتك كل يوم هو حجك، عملك وغسلك وخمسك وكل شيء إنما هو حجك في أي يوم وفي أية ساعة.

وفي معرفة دور الحج وأهميته يمكن معرفة سر يختص به وينفرد به:

هل تأملت في بعض الروايات المختلفة حينما تشير إلى أهمية جملة من العبادات والأعمال بمقارنتها بالحج، كصوم يوم ما، كأن تذكر أنها تعادل ألف حجة وعمرة، أو مائة حجة وعمرة، وكأن الحج ميزان لتقييم الأعمال والمستحبات، فهل تأملت في السر لتدرك مبلغ هذه العبادة العظيمة التي تقترن بها كثير من العبادات!!

إن قضية الحج في الآيات القرآنية المباركة إنما هي من المتشابهات، وبذلك نستطيع كل عام وكل يوم أن نستلهم من الحج فلسفة جديدة وروحانية كما ورد في تلك الآيات القرآنية.

أخي الحاج، لقد منَّ الله سبحانه وتعالى عليك أن هيأ لك السبل والأسباب، ووفّقك ودعاك دعوة حقٍّ إلى زيارة بيته الحرام، يريد بذلك أن يخلق منك إنسانا جديدا، ويحيي قلبك بعدما أفنيتها في مهابط الدنيا الدنية، ويناديك ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ...﴾[٢١]، فاستجب أيها المؤمن دعوة الله تعالى بقلبك وروحك، وجرِّدهما من كل تعلّق، واقبل على ربك بخلوص النية وكمال المعرفة وتمام اليقين، لتصل بنفسك إلى معالي الدرجات التي أعدها الله تبارك وتعالى لعباده المخلصين.

أيها المسافر إلى الله تعالى، تأمل في حديث مولانا الإمام الصادق(ع)، وانظر إليه بعين

القلب، واجعله زاداً لك في هذا السفر الروحاني والهجرة الملكوتية إلى الله تبارك وتعالى:

يقول سيدنا ومولانا الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام:

إذا أردتَ الحجَّ فجرِّد قلبَك لله مِنْ قبْلِ عزمِكَ من كلِّ شاغلٍ، وحجابِ كلِّ حاجبٍ، وفوِّض أمورَك كلَّها إلى خالقِك، وتوكَّل عليه في كلِّ ما يظهر من حركاتِك وسكناتِك، وسلِّمْ لقضائه وحُكْمِه وقدَرِه، وودِّع الدنيا والراحةَ والخلقَ، واخرجْ من حقوقٍ تُلْزِمُك من جهةِ المخلوقين، ولا تعتمدْ على زادِك وراحلتِك وأصحابِك وقوَّتِك وشبابِك ومالِك مخافةَ أن يصيرَ ذلك عدوًّا ووبالاً، ثم يقول (ع): من ادَّعى رضا الله واعتمدَ على شيءٍ سواه صيَّرَه عليه عدواً ووبالاً ليعلمَ أنه ليس له قوةٌ ولا حيلةٌ ولا لأحدٍ إلا بعصمةِ الله وتوفيقِه، واستعِدْ استعدادَ من لا يرجو الرجوعَ، وأحْسِن الصحبة، وراعِ أوقاتَ فرائضِ الله وسُنَنَ نبيِّه صلى الله عليه وآله، وما يجبُ عليك من الأدبِ والاحتمالِ والصبرِ والشكرِ والشفقةِ والسخاءِ وإيثارِ الزادِ على دوامِ الأوقاتِ، ثم اغسِلْ بماءِ التوبةِ الخالصةِ ذنوبَك، والْبِسْ كِسْوةَ الصدقِ والصفاءِ والخضوعِ والخشوعِ، وأحْرِمْ عن كلِّ شيءٍ يمنعُك من ذكرِ الله ويحجُبُك عن طاعتِه، ولَبِّ بمعنى إجابةٍ صافيةٍ خالصةٍ زاكيةٍ لله عَزَّ وجَلَّ في دعوتِك متمسِّكاً بالعُروة الوثقى، وطُفْ بقلبِك مع الملائكةِ حول العرشِ كطوافِك مع المسلمين بنفسِك حول البيت، وهَرْوِلْ هَرَباً من هواك وتبرِّياً من جميع حولِك وقوَّتِك، واخْرُجْ عن غفلتِك وزلاَّتِك بخروجِك إلى مِنى، ولا تتمنَّ ما لا يحِلُّ لك ولا تستحقُّه، واعترفْ بالخطايا بعرفاتٍ، وجدِّد عهدَك عند الله بوحدانيَّتِه، وتَقَرَّبْ إلى الله واتَّقْهِ بمزدلفة واصعدْ بروحِك إلى الملأ الأعلى بصعودك إلى الجبلِ، واذبَحْ حنجرةَ الهوى والطمع عند الذبيحةِ، وارْمِ الشهوات والخساسةَ والدناءةَ والأفعالَ الذميمةَ عند رمْيِ الجمرات، وأحْلِقْ العيوبَ الظاهرةَ والباطنةَ بحلْقِ شَعْرِك، وادخلْ في أمانِ الله وكَنَفِه وستره وكلاءته من متابعةِ مرادِك بدخولك الحَرَم، وزُرْ البيتَ متحققاً لتعظيمِ صاحبِه ومعرفةِ جلالِه وسلطانِه، واستلِمْ الحجرَ رضاءً بقسمتِه وخضوعاً لعزَّتِه، وودِّعْ ما سواه بطوافِ الوداع، واصْفِ روحَكَ وسِرَّكَ للقاءِ الله يومَ تلقاه بوقوفِك على الصفا، وكن ذا مُرُوَّةٍ من الله نَقِيًّا أوصافك عند المَروة، واسْتقِمْ على شَرطِ حجَّتِك ووفاءِ عهدِك الذي عاهدتَ به مع ربِّك وأوجبْتَ له إلى يومِ القيامة، واعْلَمْ بأن اللّهَ تعالى لم يفترضْ الحجَّ ولم يخُصَّه مِن جميعِ الطاعاتِ بالإضافةِ إلى نفسِه بقولِه عزَّ وجلَّ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[٢٢] ولا شَرَعَ نبيُّه صلَّى الله عليه وآلِه سُنَّةً في خلال المناسكِ على ترتيب ما شَرَعَه إلا للاستعدادِ والإشارةِ إلى الموتِ والقبرِ والبعثِ والقيامة وفَصْلِ بيانِ السابقةِ من الدخولِ في الجنَّةِ أهلُها ودخولِ النارِ أهلُها بمشاهدةِ مناسكِ الحجِّ من أوّلِها

إلى آخرِها لأولي الألباب وأولي النهى»[٢٣].

أخي الحاج، إدراك فلسفة الحج يعتبر في ذاته أهم من أحكام الحج، فالمؤمن إذا وقف للصلاة وهو لا يدرك ماهية الصلاة وذاتها وباطنها وجوهرها وحكمتها، يكون كالمؤدي للأفعال دون الروح فتصبح لا قيمة لها.

المهم هو باطن الصلاة، ويجب على الإنسان أن يحب ملكوت الصلاة، وكذا الحج، فعليه أن يصبح صديقا مع باطن الحج مادام حيا، وإذا زار بيت الله وحج حجا عرفانيا يكون هذا الحج حيا طوال حياته.

ومن ثم نتساءل: كم من الناس يسافرون إلى بيت الله الحرام لأداء مناسك الحج في كل عام؟! بل وكم منهم سافر طوال القرون الماضية؟!

لعل الجواب أوضح من أن يحتاج إلى تفصيل، فهم أكثر من أن يحصى عددهم، ويقدّر مجموعهم، بيد أن السؤال الأهم هو كم منهم استفاد من فلسفة الحج وروح الحج؟!

نعم، هذا هو بيت القصيد، ولولا معرفة فلسفة الحج لما كان الحج حجا قطعا.

كما تعلمون أن قوافل الحج كثيرة تنحدر كلها إلى مكة المكرمة وإلى بيت الله الحرام لتأدية المناسك، ولكن وكما قال الإمام الصادق(ع): «ما أكثر الضجيج والعجيج وأقل الحجيج»!![٢٤]

روي أنه لما رجع مولانا الإمام زين العابدين(ع) من الحج استقبله الشبلي، فقال(ع) له: حججت يا شبلي؟! قال: نعم يا ابن رسول الله، فقال(ع):... حين نزلت الميقات نويت أنك خلعت ثوب المعصية ولبست ثوب الطاعة؟! قال: لا، قال (ع): فحين تجردت عن مخيط ثيابك نويت أنك تجردت من الرياء والنفاق والدخول في الشبهات؟! قال: لا، قال(ع): فحين اغتسلت نويت أنك اغتسلت من الخطايا والذنوب؟! قال: لا... ثم قال(ع): حين تنظفت وأحرمت وعقدت بالحج نويت أنك تنظفت بنورة التوبة الخالصة لله تعالى؟! قال: لا، قال(ع): حين أحرمت نويت أنك حرمت على نفسك كل محرَّم حرمه الله عز وجل؟! قال: لا، قال: حين لبيت نويت أنك نطقت لله سبحانه بكل طاعة وصمت عن كل معصية؟! قال: لا...

وأخذ الإمام(ع) يعدد له المناسك منسكا تلو الآخر ويسأله عن معرفته حقائقها وفلسفتها وهو يقول لا، فقال له الإمام(ع): ارجع فإنك لم تحج!!!

فطفق الشبلي يبكي على ما فرطه في حجه ومازال يتعلم حتى حج من قابل بمعرفة ويقين[٢٥].

لو تأملنا في هذه الرواية وغيرها من الروايات في هذا المضمون لأدركنا بوضوح وجلاء أن للحج فلسفة لا يدرك حقيقتها إلا من أدرك أبعادها وجوهرها، راجع كتاب الحج من كتاب «وسائل

الشيعة» للحر العاملي رحمه الله تعالى وتأمل في كثير من رواياته المتخصصة بهذا الجانب لتدرك أبعاد هذا الأمر العظيم.

ثم لنجعل من سيرة أئمتنا الأطهار(ع) سنّة متبعة في حياتنا وفي عباداتنا، ومنها الحج، وذلك أنجع السبل لاكتساب مرضاة الباري جل اسمه.

نحن نرى أن أئمتنا(ع) لهم مسالك عظيمة في ابتغاء مرضاة الله عز وجل في أدائهم لمناسك الحج. فهذا الإمام الحسن المجتبى(ع) يتجه إلى زيارة بيت الله تعالى ماشيا وحافيا، وبالتأكيد هذا العمل لا يخلو من سر، ولكن لماذا نحن غافلين عنه؟! كم مرة سافرت إلى زيارة بيت الله الحرام؟! هل عرفت هذه الأسرار؟! وإذا كنت عرفتها هل استفدت منها؟! أم دخلت في المطاف دون أن تبصر وخرجت منها كذلك ورجعت إلى بلدك كذلك؟!

فما هو الحج؟! وما هو الإحرام والتلبية؟! وما هي فلسفته وأسرار ه؟! حينما نرى أن الإمام زين العابدين عليه أفضل صلوات المصلين يخاف من هيبة التلبية ويخر مغشيا عليه، ألا تساءلت لِمَ لَمْ تنتابك هذه الهيبة حين التلبية ولَمْ تلامس قلبك، بينما كان علي بن الحسين(ع) ترتعد فرائصه؟! فما السر في التلبية؟!

كل الناس لبّوا وذهبوا وبقي الإمام(ع) ولم يلبِّ فقيل له: يا ابن رسول الله، لِمَ لَمْ تلبِّ؟! فقال$: «خشية أن يقول لي لا لبَّيك ولا سَعْدَيك»!![٢٦]

نعم، هذا هو السر الذي ينبغي أن نلتفت إليه ولا تطويه عنا الغفلات.

فهذا الإمام المعصوم الطاهر يقول ذلك بقلب وجِلٍ خائفٍ، فكيف بنا وقد غطتنا ذنوبنا وآثامنا وأوزارنا!!

إن الإمام علي بن الحسين(ع) وأئمتنا بأجمعهم وعلماءنا يقومون بإطفاء النار حين العبادة وحين الصلاة وحين الحج وحين الطواف، فإذا عرفت هذه الفلسفة تستطيع أن تعرف ما هو الحج وما هي مناسك الحج، وغير ذلك فهو تعب بلا أثر.

وكما نقول بأن للعبادات آداب وأحكام وأسرار، هكذا الأمر بالنسبة للذنوب، فإذا لم تعرف سر الذنب تذنب، ولكن إذا عرفت سر الذنب يستحيل أن تذنب، ما هو باطن الطواف وباطن العبادة وباطن الثواب؟! أليس هو الجنة!! وجنة العارف هي جنة اللقاء، وما هو باطن الصلاة؟! أليس هو لقاء الله سبحانه وتعالى!! كذلك الحال لباطن الذنوب والمعاصي، أليس هو النار!!

هذا العبد إذا التفت إلى هذا الباطن، مستحيل أن يذنب، والله سبحانه وتعالى يقول في محكم كتابه الكريم: (كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ)[٢٧].

روي عن أبي عبدالله الصادق(ع) أنه قال: أن رسول الله(ص) صلّى بالناس الصبح، فنظر إلى شاب[٢٨] في المسجد يخفق ويهوي برأسه مصفر لونه نحيف جسمه وغارت عيناه في رأسه، فقال له رسول الله(ص): «كيف أصبحت؟!» فقال: أصبحت يا رسول الله موقناً!! فعجب رسول الله من قوله وقال له: «إن لكل شيء حقيقة، فما حقيقة يقينك؟!» فقال: إن يقيني هو أحزنني وأسهر ليلي وأظمأ هواجري فعزِفَت نفسي عن الدنيا وما فيها حتى كأني أنظر إلى عرش ربي وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتنعمون فيها ويتعارفون على الأرائك، وكأني أسمع زفير النار يعزف في مسامعي...

فقال رسول الله(ص): «هذا عبْدٌ نوَّر الله قلبَه للإيمان»، ثم قال صلى الله عليه وسلم للشاب: «الْزَمْ ما أنتَ عليه»!![٢٩].

ما الفرق بينك وبين هذا الصحابي الجليل؟!

هذا الرجل لم يكن إماما معصوما بل صحابيا من أصحاب رسول الله(ص)، فلماذا أنت لا ترى النار ولا ترى الجنة؟!

إذاً كيف يكون الإنسان مصداقا حقيقيا لقوله تبارك وتعالى: (كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ)؟!

إن جواب ذلك أيسر من أن يحتاج إلى مراجعة، نعم يمكنه أن يكون كذلك إذا كان عبدا مخلصا لله عز وجل، وهذه خاصية العرفان، إذا عرفت أسرار الذنوب وأحكامها وأبواب الرجوع والتوبة إلى الله وآدابها، يمكنك أن ترى جنتك.

لابد لنا قبل أن ننظر إلى المناسك على أنها فقه مطلق يجب أن نوجه أنظارنا إليها من زوايا فكرية أخرى، لأن المسألة الفكرية تختص بسير الفكر إلى الله تعالى، وهو مراد العابدين ودليل القاصدين إلى مرضاة رب العالمين.

شرائط وجوب حج الإسلام

إن الحج الواجب لا يلزم به المسلم إلا إذا توفرت فيه ولديه من الشروط الواضحة والمحددة، والتي عند انتفائها ينتفي هذا الوجوب.

ويمكن إجمال هذه الشروط فيما يلي:

الشرط الأول: البلوغ

حيث أن عدم توفر هذا الشرط في الحاج لا يلغي عنه الواجب مع حصوله بعدئذ.

قال الإمام الصادق$: «لو أنَّ غلاما حج عشر حجج، ثم احتلم كانت عليه فريضة الإسلام»[٣٠].

فلا يجب على غير البالغ وإن كان مراهقا.

الشرط الثاني: العقل

فلا يجب الحج على المجنون، وإن كان إدواريا وذلك لأن القاعدة الثابتة أنه متى أخذ ما وهب سقط ما وجب.

الشرط الثالث: الحرية

فلا يجب الحج على المملوك ولو كان مستطيعا، ومأذونا من قِبل المولى، ولو حج بإذن مولاه صحَّ، ولكن لا يجزيه عن حجة الإسلام، فتجب عليه الإعادة إذا كان واجدا للشرائط بعد العتق.

الشرط الرابع: الاستطاعة

ويُعد هذا الشرط من أهم شروط الحج، فالباري جل اسمه قرن وجوب الحج بتوفره حيث قال تعالى: (... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً..)[٣١].

وتعتبر فيها أمور:

الأول: السعة في الوقت

ومعنى ذلك وجوب القدر الكافي من الوقت للذهاب إلى مكة والقيام بالأعمال الواجبة هناك.

الثاني: الأمن والسلامة

وذلك بأن لا يكون هناك خطر على النفس أو المال أو العرض ذهابا وإيابا.

الثالث: الزاد والراحلة

الرابع: الرجوع إلى الكفاية

وهو التمكن بالفعل أو بالقوة من إعاشة نفسه وعائلته بعد الرجوع

أحكام متعلقة بالحج

الزوجة

إذا توفرت الشروط المذكورة في ولَدَى الزوجة فإنه يجب عليها الحج، سواء أذن لها زوجها بذلك أم لم يأذن، كما هو حال الصلاة والصوم والزكاة.

سُئل الإمام الصادق(ع) عن امرأة لها زوج وهي صرورة (أي لم تحج حجة الإسلام) تريد الحج ولا يأذن لها في الحج، فقال(ع): «تحج وإن لم يأذن لها»[٣٢].

الحج ونذر الزيارة

وأما إذا ما نذر أن يزور الإمام الحسين(ع) في كل يوم عرفة مثلا، واستطاع بعد ذلك وجب عليه الحج وانحل نذره، وكذلك كل نذر يزاحم الحج.

الوفاة بعد الإحرام: وأما من استقر عليه الحج وتوجه لأداء مناسكه ثم أدركته الوفاة بعد أداء الإحرام في الحرم، أجزأه ذلك عن حجة الإسلام، سواء في ذلك حج التمتع أو القران أو الإفراد.

قال الإمام الباقر(ع) في رجل خرج حاجا حجة الإسلام، ثم أدركته الوفاة في الطريق: «إن مات في الحرم فقد أجزأت عن حجة الإسلام، وإن مات دون الحرم فليقض عنه وليّه حجة الإسلام»[٣٣].

الوصية بالحج

تجب الوصية على من كانت عليه حجة الإسلام وقرب منه الموت، فإن مات تقضى من أصل تركته وإن لم يوصِ بذلك، وكذلك إن أوصى بها ولم يقيدها بالثلث، وإن قيّدها بالثلث فإن وَفّى الثلث بها

وجب إخراجها منه وتقدم على سائر الوصايا، وإن لم يوفِّ الثلث بها لزم تتميمه من الأصل.

النيابة

أجمع الفقهاء على أن النيابة في الحج جائزة، وتقع صحيحة إذا توفرت الشروط في النائب والمنوب عنه، والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

الشروط الواجب توفرها في النائب:

الأول: البلوغ، فلا يجزئ حج الصبي عن غيره في حجة الإسلام.

الثاني: العقل، فلا تجزئ استنابة المجنون.

الثالث: الإيمان، فلا عبرة بنيابة غير المؤمن، وإن أتى بالعمل على طبق مذهبنا.

الرابع: أن لا يكون النائب مشغول الذمة بحج واجب عليه في عام النيابة.

كما يعتبر في فراغ ذمة المنوب عنه إحراز عمل النائب والإتيان به صحيحا، فلابد من معرفته بأعمال الحج وأحكامه.

الشروط الواجبة في المنوب عنه:

يشترط به أن يكون مسلما، فلا تصح النيابة عن الكافر، فلو مات الكافر مستطيعا وكان الوارث مسلما لم يجب عليه استئجار الحج عنه.

كما يعتبر في صحة النيابة تعيين المنوب عنه بوجه من وجوه التعيين.

وأما إذا مات النائب قبل أن يحرم لم تبرأ ذمة المنوب عنه، فتجب الاستنابة عنه ثانية فيما تجب الاستنابة فيه.

وأخيرا فإن الثابت الذي لا خلاف فيه وجوب الحج على المستطيع بعينه، ولا يجزئ عنه حج غيره تبرعا أو بإجارة بعد ذلك.

العمرة

العمرة لغويا تعني الزيارة وشرعا زيارة بيت اللّٰه الحرام لأداء المناسك المتعلقة بها.

أقسام العمرة : تنقسم العمرة إلى نوعين:

١- العمرة المفردة

٢- عمرة التمتع

العمرة المفردة تشترك مع عمرة التمتع في أعمالها (وسيأتي بيان ذلك)، وتفترق عنها في أمور يمكن إجمالها فيما يلي:

١- أن العمرة المفردة يجب لها طواف النساء، ولا يجب ذلك لعمرة التمتع.

٢- عمرة التمتع لا تقع إلا في أشـهر الحج وهي: شوال، ذو القعدة، وذو الحجة، وتصح العمرة المفردة في جميع الشهور، وأفضلها شهر رجب وبعده شهر رمضان.

٣- ينحصر الخروج عن الإحرام في عمرة التمتع بالتقصير فقط، ولكن الخروج عن الإحرام في العمرة المفردة قد يكون بالتقصير وقد يكون بالحلق.

٤- يجب أن تقع عمرة التمتع والحج في سنة واحدة على ما يأتي، وليس كذلك في العمرة المفردة، فمن وجب عليه حج الإفراد والعمرة المفردة جاز له أن يأتي بالحج في سنة والعمرة في سنة أخرى.

وكما تجب العمرة المفردة لمن أراد أن يدخل مكة فإنه لا يجوز الدخول فيها إلا محرماً.

أقسام الحج

يذهب الفقهاء إلى أن أقسام الحج ثلاثة:

حج التمتع

حج الإفراد

حج القران

والأول فرض من كان البعد بين أهله والمسجد الحرام أكثر من ستة عشر فرسخا، والآخران من كان أهله حاضري المسجد الحرام بأن يكون البعد بين أهله والمسجد الحرام أقل من ستة عشر فرسخا.

حج التمتع

يتألف هذا الحج عن عبادتين: تسمى أولاهما بالعمرة والثانية بالحج، ويجب الإتيان بالعمرة فيه قبل الحج.

وتجب في عمرة التمتع خمسة أمور:

١- الإحرام من أحد المواقيت، وسيأتي تفصيلها إن شاء اللّٰه تعالى.

٢- الطواف حول البيت.

٣- صلاة الطواف.

٤- السعي بين الصفا والمروة.

٥- التقصير.

وإذا أتى الحاج بهذه الأمور فقد حل له كل شيء، حتى النساء، وهي ما تسمَّى بالعمرة التي يتمتع

بها إلى الحج.

كما أنه يجب على المكلف أن يتهيأ لأداء وظائف الحج فيما إذا قرب منه يوم التاسع من ذي الحجة الحرام، وواجبات الحج ثلاثة عشر، وهي كما يلي:

١- الإحرام من مكة (على تفصيل يأتي إن شاء الله تعالى).

٢- الوقوف في عرفات ظهر اليوم التاسع إلى المغرب، وتقع عرفات على بعد أربعة فراسخ من مكة.

٣: الوقوف في المزدلفة يوم عيد الأضحى من الفجر إلى طلوع الشمس.

٤- رمي جمرة العقبة في منى يوم العيد، ومنى على بعد فرسخ واحد من مكة تقريبا.

٥- النحر أو الذبح في منى يوم العيد.

٦- الحلق أو أخذ شيء من الشعر أو الظفر في منى، وبذلك يحل له ما حُرِّم عليه من جهة الإحرام، ما عدا النساء والطيب.

٧- طواف الزيارة بعد الرجوع إلى مكة.

٨- صلاة الطواف.

٩- السعي بين الصفا والمروة، وبذلك يحل الطيب أيضا.

١٠- طواف النساء.

١١- صلاة طواف النساء، وبذلك تحل النساء أيضا.

١٢- المبيت في منى ليلة الحادي عشر وليلة الثاني عشر.

١٣- رمي الجمار الثلاث في اليوم الحادي عشر واليوم الثاني عشر، بل اليوم الثالث عشر فيما إذا بات المكلف هناك على الأحوط.

يشترط في حج التمتع أمور:

١- النية بأن يقصد الإتيان بحج التمتع بعنوانه، فلو نوى غيره أو تردد في نيته لم يصح حجه.

٢- أن يكون مجموع العمرة والحج في أشهر الحج، فلو أتى بجزء من العمرة قبل دخول شوال لم تصح العمرة.

٣- أن يكون الحج والعمرة في سنة واحدة، فلو أتى بالعمرة وأخَّر الحج إلى السنة القادمة لم يصح التمتع، ولا فرق في ذلك بين أن يقيم في مكة إلى السنة القادمة أو أن يرجع إلى أهله ثم يعود إليها.

٤- أن يكون إحرام حجه من نفس مكة مع الاختيار.

٥- أن يؤدي مجموع عمرته وحجه شخص واحد عن شخص واحد. فلو استؤجر اثنان لحج التمتع عن ميت أو حي أحدهما لعمرته والآخر لحجه لم يصح ذلك. وكذلك لو حج شخص وجعل عمرته عن واحد وحجه عن آخر لم يصح.

حج الإفراد

وأما حج الإفراد فهو عمل مستقل في نفسه، واجب - كما علمت - على من يكون الفاصل بين منزله والمسجد الحرام أقل من ستة عشر فرسخا.

ويشترك حج الإفراد مع حج التمتع في جميع أعماله و يفترق عنه في أمور:

أولا: يعتبر اتصال العمرة بالحج في حج التمتع ووقوعهما في سنة واحدة -كما مر- ولا يعتبر ذلك في حج الإفراد.

ثانيا: يجب النحر أو الذبح في حج التمتع - كما مر - ولا يعتبر شيء من ذلك في عمرة الإفراد.

ثالثا: إن إحرام حج التمتع يكون بمكة، وأما الإحرام في حج الإفراد فهو من أحد المواقيت - كما سيأتي ذكرها.

رابعا: يجب تقديم عمرة التمتع على حجه، ولا يعتبر ذلك في حج الإفراد.

خامسا: لا يجوز تقديم الطواف والسعي على الوقوفين في حج التمتع مع الاختيار، ويجوز ذلك في حج الإفراد.

سادسا: لا يجوز بعد إحرام حج التمتع الطواف المندوب على الأحوط الوجوبي، ويجوز ذلك في حج الإفراد.

حج القران

يتحد هذا العمل مع حج الإفراد في جميع الجهات، إلا أن القارن يصحب معه الهدي وقت الإحرام، وبذلك يجب الهدي عليه، أما حج الإفراد فلا هدي فيه.

قال الإمام الصادق (ع): «المفرد للحج عليه طواف بالبيت وركعتان عند مقام إبراهيم $ وسعي بين الصفا والمروة وطواف الزيارة - وهو طواف النساء - وليس عليه هدي ولا أضحية»[٣٤].

والإحرام في هذا القسم من الحج كما يكون بالتلبية يكون بالإشعار أو بالتقليد، فإذا أحرم لحج القران لم يجز له العدول إلى حج التمتع.

الإحـرام

مواقيت الإحرام

يراد بها الوقت المضروب للموعد، وقد يستعمل للمكان الذي جعل له وقت معين أيضا، وهو ما نريد التحدث عنه.

وهذه المواقيت وقّتها رسول الله(ص)، ولا يجوز لحاج أن يتجاوزها إلا وهو مُحرِم.

قال الإمام الصادق(ع): «مِن تمام الحج والعمرة أن تحرم من المواقيت التي وقّتها رسول الله(ص)، ولا تجاوزها إلا وأنت محرم»[٣٥].

وهذه المواقيت هي:

١- مسجد الشجرة: ويقع قريبا من المدينة المنورة، وهو ميقات أهل المدينة وكل من أراد الحج عن طريق المدينة.

٢- وادي العقيق: وهو ميقات أهل العراق ونجد وكل من مر عليه من غيرهم، وله أجزاء ثلاثة: المسلخ والغمرة وذات عرق، والأحوط الأولى أن يحرم المكلف قبل أن يصل إلى ذات عرق فيما إذا لم تمنعه عن ذلك تقية أو مرض.

٣- الجحفة: وهي ميقات أهل الشام ومصر والمغرب وكل من يمر عليها من غيرهم.

٤- يلملم: وهو ميقات أهل اليمن وكل من يمر من ذلك الطريق.

٥- قرن المنازل: وهو ميقات أهل الطائف وكل من يمر من ذلك الطريق.

٦- مكة القديمة: وهي ميقات حج التمتع، ويجمع على أن الإحرام منها صحيح ولكن المختلفون في الزيادات التي طرأت على مدينة مكة بأن هل يجوز الإحرام منها أم لا.

٧- المنزل الذي يسكنه المكلف: وهو ميقات من كان منزله دون الميقات إلى مكة.

٨- الجعرانة: وهي ميقات أهل مكة لحج القران والإفراد. وفي حكمهم من جاور مكة بعد سنتين فإنه بمنزلة أهلها.

٩- محاذاة مسجد الشجرة: فإن من أقام في المدينة شهرا أو نحوه وهو يريد الحج ثم بدا له أن يخرج في غير طريق المدينة، إذا سار ستة أميال محاذيا للمسجد ويحرم من محل المحاذاة. وفي التعدي عن محاذاة مسجد الشجرة إلى محاذاة غيره من المواقيت بل عن خصوص المورد المذكور إشكال، بل الظاهر عدم التعدي إذا كان الفصل كثيرا.

١٠- أدنى الحِلّ: وهو ميقات العمرة المفردة بعد حج القران أو الإفراد. بل لكل عمرة مفردة لمن كان بمكة وأراد الإتيان بها، والأفضل أن يكون من الحديبية أو الجعرانة أو التنعيم.

أحكام المواقيت

يجب على المكلف التيقن من وصوله إلى الميقات والإحرام من عنده، أو يكون ذلك عن اطمئنان أو حجة شرعية، ولا يجوز له الإحرام عند الشك في وصوله إلى الميقات.

ثم أنه لا خلاف بين الفقهاء في أنه لا يجوز الإحرام قبل الميقات إلا في حالتين:

الأولى: أن ينذر الإحرام قبل الميقات، فإنه يصح ولا يلزمه التجديد في الميقات، ولا المرور عليه. إلا أنه لو خالف نذره وأحرم من الميقات لم يبطل إحرامه، ووجبت عليه كفارة مخالفة النذر إذا كان متعمدا.

الثانية: إذا قصد العمرة المفردة في رجب، ويخشى إن أخَّر إحرامه إلى الميقات أن ينتهي شهر رجب، فيجوز له في هذه الحالة أن يحرم قبل الميقات.

وكما لا يجوز تقديم الإحرام على الميقات، فإنه لا يجوز تأخيره عنه أيضا، فلا يجوز لمن أراد الحج أو العمرة أو دخول مكة أن يتجاوز الميقات اختيارا إلا محرما، ولو نسى إحرام الحج ولم يذكر حتى أتى بجميع أعماله صح حجه، وكذلك الجاهل.

فلسفة الميقات

قد تراود المرء جملة من التساؤلات عن ماهية فلسفة الميقات، وهو أمر لا مناص من التسليم بصوابه عند اعتماده المنهج العلمي السليم في البحث والدراسة.

وإذا كنا نحاول استعراض جوانب محددة من تلك الأبعاد البعيدة الغور، فإن في ذلك الاستطراق العابر ما يلقي شيئا من الإضاءة على هذا الأمر.

ومن هنا فإننا سنحاول التعرض لتلك الجوانب المذكورة من خلال مباحثها المتعددة الأطراف، وهي:

الفلسفة الأولى: خلع كل شيء سوى الله تبارك وتعالى.

الميقات هو ذلك المكان الذي عيّنه رسول اللهً(ص) ووقّته.

ونعلم أن رسول الله(ص) أثبت عدة مواقيت باتجاهات مختلفة ينفذ الحاج منها إلى مكة المكرمة، فهي تُعَدّ بمثابة أبواب زيارة بيت الله الحرام، فكما أن لكل مدير باب يصل القاصد إليه من خلاله، وكذا لكل صاحب بيت باب يزار عن طريقه، كذلك كان لله سبحانه وتعالى أبواب لداعيه وزواره لبيته الحرام، فعيّنها ووقّتها رسول الله(ص) بما يسمى بالمواقيت.

والحاج الذي يتوجه لزيارة بيت الله الحرام متأدبا بالآداب العالية التي رسمها له المشرِّع الإسلامي، وقرنها كشروط واجبة أو مستحبة مرتبطة بالمقصد الأساسي له وهو حج بيت الله الحرام، وذلك أمر لا غرابة فيه، إذ أن لكل زيارة آداب وشرائط، فإذا أراد الإنسان أن يدخل على مدير أو ملك من ملوك الدنيا فإنه يراعي الآداب والسلوكيات الخاصة بتلك الزيارة، وكيف إذا كانت الزيارة لله سبحانه وتعالى وهو ملك الملوك!!

ولعل خير مصداق لنافي معرفة آداب زيارة الله سبحانه وتعالى وشرائطها، سلوك كليم الله موسى على نبينا وآله وعليه أفضل الصلاة والسلام.

فعندما قام موسى(ع) بزيارة الله تعالى كان في قلبه شيء من التعلق بأهله وأولاده لِما تركهم عليه من ظرف عسر وموقف صعب، وتلك غريزة بشرية معروفة.

حقاً إنه اتجه بقلبه نحو الله تعالى إلا أنه كان هناك ما يثقل القلب ويحزنه، ومن هنا كان خطاب الله تعالى له صريحا واضحا حيث قال: (إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى)[٣٦].

وربما يتساءل المرء ماذا أراد الله سبحانه أن يعلِّم موسى(ع) من خلال أمره إليه بتجاوز التعلق بالمتع الدنيوية وذلك أمر مفروغ منه ولا خلاف فيه!!

إن الله تبارك وتعالى أراد أن يبين ذلك الأمر الثابت وهو وجوب خلع الإنسان كل شيء عند توجهه لزيارة خالقه وبارئه، وأن تصفو طاعته وخضوعه لربه تبارك وتعالى، وذلك هو المعبَر الأول في تلك الزيارة حيث يتجرد الإنسان من سفاسف الدنيا ومادياتها ويتجه بخضوع واستسلام كامل التجرد نحو بيت الله الحرام.

الفلسفة الثانية: وحدة اللباس.

عندما يتجه الحاج نحو بيت الله الحرام بعد إحرامه من المواقيت المحددة فإنه يرتدي لباسا خاصا يتساوى ويتشابه به مع غيره من الحجاج. فينصهر الفرد مع المجموع. حيث لا غني ولا فقير. ولا ملك ولا مملوك. ولا سيد ولا عبد. فالجميع في ذلك الموقف سواسية أمام الملك الواحد القهار. فتذوب تلك الفوارق الزائفة التي يتفاخر بها أبناء الدنيا حيث لا قيمة لها يوم الحساب.

وكذلك لابد أن يتذكر بلباسه هذا يوم وروده إلى منزل الوحشة والغربة. ونزوله في القبر وقد عرى بدنه عن كل مظاهر الدنيا وزينتها. ثم يتذكر يوم البعث. يوم خروجه من القبر عريانا ينظر مرة عن يمينه ومرة عن شماله إذ الخلائق في شأن غير شأنه. ومن ثم يتذكر يوم وقوفه للحساب أمام محكمة رب العالمين. يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم!!

الفلسفة الثالثة: وحدة الشعار .

أكثر من مليون إنسان يرددون بكلام عربي موحّد: «لبَّيك اللهُمَّ لبَّيك». ينسلون نحو مكة من أبواب مختلفة. ومواقيت متعددة. فيُعَدّ كل ميقات بابا من أبواب رحمة الله تعالى. وفي ذلك إشارة إلى تعدد أبواب رحمة الله تعالى.

نعم. كل هؤلاء الحجاج ينادون بلسان واحد: «لبَّيك اللهُمَّ لبَّيك». فيتردد صدى هذه الكلمات المقدسة في بطون الأودية وجنبات الصحارى وكأنها ترديد لفرد واحد لا مليون فرد أو أكثر. فهل هناك توحّد أكثر من هذا!!

بل وهل يشعر ذلك الحاج الذي تفصله آلاف الأميال عن الآخر الذي يردد عين عباراته وبنفس لسانه أن هناك فرق بينهما!!

كلا. بل هما شيء واحد لا اختلاف فيه.

وهكذا فإنه ينطلق من جميع هذه الأبواب قول واحد وهو: «لبَّيك اللهُمَّ لبَّيك لبَّيك لا شريك لك لبَّيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبَّيك».

الفلسفة الرابعة: الإحرام

لا يتحقق الإحرام لحظة قبل الميقات أو بعد الميقات. فهذا أمر مستحيل. لا دقيقة قبله ولا بعده يتحقق الإحرام!!

وهذا سر من أسرار رب العالمين.

جئت من بلدك. وفي لحظة واحدة وجدت نفسك منقطعا عن كل شيء. حينما تعود وتتأمل في يديك تجدها خالية فتقول: إلهي. عشت سنين طوال وجمعت وادخرت ولكن الآن ليس في يدي شيء. بل الأيادي خالية من كل شيء!!

جئتك يا إلهي استجابة لأمرك، فأنت الذي دعوتني، وأنا الذي أتيتك صاغرا مستجيبا لأوامرك منقادا لمشيئتك.

أنت يا سيدي أمرتني أن أقف في هذه اللحظة خالي الوفاض، عاري عن كل شيء إلا عن الثوب الزهيد، وإذا أنا لا حول لي ولا قوة، فكيف بي يوم ألقاك، وحالي هنالك أشد وأعظم مما أنا عليه الآن!!

إلهي أنت قلت في كتابك المُنْزَل على نبيك المُرسَل: (وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً)[٣٧].

إلهي فآمنّي روعتي واغفر زلتي، وارحم ضعفي، ومُنَّ عليّ برضاك، إنك أنت أرحم الراحمين.

ثم من يقدر أن يستفيد مِن الميقات؟! ومِن الإحرام في الميقات؟! من يقدر أن يستفيد مِن الحرم من هذا الحريم؟!

لا يمكن ذلك إلا إذا عرفنا مفهوم الإحرام ودور الإحرام.

الإحرام في الحج دوره كدور تكبيرة الإحرام في الصلاة التي توجب حرمة عدة أمور، ودور التلبية كجزء له نفس الدور، فقبل الشروع في التلبية تكون لك مطلق الحرية في فعل أي شيء تريده، ولكن حينما تلبّي تجد أنه قد ترتب على ذلك جملة واسعة من التروكات التي تصل إلى ٢٤ تركا، ومن هنا تبدأ مدرسة الحج التي تريد أن تصنع منك إنسانا جديدا لا يسعه أن يستفيد من إحرامه إلا إذا أصبح محرما حقيقيا.

الفلسفة الخامسة: صنع إنسان جديد في قالب جديد

الحاج عندما يتجرد من ملابسه التي اعتاد على ارتدائها والتقمّص بها طيلة حياته، فإنه سيتحول في نظره وروحه إلى مخلوق جديد كانت بدايته تلك اللحظات التي شهدت ما يسمى بالإحرام عند الميقات.

في تلك اللحظات يشرع المسلم الحاج في رحلة العبادة النورانية متجردا من سفاسف الدنيا وزخارفها، متجها إلى الله تعالى بروحه وجسده، وقد تغيرَّ ظاهره فما عليه إلا أن يغيِّر باطنه، وما ذلك إلا وسيلة القرب إلى الله تعالى والتي هي هدف الموجودات في عالم الوجود.

ثم ماذا تشكّل هذه اللحظات من موقف رهيب يخرج فيه الحاج من دائرة العبودية الزائفة للذات المادية الزائلة ويتجه نحو العبودية الحقة، العبودية التي خُلق الإنسان في إطار وجودها، وانبعث منها، وعندما يقف وجها لوجه أمام عبادة عظيمة لا يُقدَّر أجرُها إذا قُبلت.

روى مالك بن أنس عن الإمام الصادق $ ويقول: لقد حججت معه سنة فلما استوت به راحلته عند الإحرام كان كلما همَّ بالتلبية انقطع الصوت في حلقه، وكاد أن يخرَّ من راحلته، فقلت: قل يا ابن

رسول الله ولابد لك من أن تقول. فقال: «يا ابن أبي عامر، كيف أجسر أن أقول لبَّيك اللهُمَّ لبَّيك، وأخشى أن يقول عز وجل لي لا لبَّيك ولا سعديك»!![٣٨]

وروي عن زين العابدين $ أنه كان في التلبية وهو على راحلته وخرَّ مغشيا عليه فلما أفاق قيل له في ذلك فقال: «خشية أن يقول لي لا لبَّيك ولا سَعْدَيْك»[٣٩].

فإذا كان المعصوم من الذنوب والدائب في عبادة الواحد القهار يقول مثل هذا القول، خائفا أن تُرَدّ تلبيته، فكيف بنا نحن وقد غطتنا ذنوبنا، وأثقلت سيئاتنا ظهورنا، وأخذتنا الدنيا وزخارفها ولذاتها كل مأخذ، فكيف بالله عليك عند تلك اللحظات الحاسمة والحساسة!!

ثم كيف بنا يوم ينادي المنادي للحساب وتشخص فيه الأبصار وترجف فيه القلوب، ولم يبق ما ندفع به عن أجسادنا الضعيفة هذه حر النار إلا أعمالنا السقيمة والضعيفة!!

إلهنا، نحن أتيناك ببضاعة مزجاة، ونعترف أننا كنا خاطئين، واليوم نادمين، لا نملك لأنفسنا نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ولم نأتك إلا ببطاقة دعوة أرسلتها إلينا بتوفيق منك ورحمة، وها نحن أتيناك طائعين ملبّين لدعوتك ممتثلين لأوامرك، فاقبلنا ضيوفا عندك يا رحمن يا رحيم، يا أرحم الراحمين.

وهكذا ترى أخي المؤمن ما تشكله لحظات التجرد هذه من انقلاب داخلي عظيم في ذات الإنسان الحاج، وتبلور شخصية جديدة تحاول الانبعاث من حالة الركون والاسترخاء للمتع الدنيوية الرخيصة.

كيفية الإحرام

للإحرام واجبات ثلاثة هي:

أولا: النية

من المسلَّمات الشرعية الثابتة أنه لا عبادة بلا نية، لأنها بدون النية تكون عبثية وبدون هدف، ومن هنا فالنية شرط واجب لا مناص منه.

ويعتبر في النية أمور:

١- القربة: كغير الإحرام من العبادات، أي أن يكون الداعي إلى هذا العمل هو التقرب إلى الله تعالى.

٢- أن تكون مقارنة للشروع في الإحرام.

٣- تعيين كون الإحرام للعمرة أو للحج، وأن الحج حج تمتع أو قران أو إفراد، وأنه لنفسه أو

لغيره، وأنه حجة الإسلام أو الحج النذري، أو الواجب بالإفساد أو الندبي.

كما أنه لا يعتبر في صحة النية التلفظ، ويدل عليه قول الإمام الصادق $ وقد سأله رجل: إني أريد التمتع بالعمرة إلى الحج، كيف أقول؟! فقال $: «تقول: اللهُمَّ إني أريد أن أتمتع بالعمرة إلى الحج على كتابك وسنة نبيك وإن شئت أضمرت الذي تريد»(٤٠).

ثانيا: التلبية

على المكلف أن يتعلم ألفاظ التلبية ويحسن أداءها بصورة صحيحة كتكبيرة الإحرام في الصلاة، ولو كان ذلك من جهة تلقينه.

والتلبية هو ما يعرف بالتلبيات الأربع، وهي:

«لبَّيك اللهُمَّ لبَّيك، لبَّيك لا شريك لك لبَّيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك لبَّيك».

وهي سنَّة رسول الله (ص).

وأما الأخرس فإنه يشير إلى التلبية بإصبعه مع تحريك لسانه والأولى أن يجمع بينها وبين الاستنابة، وذلك لأنه لا ينعقد إحرام حج التمتع وإحرام عمرته وإحرام حج الإفراد وإحرام العمرة المفردة إلا بالتلبية.

كما أنه لا تشترط الطهارة عن الحدث الأصغر والأكبر في صحة الإحرام، فيصح الإحرام من المحدث بالأصغر أو الأكبر، كالجنب والحائض والنفساء وغيرهم.

وأخيرا فإن التلبية بمنزلة تكبيرة الإحرام في الصلاة، فلا يتحقق الإحرام إلا بالتلبية كما لا تتحقق الصلاة إلا بتكبيرة الإحرام.

ثالثا: لبس ثوبي الإحرام

وذلك بعد التجرد عما يجب على المحرم اجتنابه، يتزر بأحدهما ويرتدي الآخر.

قال الإمام الصادق (ع): «إذا انتهيت إلى وقت من هذه المواقيت وأنت تريد الإحرام... واغتسل والبس ثوبيك»(٤١).

وقد اتفق الفقهاء على وجوب لبس المحرم الإزار والرداء، كما أنه يجوز له أن يلبس أكثر من ثوبين غير مخيطين.

ويعتبر في الثوبين نفس الشروط المعتبرة في لباس الصلاة، فيلزم أن لا يكونا من الحرير الخالص، ولا من أجزاء ما يؤكل لحمه، ولا من المذهَّب، بل يلزم في الإزار أن يكون ساترا للبشرة غير حاكٍ عنها.

ويختص وجوب لبس الإزار والرداء بالرجال دون النساء، فيجوز لهن أن يحرمن من ألبستهن العادية على أن تكون واجدة للشرائط المتقدمة.

والإزار هو ما يستتر به الحاج من سرته إلى ركبته، والرداء هو ما يكون على الظهر والصدر والكتفين.

تروك الإحرام

ويراد بها الأمور التي يجب على المحرم تركها، وهي:

١- صيد البر

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَ أنتُمْ حُرُمٌ...﴾[٤١].

وقال جل اسمه: ﴿ أُحِلَّ لَكُم صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً...﴾[٤٣].

ومن هنا فقد اتفق الفقهاء على أنه لا يجوز للمحرم سواء كان في الحل أو الحرم صيد الحيوان البري أو قتله، سواء كان محلّل الأكل أو لم يكن.

كما لا يجوز له قتل الحيوان البري وإن تأهل بعد صيده.

ولا يجوز صيد الحرم مطلقا وإن كان الصائد محلا.

وكما يحرم على المحرم صيد الحيوان البري فإنه تحرم عليه الإعانة على صيده، ويوضحه قول الإمام الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام: «لا تستحلَّنَّ شيئا من الصيد وأنت حرام ولا وأنت حلال في الحرم، ولا تدُلَّنَّ عليه مُحِلاًّ ولا مُحْرِما فيصطاده، ولا تُشِر إليه فيُسْتَحلُّ من أجلك، فإن فيه فداءً لمن تعمده»[٤٤].

وهكذا الحكم إنما يختص بالحيوان البري، وأما صيد البحر كالسمك فلا بأس به، والمراد من صيد البحر ما يعيش فيه فقط.

كفارة صيد البر

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذلِكَ صِيَاماً لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ...﴾[٤٥].

وقد اتفق الفقهاء على أن من اصطاد شيئا فعليه أن يفدي بمثله من النعم الأهلية، وإن لم يقدر على ذلك فإنه يقيّمه ويشتري بثمنه طعاما يتصدق به على المساكين، لكل مسكين مَدّان، وإن لم يقدر على

ذلك فيصوم عن كل مدّين من الطعام يوما واحدا، ومع العجز عن ذلك فإنه يصوم ثمانية عشر يوما.

وإليك قسما من تلك الكفارات:

في قتل النعامة بدنة، وفي قتل بقرة الوحش بقرة، وفي قتل حمار الوحش بدنة أو بقرة، وفي قتل الظبي والأرنب شاة، وفي قتل القطاة والحجل والدراج ونظيرها حمل قد فطم من اللبن وأكل من الشجر.

وكفارة أكل الصيد ككفارة الصيد نفسه، فلو صاده المحرم وأكله فعليه كفارتان.

٢- مجامعة النساء

يحرم على المحرم الجماع أثناء عمرة التمتع، وأثناء العمرة المفردة، وأثناء الحج وقبل الإتيان بصلاة طواف النساء.

٣- تقبيل النساء

لا يجوز للمحرم تقبيل زوجته عن شهوة.

٤- مس النساء

لا يجوز للمحرم أن يمسّ زوجته عن شهوة.

٥- النظر إلى المرأة وملاعبتها

٦- الاستمناء

إذا عبث المحرم بذكره فأمنى فحكمه حكم الجماع.

٧- عقد النكاح

يحرم على المحرم التزويج لنفسه أو لغيره سواء أكان ذلك الغير محرما أم كان محلا، وسواء أكان التزويج تزويج دوام أو تزويج انقطاع، ويفسد العقد في جميع هذه الصور.

قال أمير المؤمنين علي$: «المحُرِم لا يَنكَح ولا يُنكِح فإن نَكَحَ فنِكاحُه باطِل»[٤٦].

٨- استعمال الطيب

يحرم على المحرم استعمال الزعفران والعود والمسك والورس والعنبر، بالشم والدلك والأكل، وكذلك لبس ما يكون عليه أثر منها.

٩- لبس المخيط للرجال

يحرم على المحرم أن يلبس القميص، والقباء، والسروال، والثوب المزور مع شد أزراره، والدرع وهو كل ثوب يمكن أن تدخل فيه اليدان، والأحوط الاجتناب عن كل ثوب مخيط، بل الأحوط الاجتناب عن كل ثوب يكون مشابها للمخيط، كالملبد الذي يستعمله الرعاة.

١٠- الاكتحال

وهو أن يكون بكحل أسود مع قصد الزينة، لأنه حرام على المحرم قطعاً.

فقد روي عن الإمام الصادق(ع) قوله: «المُحْرِم لا يكتحل إلا من وجع، ولا بأس أن يكتحل وهو محرم بما لم يكن فيه طيب يوجد ريحه، فأما للزينة فلا»[٤٧].

وقال(ع): «لا يكتحل الرجل أو المرأة المُحْرِمان بالكحل الأسود إلا من علة»[٤٨].

١١- النظر في المرآة

يحرم على المحرم النظر في المرآة للزينة.

١٢- لبس الخف والجوارب

ويحرم على الرجل المحرم أيضا لبس الخف والجورب.

١٣- الكذب والسب

الكذب والسب محرمان في جميع الأحوال ولكن حرمتهما مؤكدة حال الإحرام، والمراد من الفسوق في قوله تعالى ... فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ... [٤٩] هو الكذب والسب.

١٤- الجدال

لا يجوز للمحرم الجدال وهو قول «لا والله»، و «بلى والله».

١٥- قتل هوام الجسد

لا يجوز للمحرم قتل القمل ولا إلقاؤه، ويجوز نقله.

١٦- التزين

أولا: يحرم على المحرم التختم بقصد الزينة، وإن قصد به السنة النبوية فلا بأس.

قال الإمام الصادق $ - وقد سئل عن المحرم أيلبس الخاتم -: «لا يلبسه للزينة»[٥٠].

ثانيا: يحرم على المحرم استعمال الحناء فيما إذا عد زينة خارجا.

ثالثا: يحرم على المرأة لبس الحلي للزينة، ويستثنى من ذلك ما كانت تعتاد لبسه قبل إحرامها ولكنها لا تظهرها لزوجها ولا لغيره من الرجال.

١٧- الإدهان

لا يجوز للمحرم الإدهان ولو كان بما ليست فيه رائحة طيبة، ويستثنى من ذلك ما كان لضرورة أو علاج.

١٨- إزالة الشعر عن البدن

لا يجوز للمحرم أن يزيل عن بدنه أو بدن غيره سواء كان محرما أو محلا.

١٩- ستر الرأس للرجال

لا يجوز للرجل المحرم ستر رأسه، كما أنه لا يجوز له الارتماس في الماء.

فقد سئل الإمام الباقر(ع) عن الرجل المحرم يريد أن ينام، أيغطي وجهه من الذباب؟! قال(ع): «نعم ولا يخمر رأسه»[٥١].

وقال الإمام الصادق(ع): «لا يرتمس المحرم في الماء»[٥٢].

٢٠- ستر الوجه للنساء

لا يجوز للمرأة المحرمة أن تستر وجهها بالبرقع أو النقاب وغيرهما مما يلاصق الوجه.

٢١- التظليل للرجال

أولا: لا يجوز للرجل المحرم التظليل نهارا حال مسيره بمظلة أو غيرها، ولو كان بسقف المحمل أو السيارة أو الطائرة و نحوها.

فقد سأل رجل الإمام علي(ع): أظلل وأنا محرم؟! قال(ع): «لا»، قال: أ فأظلل وأكفِّر؟! قال(ع): «لا»، قال: فإن مرضت؟! قال(ع): «ظلِّل وكفِّر»[٥٣].

ثانيا: لا بأس بالتظليل للنساء والأطفال.

٢٢- إخراج الدم من البدن

لا يجوز للمحرم إخراج الدم من بدنه.

فقد روي عن الإمام أبي جعفر الباقر(ع) أنه قال: «لا يحتجم المحُرم إلا أن يخاف على نفسه»[٥٤].

٢٣- تقليم الأظافر

لا يجوز للمحرم تقليم ظفره ولو بعضه، إلا أن يتضرر المحرم ببقائه.

فقد سئل الإمام جعفر الصادق(ع) عن رجل قلّم ظفرا من أظافره وهو محرم، فقال(ع): «عليه مدّ من الطعام، حتى يبلغ عشرة أظافر، فإن قلّم أصابع يده كلها فعليه دم شاة».

فقيل: فإن قلّم أظافر يديه ورجليه جميعا؟! فقال(ع): «إذا فعل ذلك في مجلس واحد عليه دم شاة، وإن كان فعله متفرّقا في مجلسين فعليه دمان»[٥٥].

وقال(ع): «من قلّم ظفره فإن عليه دم شاة»[٥٦].

٢٤- حمل السلاح

لا يجوز للمحرم حمل السلاح كالسيف والرمح وغيرهما مما يصدق عليه السلاح عُرفا، وتختص هذه الحرمة بحال الاختيار، ولا بأس به عند الاضطرار.

ويدل عليه قول الإمام الصادق(ع): «إن المُحْرِم إذا خاف العدو فلبس السلاح فلا كفارة عليه»[٥٧].

٢٥- قلع الضرس

ذهب جمع من الفقهاء إلى حرمة قلع الضرس على المحرم وإن لم يخرج به الدم، ولكن في دليله تأمل، بل لا يبعد جوازه.

٢٦- الصيد في الحرم وقلع شجره ونبته

وهناك ما تعم حرمته المحرم والمحل وهو أمران:

أحدهما: الصيد في الحرم، فإنه يحرم على المحرم والمحل كما تقدم.

ثانيهما: قلع كل شيء نبت في الحرم، أو قطعه من شجر وغيره، ولا بأس بما يقطع عند المشي على النحو المتعارف، كما لا بأس بأن تترك الدواب في الحرم لتأكل من حشيشه.

وعلى الرغم أن المسألة الأخيرة قد مضى عليها الزمن، وأصبحت بحكم المنتفية، إلا أنا أوردناها على سبيل الاستطراد لا غير.

فلسفة غُسل الإحرام

غُسل الإحرام هو أول عمل من أعمال عمرة التمتع وثم حج التمتع، وغسل الإحرام هو مقدمة الإحرام، وحيث يبدو كأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يقول مخاطبا الحاج: أيها الإنسان لابد أن تغتسل من كل الأفكار وكل الأوهام التي حملتها في قلبك فجعلتك من غير المخلصين، فكما عليك أن تغسل بدنك من الدرن لابد أن تغسل قلبك من الأفكار و الأوهام السقيمة.

فلباس الإحرام هو لباس زيارة جمال رب العالمين، ويجب على أي مؤمن التهيؤ لارتداء لباس لقاء الله سبحانه وتعالى وبشكل لا يمُتّ بصلة للباس الدنيوي.

وهنا لابد أن نطرح فلسفة الإخلاص في العمل، حيث أن أي عمل صالح لابد أن ينبع من الإخلاص.

روي أن أمير المؤمنين علي(ع) خطب على منبر الكوفة وبعد حمد الله وثنائه قال: «سلوني قبل أن تفقدوني فإن بين جوانحي علماً جمّاً»، فقام إليه ابن الكواء فأخذ يسأل أمير المؤمنين$ إلى أن قال: يا أمير المؤمنين كم بين موضع قدمك إلى عرش ربك؟ قال: «ثكلتك أمك يا ابن الكوّاء سَلْ متعلماً ولا تسأل متَعنِّتاً من موضع قدمي إلى عرش ربي أن يقول قائلٌ مخلصاً لا إله إلا الله»، فقال: يا أمير المؤمنين فما ثواب من قال لا إله إلا الله؟ قال(ع): «من قال مخلصاً

لا إلــه إلا اللّٰه طُمِســت ذنوبه كما يطمس الحرف الأســود من الرق الأبيض فــإذا قال ثانية لا إله إلا اللّٰه مخلصاً خرقت أبواب الســماوات وصفوف الملائكة حتــى يقول الملائكة بعضها لبعض اخشــعوا لعظمــة اللّٰه فإذا قال ثالثة لا إله إلا اللّٰه مخلصاً لم تُنَهْنِــه[٥٨] دون العرش فيقول الجليل اسكني فوعزتي وجلالي لأغفرنَّ لقائِلِكِ ثم تلا هذه الآيــة: (... إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ...)»[٥٩].

فالإنسان حينما يقول كلمة «لا إله إلا اللّٰه» مخلصا مع قلب طاهر وسليم فهذا هو الحد بين العبد وعرش الرحمن!!

على هذا يمكنك أيها المؤمن أن تسافر من موضع قدمك إلى عرش ربك فتطوى لك امتدادات المسافات في طرفة عين أو قبل ارتداده بقولك «لا إله إلا اللّٰه» مخلصا لوجهه تبارك وتعالى.

وقد يرد على الذهن تساؤل وهو: ما المقصود من أن قول «لا إله إلا اللّٰه» مخلصا هو الحد الفاصل بين العبد وعرش الرحمن وزيارة جمال ذات اللّٰه تبارك وتعالى؟!

لقد تعلمنا من بعض أســاتذتنا أن نفســر القرآن بالقرآن والحديث بالحديث، وما طرحناه من كلام مولانا أمير المؤمنين $ إنما يفســره حديث آخر عن الإمام الصادق(ع) حيث يقول: «من قال لا إله إلا اللّٰه مخلصا دخل الجنة، وإخلاصه أن يحجزه لا إله إلا اللّٰه عما حرَّم اللّٰه»[٦٠].

هذا هو السير والسفر إلى زيارة جمال رب العالمين، فإذا ما أردت أن تعرف نفسك إن كنت من أصحاب الإخلاص في قول «لا إله إلا اللّٰه» لابد أن تنظر إلى أعمالك وتقيّمها لتراها إن كانت خالصة لوجه اللّٰه تبارك وتعالى، فإن كان كذلك فبلا شك وترديد أنت في عرش اللّٰه سبحانه وتعالى.

فالملاك لزيارة عرش الرحمن هو «لا إله إلا اللّٰه» الذي يصنع حجابا ومانعا بيننا وبين المعاصي والذنوب، وتحقق هذا الملاك دليل على إخلاص الإنسان في العمل، وغير ذلك فقول «لا إله إلا اللّٰه» من جهة وعمل المعاصي والذنوب من جهة أخرى كالكذب لا سمح اللّٰه إنما يدل على عدم الإخلاص، لأن من قال «لا إله إلا اللّٰه» مخلصا لابد أن يكون في حصنه وصيانته ولا يجره الشيطان إلى المعاصي والذنوب.

ومن هنا لابد أن نعرف أن الإخلاص أساس كل عمل نقوم به قربة إلى اللّٰه تعالى ومن هذه الأعمال مناسك الحج التي هي في حقيقتها هجرة وسفر روحاني إلى اللّٰه تبارك وتعالى.

ونبدأ هذا السفر الروحاني بغسل الإحرام، الذي هو ظاهرا غسل البدن وتطهيره من الأوساخ والأنجاس، وأما روحا وباطنا هو غسل القلب عن غير اللّٰه سبحانه وتعالى، وكما روي في الحديث القدسي: «لم يسعْني سمائي ولا أرضي ووسعَني قلب عبدي المؤمن»[٦١]. فالقلب حرم اللّٰه ولا يسكن

حرم الله إلا الله، ولا يكون هناك أي فاصل بيننا وبين عرش الرحمن. وكما وردت في الروايات أن «قلب المؤمن عرش الرحمن»[١٢].

إنك إذا أردت زيارة بيت الله فإنما بيت الله ليس إلا الأحجار، وشرف بيت الله ليس إلا لارتباطه بالبيت المعمور، فهذا البيت ليس إلا ماء وطين، ولكن قلبك أيها المؤمن هو عرش الرحمن، وقلبك من النفس والنفس من الله ومن عناياته سبحانه.

إنا إذا توجهنا لزيارة بيت الله الحرام تلبية لأمره سبحانه فإنما علينا أن ندرك الحكمة العظيمة التي يريد الباري جل اسمه من عباده أن يدركوها هناك.

وأشكال الحج الأخرى - غير الحج الواجب - فهي كثيرة ومتعددة، يستطيع كل مؤمن أن يؤديها كل يوم مرات ومرات.

نعم، لو حرصت على أداء مناسك الحج كل عام فليس بمقدورك أن تحج أكثر من خمسين حجة في خمسين عام، ولكن أيها العبد الصالح باستطاعتك أن تسافر إلى زيارة جمال رب العالمين في كل يوم وفي كل ليلة بل في كل لحظة إن شاء الله تعالى، فكما ورد أن هناك من الأعمال ما لها من الثواب كألف حجة وألف عمرة!!

فلسفة الإحرام

الفلسفة الأولى:

إن مفهوم التولّي هو أن يكون كل عابد وكل مصلي وكل صائم وكل معتمر وكل حاج محبا لذات العمل وباطنه، فليس مهمّا أن يصلي الإنسان فحسب ولا يفقه من صلاته شيئا، ويتعامل معها بجفاء وغلظة وملل وضجر، بل لابد له أن يحب ذات الصلاة وملكوت الصلاة، وكذلك الحاج لابد أن يحب ذات الحج وملكوت الحج، وبذلك تكون أهمية أي عمل عبادي هو ذات العمل وملكوته.

إذاً لابد لنا أن نتخذ من الصلاة والصوم والحج أصدقاء وأحباء، فمفهوم التولي هو جعل تلك الأعمال من أصدقائك وأحبائك.

ومن هنا فإنه يكون لزاما علينا أن نعرف سر الحج، وسر الطواف، وسر الإحرام، وسر الصلاة.

بالنسبة للصلاة، ليس المهم قراءة الصلاة والركوع والسجود، فهذه مظاهر الصلاة، ولكن إذا أردنا أن نعرف هل اتخذنا الصلاة صديقا حميما أم لا!! لابد أن ننظر إلى أنفسنا حين العبادة والعمل، هل نتعامل معها تعامل الصديق مع حميم يودعه أم لا!!

هنا يكمن سر هذه الموالاة، يقول أبو عبدالله الصادق(ع): «إذا صليت صلاة فريضة فصلِّها

لوقتهــا صلاة مودّع يخاف أن لا يعود إليها أبدا»[١٣]، أي أن الإنســان لابد أن يصلي صلاته كمودع لها، لعل الأجل لا يعطيه فرصة لقائها ثانية.

وهكذا، حينما كنا في محضر أحد كبار أساتذتنا، وكان عالما ربانيا ملكوتيا إلهيا، وبعد كل الجلسات حينما نريد أن نودعه كأن الأجل لن يعطينا مجالا لكي نزوره ثانية، ولعلها تكون زيارتنا الأخيرة له.

وهكذا الإنســان مع صلاتــه، فإذا ما ودع صلاته كــوداع الحبيب لحبيبه، فهــذا دليل على أنه أصبح صديقا للصلاة، وكما قال الإمام الصادق(ع) «صلِّ صلاة مودِّع»، وأنت تعرف كيف تكون صلاة المودع، صلاة خوف ورهبة وبكاء.

نعم، نحن نجد كثيرا من الناس يتساءلون: لماذا يبكي هذا الإنسان أثناء الصلاة؟!

هــؤلاء الناس لم يعرفوا شــيئا من هذه المراحــل والمقامات، ولم يعرفوا أن هذا الإنســان إنما يصلي صلاة مودع كما أشــار إليه الإمام(ع)، وكأن الصلاة وملكوت الصلاة أحب أصحابه الذي لعلها تكون آخر مرة يزورها فيها.

والدليل على ذلك - كما سمعنا من بعض مشايخنا في ليلة عاشوراء في قم - موقف الإمام الحســين$ ليلة عاشوراء حينما أخبره أخوه أبو الفضل العباس أن هذه الليلة آخر لياليهم وأن القوم مصرين على مناجزتهم واســتئصالهم فقال له الإمام الحســين(ع): «إن اســتطعت أن تؤخرهم إلى غد وتدفعهم عنا العشية لعلنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره فهو يعلم أني كنت أحب الصلاة»[١٤].

انظــر أخي إلى هذه العبارات العرفانية التي دارت بين إمام العارفين وأخيه في خلوة عرفانية روحانية، فماذا كان يقصد الإمام بهذه العبارات؟!

كأنــه يقول: إن الصــلاة صديقي، ولعل غدا يقتلوني، وبهذه الصــلاة أصلي صلاة مودِّع، وقد شــاء الله أن يتحقق ذلك، ويا ليتنا كنا نســمع صوت الحسين(ع) في تلك الليلة وهو ينادي ربه ويناجيه ويستغفره استغفار مودع يودع فيها صلاته وعبادته.

ومن هنا نرى بوضوح الآثار الكبيرة في قضية صداقة الإنسان مع ملكوت العمل، فكما ذكرنا ليس المهم أن تحج، وليس المهم أن تطوف البيت، ولكن المهم هو هل أصبحت صديقا للحج؟! هل حقاً أصبحت صديقا لإحرامك ودخلت إلى حرم الله؟!

إذا تحقق ذلك تكون قد بلغت أسمى مراحل العلاقة في العبادة، بين الفعل والنية، نعم، أيها الإنسان أنت في كل مراحل الحج يكون حجك معك، إحرامك معك، سعيك معك، صفاك في صفاء قلبك، وهذا هو المقصود، وهذه هي فلســفة الإحرام لأولياء الله، ولأولئك الذين يلبســون لباس الإحرام

ويقولون: «لبَّيك اللهُمَّ لبَّيك»، أي لبيت وسعديت بهذا الصديق الجديد.

إلهنا وسيدنا ومولانا، نحن كنا غافلين، نحن كنا جاهلين، أنت كتبت لنا وعينت لنا أصدقاء كثيرين من ذات الصلاة وملكوت الصلاة وملكوت الصيام وغيرها، ولكنا تركنا هؤلاء الأصدقاء واخترنا لأنفسنا أصدقاء ماديين لا نستشم منهم إلا رائحة الدنيا ورائحة الاسم والرياء والشهرة والمفاخرة بالمال والبنين، فنعوذ بك من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

الفلسفة الثانية:

حينما نقرأ قول الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة المباركة: (... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ...)[٦٥]، نستدل من ذلك أن الحج تشريع من الله سبحانه وتعالى.

ومنه تخطو خطوتك، وتقطع هذه المسافات الطويلة بإدراك منك وعلم بأن هذه الرحلة الروحانية هي سفر في عالم نوراني مقدس يمتد من زمن معين وينتهي بآخر، لابد من خلاله تلمُّس المظاهر العبادية وإدراك أبعاده قبل مضي هذا الزمن المحدود، فيثير في النفس كل القدرات الروحية التي غلَّفتها المظاهر الزائفة الزائلة.

الفلسفة الثالثة:

يعتبر غالب الناس أن أعمال الحج إنما هي مناسك فقهية بحتة، وهذا التصور بعيد كل البعد عن الحقيقة والواقع، فمناسك الحج بِدْءاً من الميقات والإحرام إلى نهاية الأعمال والمناسك قبل أن تكون أمرا عمليا لابد أن تكون أمرا فكريا، أي أن الحج ليس إلا حركة باطنية للفكر وبناء الإنسان، وذلك من أسمى مظاهر التعبد.

الفلسفة الرابعة:

اعتبار تلك الحركة الباطنية للعبد وسيره إلى الحق مع الخلق، فالعبد يمكن أن يكون له سير وسلوك إلى جمال الحق تبارك وتعالى في أضيق الحدود المكانية والمادية، ويُعَدّ ذلك شيئا خاصا مفردا، على العكس من أداء مناسك الحج التي هي في الحقيقة حركة منظمة ودقيقة نحو الحق مع الخلق، وهذا ما ينمّي في الفرد ظاهرة العبودية المطلقة لله جل جلاله.

الفلسفة الخامسة:

في نهاية المطاف وبعد أن نحُطّ رحالنا من رحلة الحج المباركة، نكون قد عُدنا وأيادينا مترعة بالخير والعطاء والسمو الروحي.

الفلسفة السادسة:

في هذا المنسك - الإحرام - نشد الرحال نحو بيت الله الحرام، وهو البقعة المقدسة المباركة

الــذي جعلــه الله مثابة للناس، وفيه نجــدد العهد والمواثيق، وبهذا الرجــوع نريد أن نكتب عقدا جديدا بيننا وبين الله سبحانه، فقد كانت بيننا وبين الله عقودا وعهودا كثيرة خالفناها ولم نفِ بها، وكما قال مولانا علي بن الحســين زين العابدين(ع) في دعاء الاثنين: «اللهُمَّ إني أستغفرك لكل نذرٍ نذرتُه، ولكل وعدٍ وعدتُه، ولكل عهدٍ عاهدتُه، ثم لَم أفِ به»[٦٦].

نعم، نحن لم نفِ بعهودنا ومواثيقنا مع الله سبحانه وتعالى سابقا، بل كنا نتخلّف في الوفاء بها، رغم أننا حينما كنا نتعرض لخطر محدق بنا نتوجه سراعا بقلوبنا إلى الله سبحانه، ولكن فورما يرتفع الخطر عنا أو نجتازه ننسى ما كان وكأن لم يكن شيئا مذكورا.

بيد أن هذه المرة في الحج نجدد عقدا جديدا بلباس جديد وفي هيئة جديدة مع الله سبحانه وتعالى، وهنا لابد أن نفتح أعيننا في هذا العقد الجديد، وإن لم نكن مستعدين لهذا العقد من قبل فلابد من الاستعداد الآن، وقد يكون الحضور لدروس ما قبل الرحلة إلى زيارة بيت الله في هذا الوقت نمطا من أنماط الاستعداد.

أخي المؤمن، لا تذهب إلى الميقات غير مبالٍ به، بل مســتبصرا ترى بقلبك، عليك أن تســتعد قبــل الوصول إلى الميقات، تســتعد لتعرف إلى أين تنطلق، ولمن تنطلــق، ملبيا دعوة الله تبارك وتعالــى، وكأنــي بك تقــول: إلهي أنت بعثت وأرســلت طلب قصد بيتك الحــرام حيث قلت جل اســمك: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾، ونحن اســتجبنا ولبينا دعوتك، معاهدين على الوفاء بكل ما تطلب وما تريد، وأنت جل جلالك على كل ما نقول شهيد.

أيها العبد، أنت في سفرك هذا إلى الله تبارك وتعالى تحتاج إلى العبودية المطلقة لله وحده في كل حال من الأحوال، وفي كل فعل من الأفعال، ولا رابط يربط العبد بربه إلا ذلة العبودية والفقر والمسكنة إلى جناب ذات الله سبحانه، وهذا عقد جديد بين العبد والرب في هذه البيعة الجديدة، وفي هذه الهيئة الجديدة، وفي مسجد الشجرة.

الفلسفة السابعة:

في هذه الهيئة الجديدة تكون أيها الحاج متحركا بين المسجدين الأقرب والأبعد، فتنطلق من المسجد الأقرب وهو مسجد الشجرة إلى المسجد الأبعد وهو المسجد الحرام، وحينما تكون في مسجد الشجرة تصلي شطر المسجد الحرام، وعلى هذا تكون برزخا ما بين المعبدين، وبهذه الوجهة تتوجّه بقلبك وروحك وكل ذاتك ووجودك نحو المسجد الحرام لزيارة بيت الله بل لزيارة جمال الله تبارك وتعالى.

وإذا استشعر الحاج هذه الروح وهذه الفلسفة يدخل في هذه الحالة إلى غفران الذنوب، إذ أن توجه الإنسان بين المعبدين إنما هو اتجاه إلى غفران رحمة الله، وعندما يدخل العبد في غفران رحمة الله تعالى

-بمعنى أن الله غفر له من ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر- فإن هذا الحاج يشعر بضيافة جديدة مع هذا اللباس الجديد والهيئة الجديدة. وبهذا الشعار وعلى مدى عمره يشعر أنه يخوض في غمرات نورانية وجذبات رحمانية.

هذا اللباس - لباس الإحرام - هو الذي يخرجك من الغفلة ويدخلك في اليقظة، إذ أنه بداية التوجه إلى الله تبارك وتعالى.

الفلسفة الثامنة:

لباس الإحرام هو لباس حرمة الحرم. وحريم الحرم يفرض أن لا يدخل في حرم الله إلا من ارتدى هذا اللباس، فإذا كان الإنسان حين توجهه إلى زيارة ملك من ملوك الدنيا يلبس لباسا خاصا ولائقا بتلك الزيارة. فكيف إذا كانت الزيارة زيارة جمال الله ودخول حرم الله سبحانه.

ثم بعد ذلك كله. هل يمكن لمن استوعب قلبه هذه المعارف الإلهية أن يضيِّع وقته في الأسواق وتصيُّد المتع الرخيصة؟!

كلا وألف كلا. بل يدخل في حرم رب العالمين ويتزود من تلك العبقات النورانية التي لا يسع لأحد أن يتلمَّسَها إلا بعد عام طويل من تلك الأيام المباركات.

الفلسفة التاسعة:

الاجتناب عن الشرور وزخارف الدنيا. فأنت تركت في إحرامك كل شيء تعودت على استعماله من ملابس أو غيرها. ووجب عليك أن تلبس لباسا جديدا. لماذا؟!

أنت في بلدك معروف بهيئتك الخاصة. بثوبك الخاص. بعنوانك. بشهرتك. بصيتك الاجتماعي. وكأنه يراد أن يقال لك: أيها العبد. شخصيتك ليست تلك الشخصية الاعتبارية. وقيمتك ليست في مالك وجاهك وهيئتك. بل قيمتك وقيمة كل عبد في لباس العبودية المطلقة لله وحده. وبُعدك عن قيمتك الذاتية التي تعمل لبناء ذاتك والتي هي أتفه الأشياء.

لابد أن تعود من الحج بشخصيتك الجديدة المتلبسة بالعبودية. لا الاتجاه الذاتي السابق.

عليك حينما تخلع لباسك أن تخلع شخصيتك الذاتية. وتلبس أصالة الشخصية المبنية على العبودية الخالصة لله سبحانه وتعالى.

عليك أن تفكر في الشخصية الذاتية التي يجب طمسها ودفنها في الميقات. وتبحث عن أصالة الشخصية ومبادئها وقيمها. البدء من الميقات لتنطلق إلى الله عزوجل بلباس جديد ألا وهي العبودية لله الواحد الأحد.

عندئذ. حينما تقول: «لبَّيك اللهُمَّ لبَّيك». ماذا تتوقع أن يكون الجواب من قِبل الله تبارك وتعالى.

وهو أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، بل وأوسع المعطين؟!

وأخيرا نقول -بمنتهى الثقة برحمة الله وحسن الظن به- أن الرحمة والعفو والعطاء والكرم تنتظر الحاج الصادق في تلبيته والمؤمن بمناسك هذا الحج العظيم والموسم الكبير الذي تفتح أبواب رحمة الباري جل اسـمه على مصراعيها، فهل يأبى الدخول إلا الغافلون، وهل ينكر ذلك إلا الجاهلون، أعاذنا الله وإياكم من كل غفلة وجهل، وهو أرحم الراحمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الطواف

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[٦٧].

وقال جل اسمه: ﴿... وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[٦٨].

الطواف هو الواجب الثاني في عمرة التمتع، ويفسد الحج بتركه عمدا، سواء أكان عالما بالحكم أو كان جاهلا به، ويتحقق الترك بالتأخير إلى زمان لا يمكنه إدراك الركن من الوقوف بعرفات.

فلسفة البيت

الفلسفة الأولى:

هل تساءلت يوما ما هو البيت الحرام؟! ربما يكون قد طرأ ذلك على بالك، ولكنك لست وحدك من تساءل عن ذلك، فقد روي عن الصادق(ع) أنه سئل: لم سمي الكعبة كعبة؟! قال$: لأنها مربعة، فقيل له: ولم صارت مربعة؟! قال(ع): لأنها بحذاء البيت المعمور وهو مربع، فقيل له: ولم صار البيت المعمور مربعا؟! قال(ع): لأنه بحذاء العرش وهو مربع، فقيل له: ولم صار العرش مربعا؟! قال(ع): لأن الكلمات التي بني عليها الإسلام أربع «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»[٦٩].

وعلى هذا فأساس العرش هو التوحيد، والتحميد، والتهليل والتكبير، والآن هل تعتقدون أن العرش له مكان معين وحيز من الفراغ!! لا، فالعرش محل ومصدر القيادة العليا والأوامر التي تصدر لإدارة عالم الوجود كله، يعني أن العرش هو مركز التسليم والإرادة، ولا يمكن القول أن العرش في هذا المكان أو ذاك، قد يكون عرش الرحمن قلب المؤمن، وقد يكون في بيت اليتيم،

وقد يكون في نار نمرود الذي أُلقي فيها إبراهيم الخليل(ع)، وقد يكون في غرفة يوسف(ع) مع زليخا حينما قال «معاذ الله»!!

فليس هناك مكان ثابت للعرش لأن ذلك عين التجسيم ولا نقول به.

ولننطلق خارج هذه الدائرة المحدودة في الكلام، ولنقول: لم يقال للبعض أنه موحّد؟!

تُطلق هذه الصفة على من أصبح قلبه محروما ومنقطعا عن جميع الناس وكل الأبواب، هذا الإنسان الموحّد الذي أغلق على نفسه كل الأبواب إلا بابا واحدا وهو باب الله، هذا هو الموحّد، ويقال أنه لا يستجاب دعاء في عالم الوجود إلا دعاء الموحّدين، فما هو دعاء الموحّد؟! إنه أمر يجب علينا أن لا نغفل عن إدراكه.

هل تدرك لماذا؟! لأن دعاء الموحّد هو الدعاء الذي يواصل سيره ويصل إلى هذا المحل، محل القيادة الذي صدرت منه الأوامر وهو عرش الرحمن، فإذا وصل دعاء الموحّد إلى هذه النقطة فهو مستجاب.

عرش الرحمن مركز صدور الأوامر والتسليم والمقدرات، وإذا وصل دعاؤك إلى هذه النقطة كان مستجابا قطعا كما ذكرنا، ولا يمكن أن يصل دعاؤك إلى هذه النقطة إلا إذا كان دعاء عبد موحّد، والعبد لا يمكن أن يكون موحّدا إلا إذا أغلق على نفسه كل الأبواب إلا باب الله تبارك وتعالى، وبابه جل اسمه غير محدد الأبعاد، بل هو أجل وأوسع وأعظم من أن يحدد بحدود ويقدر بقدر.

نعم، فرسول الله(ص) والأئمة من أهل بيته(ع) هم مصاديق باب الله تعالى في كل واحد منهم، وطاعتهم طاعة لله سبحانه، فهم خير عباد الله وباب حطة ورحمة الله الواسعة.

حينما يروى عن رسول الله(ص) أنه قال: «إن اليتيم إذا بكى اهتزَّ له العرش»[(٧٠)]، ماذا تعني هذه الرواية؟! وما حقيقة العرش؟! هل هو سقف يهتز ببكاء اليتيم؟!

لا، ولكن هذا يعني أن اليتيم حينما يبكي يتمثل عنده محل القيادة ومصدر الأوامر وإرادة الله سبحانه وتعالى، وحينما يبكي هذا اليتيم وليس له ملجأ يلجأ إليه، هنالك يتحول مركز القيادة العليا إلى مقام الفعلية، وهذا التحول يعبَّر عنه بالاهتزاز والحركة والاضطراب، وتكون دمعة اليتيم مرتبطة بالقيادة العليا، وهذا هو مفهوم العرش.

وعلى هذا يقال أن: «قلب المؤمن عرش الرحمن»، ذلك لأن القلب مرتبط بمركز القيادة العليا الذي يصدر الأوامر، ومن هنا يقول العرفاء: أيها الزائر إلى الله لابد أن تطوف طواف القلب الذي هو روح من الله، وأن حقيقة عرش الرحمن قلب المؤمن، والطواف حول بيت الله ليس طواف حول طينٍ وأربعة أضلاع إذا ما عرفت سرا من أسرار الطواف.

الفلسفة الثانية:

اللّٰه تبارك وتعالى يذكر في كتابه الكريم أن بيته محرَّم على المشركين أن يدخلوه، فأصبح المسجد الحرام حراما له قدسيته وحدوده الخاصة به، فإذا ما وصلتَ إلى مقام التوحيد ولم تدفن أصنامك واهتماماتك الدنيوية في الميقات تحت قدميك، فبأي صفة تدخل هذا البيت الحرام؟!

الفلسفة الثالثة:

أخي الحاج، أنت حينما تدخل المسجد الحرام وتنظر إلى الكعبة، لعلك تتساءل: لم كان بيت اللّٰه الحرام بهذه البساطة في البناء وليست إلا بناء مكعبا بسيطا ذا أحجار وستار بينما يكون حرم الأولياء ذا هندسة وتصميم رائعين وأبواب مذهَّبة!!

حينما تنظر إلى الكعبة تعرف أن اللّٰه سبحانه وتعالى جعل الكعبة ذات بناء بسيط حتى يبين أنَّ كل فكرٍ وَرَدَ على العقل في تمثيل اللّٰه تعالى وتجسيده مردود، فاللّٰه سبحانه ذاتٌ بسيطٌ بحتٌ ومحضٌ، والبسيط الحقيقي لا جزء له، ومن ثَمَّ تعرف أن اللّٰه تبارك وتعالى لا يمكن أن يبين ذاته في قالب المثال في الأرض إلا الكعبة، وفي ذلك فلسفة بأنك أيها الإنسان لابد أن تصل إلى العدم المحض حتى تتبدل إلى الوجود المحض، ولابد من النفي للوصول إلى الإثبات، ولابد من الفناء في ذات اللّٰه تعالى، وهذا الفناء هو عين البقاء.

وكما تعلم أخي الحاج أن كل شيء في عالم الوجود ذو ستة أبعاد، ولكن في أبعاد الكعبة فلسفة وسر بأن: (... فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ...)[٧١]، إذا أفنيت ذاتك ونفسك في ذات اللّٰه سبحانه وتعالى، فمن أي جهة تتوجه إليه ترى وجهه!!

الفلسفة الرابعة:

نحن لبسنا لباس الإحرام، وبعد التلبية إلى أين نتجه؟! إلى بيت اللّٰه الحرام، زائرين المولى الذي استضاف في بيته أكثر من مليون إنسان، وهو الكريم المغداق، ولكن صدق قوله حيث يقول: (...وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ)[٧٢].

الفلسفة الخامسة:

هل تأملت السر في أنه إذا وصل الحاج إلى مكة ووقع نظره إلى جدرانها وحيطانها يتوقف عن التلبية!!

نعم، إن هناك سرا عجيبا لَعَلَّه يكمن في أن الحاج كان قبل ذلك طالبا مناديا، وكانت تلبيته صوت العاشق المشتاق لزيارة جمال المحبوب وهو ذات اللّٰه سبحانه وتعالى، يحث خطواته نحو ذلك البناء المقدس، ولما حلَّ بذلك الميدان كأنه وقع في طلبه وتمسك بغايته، وأمسى في باحة قدسية المحبوب جل جلاله.

الفلسفة السادسة:

في أية نقطة من العالم تجد نفسك أيها الإنسان عندما تتوجه إلى قصر من قصور الملوك فإنك تتجه إلى الأعلى، لأنها دائما تُبنَى بصورة مرتفعة وتصعد إليها لزيارة ملوكها، إلا بيت ملك واحد وهو ملك الملوك ورب الأرباب، تدخل بيته، ثم تنزل وتنزل حتى تصل إليه!!

وهذا أيضا لا يخلو من سر وفلسفة!!

فلسفة النزول إلى البيت

الفلسفة الأولى:

أنت طوال عمرك وفي حالات الدعاء وطلب الحاجات المتواصلة والدائمة إلى الله تعالى تنصُبُ وجهك وترفع يديك إلى أعلى وتطلب حاجتك وكأنك تخاطب ربك، وصارت السماء قبلة نظر الطالبين والمحتاجين والفقراء إلى رب العالمين رغم أنه جل وعلا في كل مكان، ولكنك الآن وأنت تنزل إلى بيت الله تعالى المصنوع من الحجارة والتراب، وتنشد إليه، تخاطب من خلاله خالقك جل اسمه، وكأنك تجد هذا التراب الذي خُلقت منه لتخشع بقلبك أكثر فأكثر، فتعرف حقيقة نفسك أكثر وأكثر، وبهذا تكون قد وصلت إلى أعلى مراتب الخشوع والخضوع لله رب العالمين.

الفلسفة الثانية:

لا يمكن أن تستفيد من مآثر وحِكَم هذا البيت المقدس إلا بعد التواضع، فأنت كما تنزل وتنزل لتصل إلى بيت الله لابد لك أن تتنازل وتتنازل نفسيا من رذائل الأخلاق وسيئات الصفات كالبخل والحسد والكبر والرياء، لكي ترتفع وترتفع إلى المقامات العالية في فضائل الأخلاق وحسنات الخصال، وبهذا تكون قد وصلت بحق إلى حقيقة زيارة بيت الله الحرام.

الفلسفة الثالثة:

حينما تدخل بيت الله تعالى، بعدما دفنت أهواءك تحت قدميك في الميقات، تدخل البيت وقد وقف لاستقبالك والترحيب بك أبو الأنبياء وخليل الرحمن إبراهيم عليه وعلى نبينا وآله الآف التحية والصلاة بأجمل هيئة وأحسن استقبال.

وأما إذا لم تدفن أهواءك وأنانيتك في الميقات، فإنك تدخل البيت الحرام ولكن ببدنك لا بروحك وذاتك، وعلى هذا لا يمكنك أن ترى حقيقة خليل الله عليه وعلى نبينا وآله صلوات الله.

الفلسفة الرابعة:

لماذا أنت تصلى صلاتك في المسجد الحرام تامة ولا تقصِّر فيها؟!

إذا خرجت من بلدك مسافرا يجب عليك القصر في الصلاة عند قصد المسافة وبعد أربعة فراسخ... ولكن أمَا تساءلت كم يبعد المسجد الحرام عن بيتك؟! ولماذا تصلي فيه تماما مع بُعد المسافة؟!

لأن بيتك الحقيقي في المسجد الحرام، وفي الحقيقة أنت كنت مسافرا منها إلى بلدك، ولكن عدت إلى بيتك الحقيقي وديارك وبلدك الحقيقي في هذا المسجد، والإنسان في بلده الحقيقي يصلي تماما لا قصرا!!

هذا هو البيت الوحيد الذي ليس فيه وزير ولا رئيس ولا متكبر ولا متسلط... الكل فيه عباد الله تعالى، وهم متساوون غير متفاضلين إلا بالتقوى وحسن الأعمال.

(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ)[٧٣].

هذه الآية المباركة من الآيات المتشابهات في القرآن الكريم، كما تعلم أن الآيات إما محكم أو متشابه، والمحكمات لها معنى ثابت لا يتغير، وأما المتشابهات فإنها تفتح بابا بعد باب وفلسفة بعد فلسفة، وهذا ما نراه في فلسفة الحج، فنجد أن ما طرح في العام الماضي عن فلسفة الحج يختلف عما يطرح هذا العام أو الأعوام السابقة.

لنعرف مفهوم المتشابه من واقع الآية القرآنية الكريمة (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ...) هذا البيت هو بيت الناس، وعلى هذا فبلدك وديارك الحقيقية هي ههنا في هذا البيت المطهّر الذي جعله الله مثابة للناس لا لفرد واحد.

وسفرنا هذا كان لله تعالى، وصاحب البيت والمضيف هو الله سبحانه وتعالى، وسكنة البيت هم خلق الله تعالى، وإذا كنت تقدر أن تفني نفسك وأنانيتك في المجتمع كان هذا بيتك.

أيها الحاج الكريم، عليك أن تلج هذا العام من خلال هذه المنافذ المشرعة وهذه الأبواب المنورة، ملتزما بهذه الوصايا، وملبيا وداخلا ذلك البيت المقدس الذي هو (أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ...).

شرائط الطواف

يشترط في الطواف جملة من الأمور:

الأول: النية.

فيبطل الطواف إذا لم يقترن بقصد القربة، وقد تقدم تفصيل ذلك.

الثاني: الطهارة من الحدثين الأكبر والأصغر.

فلو طاف المحدِث عمداً أو جهلاً أو نسياناً لم يصح طوافه.

فقد روي عن الإمام الصادق(ع): «لا بأس أن يقضي المناسك كلها على غير وضوء إلا الطواف فإن فيه صلاة والوضوء أفضل»[٧٤].

وأما إذا لم يتمكن المكلف من الوضوء فإنه يتيمم ويأتي بالطواف.

كما يجب على الحائض والنفساء بعد انقضاء أيامهما، وكذلك على الجنب الاغتسال للطواف.

وأما بالنسبة للطواف المندوب فإنه لا تعتبر فيه الطهارة، حيث يصح بدونها، إلا أن صلاته لا تصح ويجب عليه قضاؤها.

فقد روي عن الإمام الصادق(ع) أنه سئل عن رجل طاف تطوعا وصلى ركعتين وهو على غير وضوء، فقال(ع): «يعيد الركعتين، ولا يعيد الطواف»[٧٥].

وقال(ع): «لا بأس أن يطوف الرجل النافلة على غير وضوء، ثم يتوضأ ويصلي»[٧٦].

وأما ما يختص بالمعذور كالمجبور والمسلوس، فإنه يكتفي بطهارته العذرية.

الثالث: الطهارة من الخبث.

وتشمل الثوب والبدن، ويشمل ذلك الطواف الواجب والمندوب.

الرابع: الختان للرجال.

ولا خلاف في ذلك، فقد روي عن الإمام الصادق(ع) قوله: «الأغلف لا يطوف بالبيت»[٧٧].

الخامس: ستر العورة حال الطواف، واجبا كان أو مستحبا.

قال الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام: أن عليا(ع) قال بأمر من رسول الله(ص): «لا يطوف بالبيت عريان ولا عريانة»[٧٨].

السادس: حلّيّة الثوب.

يجب أن يكون ثوبه غير مغصوب، ولا من حيوان غير مأكول اللحم، ولا من الحرير، وغير ذلك من الأمور الواجبة الاجتناب كما هي في ساتر الصلاة.

واجبات الطواف

تعتبر في الطواف أمور سبعة:

الأول: الابتداء من الحجر الأسود.

الثاني: الانتهاء في كل شوط بالحجر الأسود.

الثالث: جعل الكعبة على يساره في جميع أحوال الطواف، فإذا استقبل الطائف الكعبة لتقبيل الأركان أو لغيره أو ألجأه الزحام إلى استقبال الكعبة أو استدبارها أو جعلها إلى اليمين فذلك المقدار لا يُعَدّ من الطواف.

الرابع: إدخال حِجر إسماعيل في المطاف بمعنى أن يطوف حول الحِجر من دون أن يدخل فيه، فإن

لم يطف حوله أعاد الشوط.

قال الإمام الصادق(ع): «من اختصر في الحِجر الطواف فليعد طوافه من الحجر الأسود إلى الحجر الأسود»[٧٩].

الخامس: خروج الطائف عن الكعبة وعن الصفة التي في أطرافها المسماة بشاذروان.

السادس: أن يطوف بالبيت سبع مرات متواليات عرفا، ولا يجزئ الأقل من السبع، ويبطل الطواف بالزيادة على السبع عمدا.

الشك في عدد الأشواط

إذا شك في عدد الأشواط بعد الفراغ من الطواف والتجاوز من محله لم يعتن بالشك كما إذا كان شكه بعد دخوله في صلاة الطواف.

فقد روي عن الإمام الصادق(ع) قوله: «إذا خرجْتَ من شيء ثم دخلْتَ في غيره، فشكُّكَ ليس بشيء»[٨٠].

وأما إذا تيقن بالسبعة وشك في الزائد، كما إذا احتمل أن يكون الشوط الأخير هو الثامن، لم يعتن بالشك، وصح طوافه.

ثم إذا شك في عدد الأشواط، كما إذا شك بين السادس والسابع، أو بين الخامس والسادس، وكذلك الأعداد السابقة، حكم ببطلان طوافه، وكذلك إذا شك في الزيادة والنقصان معاً، كما إذا شك في أن شوطه الأخير هو السادس أو الثامن.

يجوز للطائف أن يتّكل على إحصاء صاحبه في حفظ عدد أشواطه إذا كان صاحبه على يقين من عددها.

وأخيرا فإنه إذا شك في الطواف المندوب فإنه يبني على الأقل ويصح طوافه.

النقصان في الطواف

إذا نقص من طوافه عمدا، فإن فاتت الموالاة بطل طوافه، وأما إذا نقص من ذلك الطواف دون أن يأتي بالمنافي، أو يحصل القطع الطويل، فإنه يتم طوافه سبعا.

الزيادة في الطواف

للزيادة في الطواف عدة صور:

الأولى: أن لا يقصد الطائف جزئية الزائد للطواف الذي بيده، أو لطواف آخر، ففي هذه الصورة لا يبطل الطواف بالزيادة.

الثانية: أن يقصد حين شروعه في الطواف أو في أثنائه الإتيان بالزائد، على أن يكون جزءا من طوافه الذي بيده، ولا إشكال في بطلان طوافه حينئذ ولزوم إعادته.

الثالثة: إذا زاد في طوافه سهوا، فإن كان الزائد أقل من شوط قطعه وصح طوافه، وإن كان شوطا واحدا أو أكثر الأحوط أن يتم الزائد ويجعله طوافا كاملا بقصد القربة المطلقة.

فلسفة الطواف

الفلسفة الأولى:

إذا أردت أن تعرف ما هو معنى لقاء الله سبحانه وتعالى، فانظر إلى فلسفة الطواف، وكما يقولون أن الحج عصارة العبادات، وخلاصة الأحكام، وإذا حججت مرة واحدة حجا عرفانيا يكون هذا الحج كافيا لك، ولكن كيف؟!

إذا قلنا أن الحج عصارة العبادات، فأنت حينما تدخل في الطواف يشترط لك في ذلك النية، وشرط النية القربة إلى الله سبحانه وتعالى، فما معنى القربة إلى الله سبحانه وتعالى؟!

يعني أن تتقرب إلى الله وحده في كل أعمالك وعباداتك لا لأحد سواه.

جمعتنا وأحد أساتذتنا في العرفان في ليلة من الليالي وقبل توجه الحجيج صوب بيت الله الحرام جلسة خاصة، وحينئذ خاطبه بعض الخواص من تلامذته متسائلين: سيدنا، نريد منك نصيحة قبل توجهنا إلى الحج، وكيف نشعر بالطواف أننا من الطائفين؟!

فأجابهم بقوله: إذا وصلتم في الطواف إلى مرحلة لا يسعكم فيها إلا أن تروا بشرا فقط دون التمييز بين رجل وامرأة وأبيض وأسود وكل أمرٍ نسبي آخر حينئذ تكونون قد وصلتم إلى المطلق المحض، ويكون طوافكم بهذا الحال مصداق لطواف الطائفين العارفين!!

إذا قلنا أن الطواف حول البيت المطهر المقدس بنية صادقة خالصة ليس إلا القرب، بل ونهاية القرب إلى الله سبحانه، تكون قد أديت ما افترض الله تعالى عليك حقاً، واكتسبت رضاه، وفزت برحمته، وذلك هو الفوز العظيم.

الفلسفة الثانية:

قلنا أن معرفة سر العبادة شرط أساسي في ترجمة هذه العبادة بشكل سليم وواقعي، وإلا فالبدن يطوف حول الأحجار دون أي روح أو معنى وهذا وكما قلنا أنه لا قيمة له.

هل تأملت في معنى قوله تعالى: (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)[٨١].

أحد كبار العلماء كان يقول في تفسير الآية الكريمة: (حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)، يعني حتى تعرف سر العبادة. فلكل عبادة سر، فاعبد ربك حتى تعرف سر هذا العمل وسر الصلاة وسر الطواف وغيرها من الأسرار باليقين والاطمئنان.

كما ذكرنا سابقا أن الراوي حينما سأل الإمام الصادق$: لِمَ سُمِّيَت الكعبة كعبة؟! بيَّن الإمام$ الارتباط بين أركان الكعبة المشرفة بكلمات الله التامات وهي: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر».

الآن نشرع في سفرة جديدة، ونرتقي في درجات الذكر درجة درجة، ونستشرف المعاني الدقيقة والخاصة بذلك الأمر العبادي.

قول «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» يعني خلاصة الكعبة وخلاصة البيت، وخلاصة البيت المعمور، وخلاصة العرش.

فالحاج أحيانا يطوف حول أربعة أضلاع، وإذا دخل في العرفان يطوف حول البيت المعمور، وإذا نال المقامات العالية والرفيعة يطوف حول العرش، وأما إذا كان مقامه أكبر من ذلك فإنه يدخل في الذاكرين: «واجعل ذكري في الذاكرين».

على هذا فإن «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» هو بيت الله والبيت المعمور، وهو عرش الرحمن، وهذا هو كل شيء في الذكر.

إن الله سبحانه وتعالى يسمي القرآن الكريم بالذكر: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[٨٢]، فما هو الذكر؟!

إذا طفنا حول البيت في حج عرفاني، وعرفنا حقيقة هذا الطواف، فهل وصلنا إلى مقام العارفين؟! بل هل نعرف البيت المعمور؟! فذلك هو التحديد العرفاني لهذا الأمر، فالبيت المعمور ليس إلا الذكر، وعرش الرحمن ليس إلا الذكر، ولكن هل يمكن أن نجعل طوافنا طواف الذاكرين؟! كيف يمكن ذلك؟!

إذا أنت أصبحت وليّاً من أولياء الله فإن قلبك هو عرش الرحمن، وكما وردت في الروايات أن «قلب المؤمن عرش الرحمن»، فها أنت تطوف حول عرش الرحمن بعرش الرحمن.

إن هذه الدرجة العظيمة والمنزلة الرفيعة المختصة بالذاكرين العارفين لا يسع لأحد أن يصل إليها إلا إذا روّض نفسه وهذّبها وشذّبها وارتفع بها عن حضيض الملذات الزائفة والزائلة، والمتع الرخيصة التافهة.

نعم، إن هذا المقام من مقامات العارفين، «كلمات تامة» بأن لا يطلب من الله إلا الله، وأنت أخي هل تشعر بلذة هذه العبارة من أمير المؤمنين وسيد الموحدين عليه أفضل صلوات المصلين: «إلهي ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك لكن رأيتك أهلا للعبادة فعبدتك»؟![٨٣]

فالعبادة للعبادة، والذكر للذكر، والطواف للطواف، والسعي للسعي، وعرفات لعرفات، والمشعر للمشعر، ومنى لمنى، هو أعظم منازل الدرجات وأرفعها، بل وعندها يصبح ذلك العبد من أولياء الله تعالى حقاً، وهل تأملت في حالات مَن هم أولياء الله تعالى؟! رسول الله (ص) يقول: «إن أولياء الله سكتوا فكان سكوتهم فكرا وتكلموا فكان كلامهم ذِكْرا»[٨٤]، فما هو هذا الذكر؟! الذكر هو استمرار الفيض الدائم.

أخي المؤمن، قد تسأل: كيف يصل هذا الإنسان إلى هذه المرتبة العظيمة بأن يكون كلامه ذكرا؟!

لتقريب المعنى إلى الذهن، تصور إذا كنت من الرياضيين البارزين البارعين، فإن عليك أن تواظب يوميا على أداء أنواع من التمارين الرياضية التي توصلك إلى بلوغ هدفك الذي تبتغيه، وهكذا عباد الله الصالحين، إنهم وبواسطة التمارين والرياضات الروحية وكثرة الذكر والاستعداد لنيل الفيوضات الرحمانية يصبح كل وجوده ذكر، يعني أنه لا يتكلم وإن تكلم كان كلامه ذكر.

ثم نعود ونقول: ما هو الذكر؟! الذكر ليس إلا النور، يعني أن هذا الولي حينما يتكلم فإن كلامه نور، لسانه نور، عمله نور، طوافه نور، مجلسه نور، بل كل وجوده نور، وكما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ...﴾[٨٥].

وقال أحد أساتذتنا لقد كان جملة من أصحاب رسول الله (ص) الملاصقين له والمحيطين به يستمعون له ويقومون بقيامه ويأتمون بصلاته، ولكن لم يبرز من بينهم إلا علي (ع)، وترك من الآثار العظيمة التي بقيت علامات مشرقة دون الآخرين، لماذا؟!

روي أن رجلا من الأنصار كان يجلس إلى النبي (ص) فيسمع منه الحديث فيعجبه ولا يحفظه، فشكى ذلك إلى النبي (ص)، فقال له رسول الله (ص): «استعن بيمينك»، وأومأ بيده أي خط[٨٦].

أي أن الله سبحانه وتعالى أعطاك يدا وبمقدورك أن تكتب، فلا تكن في المجلس كالخشبة اليابسة، فقد كان جماعة من الناس يدخلون في مجلس رسول الله (ص)، ويجلسون تحت منبره، ويسمعون فقط ويخرجون، بينما هناك أناس يدخلون مجلسه (ص) ويجلسون ويكتبون ما يسمعون، وهذا يكون سببا للذكر، لأنه حينما يرجع الإنسان إلى بيته يعيد قراءة ما كتبه، وهذا كله ذكر، ومع مرور الأيام يصير ذلك الأمر مَلَكة، وإذا أصبح مَلَكة يتبدل الذكر إلى النور

ولا يمكن أن ينساه، وتبقى لذته مستمرة دائمة.

أخي المؤمن، إذا ذهبت إلى زيارة بيت الله الحرام، فاجعل لنفسك دفترا وقلما واكتب فيه كل ما يجري عليك في هذا السفر الروحاني من حالاتك في الطواف وفي الصلاة وفي السعي وفي عرفات ومنى، فإنك بعد ذلك كلما تقرأ هذه الحالات والذكريات تتجدد فيك الحالات الروحانية التي عشتها أيام الحج.

وهنا نعود ونسأل: هل أدركت ما كنا نريده من إشارتنا السابقة إلى أمير المؤمنين$، هذا الإمام المعصوم ورغم ما وهبه الله تعالى من العلم والمنزلة العظيمة فإنه كان يواظب على كتابة كل ما كان يحدثه به رسول الله(ص) من الأمور المتعلقة بوحي السماء وذلك ما لم يعره غيره تلك الأهمية الكبرى!

كما أنه إذا نزل الوحي على رسول الله(ص) ولم يكن أمير المؤمنين$ حاضرا في مسجد أو مجلس رسول الله(ص) وكان يسأله إن نزل عليه شيء من الوحي فيخبره به رسول الله(ص) ويسجله كذلك حينما كان رسول الله(ص) خارج مكة ونزل عليه شيء من الآيات المباركة والوحي وبعدما يؤوب من سفره يسأل عن علي(ع) فيخبره بما نزل عليه من الذكر الحكيم فيدوّنه علي(ع) عنده.

فأمير المؤمنين(ع) إذا تكلم كان كلامه نورا، وكذا أخوتي في الله تعالى، إذا أردتم أن يكون كلامكم نورا فما عليكم إلا أن تنتهجوا نهج أمير المؤمنين علي(ع)، فهو خير رفيق تتخذوه أنيسا في سفركم إلى الله تعالى.

وأخيرا نقول: إن ما نستخلصه من فلسفة العرش هو أنك إذا أردت أن تعرف إن كنت من الذاكرين والطائفين والمصلين والصائمين والصادقين في عباداتهم، فإن عليك أن تنظر فيما تقول، وفيما تتحدث عنه، لأن أولياء الله تعالى هم الذاكرين له والمترنمين بقرآنه، بل عليك أن تلاحظ من تتخذه لك ولياً إن كان من أهل الدنيا وعشاق نزواتها، أم من الساعين نحو الآخرة والمعدين لها عدتها، لأنك بذلك تكون قد حققت مصداق القول الذاهب إلى أن عرش الله تعالى في قلب المؤمن، وحيث جعلت قلبك مكانا طاهرا مشغولا بذكر الله تعالى، ولكن ما علامة ذلك؟!

هناك أناس إذا جلسوا مع أصدقائهم لم يتكلموا عن أخبار الدنيا وأخبار المال وغيرها من المظاهر الدنيوية، بل كانوا مصداقا لقول رسول الله(ص) إن سكتوا كانوا من المتفكرين وإن تكلموا كانوا من الذاكرين.

ولكن ما المقصود بـ «كلامهم ذكر»؟!

إنه من المستحيل إن كان صديقك من أهل الذكر وأهل العرش وأهل البيت المعمور أن يسألك عن رصيدك في البنك مثلا، أو يسألك عن المظاهر الدنيوية الزائفة، بل يسألك عما إذا كنت قد سجلت حديثا أو قرأت آية أو فهمت تفسيرا أو حضرت درسا، أي أن كل كلامه ذكر وما يتكلم إلا بذكر اللّٰه تعالى بل أن وجوده يذكرك باللّٰه تبارك وتعالى.

قال رسول اللّٰه : قال الحواريون لعيسى(ع): يا روح اللّٰه من نجالس؟! قال: «من يذكِّرُكُم اللّٰهَ رؤيتُه، ويزيدُ في علمِكُم مَنْطقُه، ويُرَغِّبُكم في الآخرةِ عملُه»[٨٧].

اللهُمَّ اجعلنا من الذاكرين لك والخائفين منك.

الفلسفة الثالثة:

حينما أنت تطوف لا يمكن أن يكون طوافك طوافا حقيقيا إلا إذا كان على أساس الكلمات التامات، ولكن أين هذه الكلمات التامات؟! أنت يوميا في صلاتك تقول: «سبحان اللّٰه والحمد للّٰه ولا إله إلا اللّٰه واللّٰه أكبر».

ملايين من الناس يذهبون إلى الحج، ولكن قلة قليلة جدا هم الذين يلتفتون إلى باطن البيت، ومن باطن البيت إلى الأضلاع الأربعة من عرش الرحمن. نعم، إن الكثيرين من حجاج بيت اللّٰه الحرام يطوفون حول البيت دون تأمل وإدراك لما يعنيه هذا البيت المكعب، بل مجرد طواف ودوران لا غير، ولكن لو كانت مرتبة المعرفة أقوى وأكبر لكان بوسع هذا الإنسان الذي ظاهرا تخط قدماه هذه الأرض أن يصعد ذاتاً وباطناً وروحاً بروحه إلى البيت المعمور، فما يراه عامة الناس هو ظاهر البيت من حجر وكسوة ولكن باطنه هو البيت المعمور!!

إلا أن بعض الطائفين الذين أدركوا ملكوت الطواف وكُنه هذه المعاني التي أشار إليها الإمام المعصوم لا يطوفون حول البيت المعمور فحسب بل حلّقوا بإيمانهم وإدراكهم إلى مراتب عالية وسامية قليل من الناس من يدرك شأنها، فأخذوا يطوفون حول عرش الرحمن!!

وهنا جماعة أخرى سَمَتْ بها معارفها ودرجات إيمانها ومراتب يقينها، فهي لا ترى البيت ولا تتقيد بحدوده الضيقة بل ذابت مشاعرها وأحاسيسها في الذات الإلهية، فهي تدرك حقاً المغزى الحقيقي للطواف وللبيت وللحج، أولئك هم العارفون الصادقون، وما أقل ما هم.

نعم إن وسائل القرب إلى اللّٰه تبارك وتعالى لا تُعدّ ولا تحصى، وما على المؤمن إلا أن يطرق الأبواب ليلج منها إلى رضوان اللّٰه تعالى ورحمته.

الفلسفة الرابعة:

يمكن أن نقول أن كل شوط من الطواف ينقسم إلى أربعة مقاطع:

المقطع الأول من الحجر الأسود إلى حجر إسماعيل، وهو مقطع التوحيد ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٨٨].

المقطع الثاني من بداية حجر إسماعيل إلى نهايته وهو مقطع الحمد والتحميد، وهذا أساس البيت وأساس العرش والبيت المعمور وسر السر.

والمقطع الثالث من نهاية حجر إسماعيل إلى الركن اليماني وهو الركن الذي لا يخفى عن كل موالٍ ومحبٍّ للولاية والعصمة، الركن الذي تشرَّف باستقبال سيد الموحدين أمير المؤمنين علي (ع) - افتح قلبك أيها الموالي والتفت لما نقول - هذا المقطع هو مركز التهليل بـ «لا إله إلا الله».

ثم المقطع الرابع والأخير من الركن اليماني عودة إلى الحجر الأسود، وهو مركز التكبير، وهو مركز ظهور الإمام المنتظر المهدي عجل الله تعالى له الفرج، فمن هذا المكان يظهر وينادي «الله أكبر» فيسمعه مَن في الأرض جميعا.

الفلسفة الخامسة:

تقدمت منا الإشارة بأن الطواف حول البيت ينقسم إلى أربعة مقاطع، ولو تأملنا بدقة أكثر وبقلب مفتوح إلى هذه المقاطع الأربعة لرأينا أن كل مقطع منها يرتبط برمز معين وأبعاده الشخصية ويعطيه الكثير من الصفات التكريمية والشأن والموضوعية التي تتصف بها تلك الرموز، فتضفي عليها تكريما وإجلالا، ونحاول بإيجاز أن نتعرض إلى هذه الرموز ومدى تأثيرها على تلك البقعة المقدسة المباركة:

المقطع الأول من الطواف وهو مقطع التوحيد يرتبط بخليل الرحمن وبطل التوحيد سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا وآله آلاف التحية والصلاة، الذي حطم الأصنام ورموز الشرك التي كانت تعبد من دون الله سبحانه وتعالى.

نعم، حطم سيدنا إبراهيم (ع) الأصنام بكل شجاعة وقوة قلَّ نظيرها وندر أمثالها، وبتحدٍّ صارخ بوجه الانحراف الفكري والعقائدي المتسلح بأعتى الأسلحة وأفتكها، وهو الرجل الأعزل عن الأسلحة الظاهرية ولكنه كان متسلحا بسلاح الله القوي ألا وهو الإيمان الراسخ والتوحيد الخالص لله وحده، فلم يهتز له طرف ولم يرتعش له مفصل.

وأما المقطع الثاني من الطواف، من أول حجر إسماعيل إلى نهايته، وهو مقطع التحميد، والذي يرتبط بمقام سيدنا إسماعيل وأمه هاجر عليهما السلام، ذلك الموضع الذي اشتدت معاناة هاجر وخوفها على وليدها، ولكنها لم تنفك من الذكر والشكر والتحميد.

نعم، كانت أعظم مصاديق الحمد والتحميد في تلك المرأة المجاهدة والوالدة الحنونة العاطفة،

وفي ولدها إسماعيل الذي استسلم لقضاء الله وحكمه إذ قال لأبيه: (... يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)[٨٩].

وأما المقطع الثالث وهو مقطع التهليل الذي يبدأ من نهاية الحجر وينتهي بالركن اليماني وهو المستجار، وهذا هو مقام أمير المؤمنين علي(ع)، المقام الذي كان يتوجه منه أمير المؤمنين(ع) إلى السوق مذكّراً التجار بوجوب خوف الله تعالى في بيعهم وشرائهم، هذا هو نهار علي(ع) ومظهر لا إله إلا الله.

وأما في الليل، فكيف كان حاله $؟! كان يصلي مع الناس، ثم يخاطبهم ويقول: «تجَهَّزوا رحمكم الله!! فقد نودي بالرحيل، وأقِلّوا العرجة على الدنيا وانقلِبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد فإن أمامكم عقبة كؤودا ومنازل مخوفة مهولة لابد من الورود عليها والوقوف عندها»!![٩٠]

إن ذلك يتأتى لك إذا لم تعد غدا من عمرك، تركن إلى حالة الاسترخاء في أداء عباداتك وقضاء ما ترتب عليك من حقوق، فما تشعر إلا والموت قد أحاط بك ولم يترك لك منفذا.

نعم، أنت تقدر أن تعد اليوم حتى الساعة من عمرك لأنه مضى عليك، ولكن إذا حسبت غدا من عمرك لم تؤد حق الموت وكنت غافلا عن الموت، وهذا المقطع من البيت الذي يرتبط بمولانا أمير المؤمنين علي$ يتطلّب منك الاستعداد للرحيل الأكبر إلى يوم القيامة.

على هذا أنت اليوم مسافر، ولا تعرف ماذا يحدث لك غدا، ولذا يقول أمير المؤمنين$: «تجهزوا»!!

أحد كبار أساتذتنا في العرفان حينما كان تلامذته يحضرون في بعض الليالي إلى مجالس دروسه العلمية المتعة كان يخاطبهم دائما ويقول: افترضوا أنكم مسافرون، وبأيديكم حقائب السفر، وأنكم حللتم في أحد البلدان، وما أن شرعتم بفتح حقيبة سفركم حتى ناداكم قائد القافلة أسرعوا إلى السفر، ولن نتأخر لانتظار المتخلفين، وعلى الجميع الالتحاق بالقافلة وترك ما تبعثر من أشيائهم المتفرقة.

تصوروا، كم من الأشياء المهمة ستضيع ولن يستطيعوا جمعه والحصول عليه!!

نعم، لو كانت هناك جملة من الحقوق المتعلقة بالآخرين، فماذا يفعل أولئك، وكيف كانوا يتصرفون؟!

وكذلك السفر إلى الآخرة، ينبغي أن نعد له العدة، وننتظره في كل لحظة، وأن يكون عدم اعتبار الغد من أيامنا مصداقاً لذلك الاستعداد.

كان هذا الأستاذ يخاطب الجميع ويقول: تجهزوا، تجهزوا، واستعدوا للسفر إلى الله ولا تدَعوا أنفسكم تتعلق بالأوهام الخادعة.

«تجهزوا رحمكم الله» يعني كلما يقترب الإنسان في رحلته إلى الله تعالى في هذا المقطع من البيت فإنه يخفف من تعلقه بهذه الأوهام الزائفة، يعني أنت في بداية المطاف تبتدئ بالحجر الأسود وتبدأ بتخفيف هذه التعلقات الدنيوية الزائفة والزائلة إلى أن تصل إلى المقطع الثاني وهكذا حتى تصل إلى المقطع الثالث وإلى نهاية المطاف.

بعد المرور على هذه المقاطع الثلاثة يبدأ الطائف بالدخول إلى المقطع الرابع وهو مقام ابن علي وابن إسماعيل وابن إبراهيم وخلاصة الأنبياء والمرسلين والصديقين والصالحين، ألا وهو الإمام المهدي المنتظر الموعود!!

مقطع التكبير، هو مقام الحجة بن الحسن المهدي عجل الله فرجه الشريف، هذا المقطع الذي حينما يظهر فيه الإمام المهدي $ يكبر تكبيرا يسمعه كل من على الأرض، القاصي منهم والداني، المهدي الذي يكون معك في طوافك شاهدا عليك مفاخرا بك.

أنت تبدأ بإبراهيم $ وبمساعدات ملكوت إبراهيم $ تتجه إلى إسماعيل $، ومن ثم تتجه إلى ولده أمير المؤمنين $، ومن الأجداد إبراهيم وإسماعيل وأمير المؤمنين عليهم أفضل صلوات المصلين تلج في سلسلة الأولاد الأطهار إلى أن ينتهي المقام بك إلى حضرة مولانا الإمام المهدي $.

الفلسفة السادسة:

هل خطر ببالك، وأنت تطوف حول هذا البيت المقدس، ذلك المولود المطهر المبارك الذي صار له هذا البيت الحرام مهدا، فاحتضنه كأمه الرؤوم، واحتواه وحماه، فأصبح لصيقا به، ومرتبطا بذكراه؟!

وهل أدركت مغزى هذا الطواف الذي أمر الله به عباده المؤمنين الذين شدوا رحالهم لأداء فريضة عظيمة من فرائض الدين الإسلامي الحنيف؟!

إنا عندما نطوف حول البيت يخطر بالنا حتما ذلك الوليد العظيم الذي اختاره رب السماء أن يكون وصيا لرسوله الأمين محمد ويكون سرا للولاية والوصاية، إمام حق يجب على المسلمين اتباعه والانقياد إليه، وفي ذلك دليل واضح على اقتران علي $ وموالاته بعباداتنا.

نتذكر عليّا $ ونردِّد ونقول: يا علي، إننا تابعون لك، ومقرّون بإمامتك، ومنقادون لأوامرك، نعيش بحبك ونموت بحبك، لأنك مع الحق والحق معك، وأنت مع القرآن والقرآن معك لا تفترقان، سائلين المولى تبارك وتعالى أن يجعلنا من الموالين لك، والمنعمين بحضورك في ساعة الموت، والفائزين بشفاعتك يوم الحساب.

بلى، إننا نرى بوضوح ذلك التلاصق الفعلي والروحي بين علي $ والبيت الحرام الذي فرض الله تعالى على المسلمين حجه والطواف به، فكأن في ذلك تذكير للمسلمين بولاية أمير المؤمنين علي $

وإمامته.

الفلسفة السابعة:

عن أمير المؤمنين $ أنه قال: «إذا خرجتم حجّاجا إلى بيت الله أكثروا النظر إلى بيت الله تعالى، مائة وعشرون رحمة عند بيته الحرام، منها ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين»[٩١].

فيا لها من عطية كريمة وموهبة سَنِيَّة.

الفلسفة الثامنة:

أخي الحاج، أما سألت نفسك يوما لماذا كان على الطائف جعْل الكعبة على يساره في جميع أحوال الطواف!! وإذا استقبل الطائف الكعبة أو استدبرها أو جعلها على اليمين فذلك المقدار لا يُعَدُّ من الطواف؟!

كما قلنا كرارا أن في كل مسألة فقهية فلسفة وحكمة إلهية لا يتدبرها إلا العارفون بالله والمخلصون في حب الله تعالى.

أنت تعلم أيها الحاج أن موقع القلب على يسار البدن، والله سبحانه وتعالى يريد أن يبين لك أنه حينما تريد أن تتوجه إليه وتطوف حول بيته الحرام لابد أن تطوف بقلبك لا بدنك، فالقلب حرم الله، وهذا الحرم الذي جعله الله في بدنك هو الذي له القابلية للطواف حول بيته الحرام.

وفي بطلان الطواف في تلك اللحظة التي تستقبل فيها الكعبة أو تستدبرها سر وفلسفة بأنك أيها العبد المؤمن بالله، لابد أن تكون في كل أحوالك يقظا واعيا حذرا ومرتبطا بالله تعالى، ولا تكن غافلا عن ذكر ربك لحظة واحدة، لأن في تلك الغفلة بطلان اتصالك بالله سبحانه وتعالى.

الفلسفة التاسعة:

يروى أن الله تبارك وتعالى يباهي ملائكته بطواف الطائفين امتدادا لقوله تبارك وتعالى: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً...[٩٢]، فكأنه جل جلاله يقول: يا ملائكتي ويا سكان سماواتي، انظروا إلى هذا العبد الطائف الذي نفخت فيه من روحي وجعلته أمينا السري، انظروا كيف امتثل لأمري، وطاف حول بيتي، وأدّى ما افترضته عليه.

نعم، فالله سبحانه وتعالى يباهي جموع الملائكة بجموع الطائفين، فيا لها من منزلة كريمة، ودرجة عظيمة، ينبغي أن يلتفت إليها الحجاج الطائفين وينظروا إلى ما أعدَّ لهم ربهم من منزلة وكرامة فيرفعوا بأنفسهم إلى مصاف هذه المرتبة الرفيعة.

وفقنا الله وإياكم لأداء مناسك الحج ومنها الطواف على النحو الذي بيّنه لنا رسول الله وأهل بيته المعصومين #.

صلاة الطواف

– وهـي الواجب الثالث من واجبات عمـرة التمتع. وهما ركعتان، يؤتى بهما عقيب الطواف، وصورتها كصلاة الفجر، ولكن المصلي مخير بين الجهر والإخفات.

– من ترك صلاة الطواف عالما عامدا بطل حجه لاستلزامه فساد السعي المترتب عليه.

– تجب المبادرة إلى الصلاة بعد الطواف، بمعنى أن لا يفصل بين الطواف والصلاة عُرفا.

– إذا نسي صلاة الطواف وذكرها بعد السعي أتى بها ولا تجب إعادة السعي بعدها وإن كانت الإعادة أحوط، وإذا ذكرها في أثناء السعي قطع السعي وأتى بالصلاة في المقام ثم رجع وأتم السعي حيث قطع، وإذا ذكرها بعد خروجه من مكة لزمه الرجوع والإتيان بها في محلها، فإن لم يتمكن من الرجوع أتى بها في أي موضع ذكرها فيه، نعم إذا تمكن من الرجوع إلى الحرم رجع إليه وأتى بالصلاة فيه على الأحوط الأولى، وحكم الترك لصلاة الطواف جهلا حكم الناسي.

– وإذا نسي صلاة الطواف حتى مات وجب على الولي قضاؤها.

فلسفة صلاة الطواف

لعله من الثابت المعلوم أن أداء المناسك العبادية في الحج يشكل عنصرا مهما في تعميق وتوضيح فلسفة تلك العبادات، وكما تقدم في حديث الإمام الصادق $ لسائله عن الكعبة والعرش أن العرش مبنيٌّ على أساس الكلمات التامات وهي «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر».

وهذا يعني أن أساس الكعبة على أساس العرش، وأساس العرش هو التوحيد والتحميد والتهليل والتكبير، وعلى هذا تبدأ بالتوحيد وتنتهي بالتكبير، وبعد الطواف تأتي بصلاة الطواف وتبدأها بالتكبير.

والآن انظر إلى هذه المقامات وهذه الدرجات: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، هل عرفت هذه المفاهيم؟! وهل أدركت فلسفتها وحقيقتها؟!

إنها دعوة للتأمل.

الآن نتحدث عن الصلاة، ونبدأها بالتكبير.

انظر أين مقامك في الصلاة من خلال هذا الأمر فهذه هي فلسفة الصلاة، ولو أن هناك بعدا أعمق وأشد غورا يستلزم بحثا أوسع وأكبر، ولكن نعود ونقول: لماذا يتوقف الإنسان عند التكبير؟! وما هو السر في ذلك؟!

الصلاة كما ذكرنا سابقا لا تتحدد بالحركات المتعارفة من قيام وركوع وسجود، ولا هي مجردة عن الفهم الحقيقي وماهية هذه الأفعال وليست خالية من الحكمة والفلسفة.

نعم، فرُبَّ مُصَلٍّ ليس له من صلاته إلا الركوع والسجود، وفي ذلك أوسع الأبواب المحتملة لفهم سليم لماهية هذه الصلاة.

بلى، أخي المؤمن، لابد أن تلاحظ فلسفة الصلاة وأسرار الصلاة، سواء في بيتك أو في حجك أو عمرتك، وإذا أدركت ذلك فإن عليك أن تصلي، وإلا فعليك إعادة النظر والتدبر للوصول إلى هذه الحقيقة العظيمة، صحيح أن فقهيا يجب عليك أن تصلي على أي حال، ولكن روحيا وعرفانيا ما أقل عمل المصلي في تلك الحالة.

الله سبحانه وتعالى يذكر في محكم التنزيل: إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً * إِلاَّ المُصَلِّينَ [٩٣].

إن الإنسان بطبعه البشري لا يخلو من هذه الغرائز الدفينة والمتركزة في سلوكه إلا من جدَّ واجتهد، وروَّض نفسه على تجاوز هذه الخصال المترجمة لكثير من هذه السلوك، فإنه باستطاعته أن يسمو بها نحو عالم بديع متصل بالملأ الأعلى والمقام المقدس.

صاحب تفسير الميزان في تفسيره لهذه الآية الكريمة يقول: ليس الهلع وشدة الحرص المجبول عليه الإنسان وهو من فروع حب الذات في حد نفسه من الرذائل المذمومة، كيف وهي الوسيلة الوحيدة التي تدعو الإنسان إلى بلوغ سعادته وكمال وجوده، وإنما تكون رذيلة مذمومة إذا أساء الإنسان في تدبيرها فاستعملها فيما ينبغي وفيما لا ينبغي وبالحق وبغير حق، كسائر الصفات النفسانية التي هي كريمة ما لزمت حد الاعتدال، وإذا انحرفت إلى جانب الإفراط أو التفريط عادت رذيلة مذمومة.

هذا الإنسان في سلوكه العام - ومع عدم ترويض النفس وتهذيبها - تراه خائفا وجلا يبتغي المزيد في الخير ويشتد حرصه ويزداد هلعه، لا يقنع ولا يشبع، بل كلما زاد في ملكه وخيره تراه يبتغي الزيادة أكثر وأكثر، ولكن ما أسرع جزعه إذا تناوله شيء من الشر، قنوط يائس مضطرب مزعزع ودائم الشكوى والتذمر، ناكر لكثير من النعم الأخرى، تراه يقول بملء فمه أنه لم ير الخير طوال حياته، بل كان ولازال في نكد وغم وتنغيص.

نعم، إنه يتناسى كل الخير إذا مسه شيء من الشر، وتلك ظاهرة مألوفة كثيرا ما نراها في حياتنا.

ومن جانب آخر، تراه إذا تقلب في نعم الله سبحانه يتناسى وجود المعوزين والفقراء والمحتاجين، وينسى كل ما مر به من فقر واحتياج، ويمنع الخير ويحجبه عن ذوي الحاجات.

هذه هي طبيعة الإنسان، ولكن هل هي حقيقته الثابتة، وروحه الحقيقية؟! كلا، بل إن حقيقته تكمن

في فطرته التي فطره الله عليها، إذ يقول جل اسمه: ﴿... فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا...﴾[٩٤].

فالإنسان وفق فطرته لا يمكن أن يكون جزوعا ولا منوعا بل صبورا وكريما وسخيا، ومن هنا ترى أن هذه الآيات ذيلت بالآية الكريمة: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾، يعني أن الله سبحانه وتعالى يبين سر الصلاة في هذه الآية المباركة النورانية.

إن فطرة الإنسان إذا غلبت على طبيعته فإنه يصبح صبورا، ويصبح قنوعا بكل شيء ويحمد الله على كل نعمة: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[٩٥].

الآن انظر إلى نفسك، هل فيك هذا الطبع أم لا؟! يعني هل غلبَت الفطرة فيك على الطبيعة أم لا؟! الإنسان المصلي والعارف بالله لا بد أن يقوم بقتل أو إطفاء الطبيعة السقيمة وإحياء الفطرة السليمة، وهذا سر الصلاة، وسر السر في صلاة الطواف.

تلك هي المرحلة الأولى، وأما المرحلة الثانية وبعد أن تغلب الإنسان على هوى نفسه، وانتصرت فطرته على طبيعته، بأن يصبح بعد البخل كريما، وبعد الجزع والهلع قنوعا صبورا، بل ويتحول إلى مرحلة عظيمة من الرقي الأخلاقي والسمو النفساني وهو حفظ العهد والأمانة حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ رَاعُونَ﴾[٩٦]، وذلك مقياس واضح للإيمان الصادق كما يحدده القرآن الكريم: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ...﴾[٩٧]، فالمفرِّط في أماناته يحاسب ويلام ويقرَّع، في حين أنه يمدح ويثنى على من يصدق عهده وأماناته.

ولو تأملت أخي المؤمن في رسالة العهد لابن سينا لرأيته كيف جعل بينه وبين الله تعالى عهودا، فها هو في أول عهوده يقول: «إلهي، عاهدتك أن لا أتكلم ولا أستخدم لساني إلا بذكرك».

وفي عهده الثاني يقول: «إلهي أتعهد إليك بأن لا أتجه إلى فعل أي ذنب من الذنوب».

وأما في عهده الثالث فيقول: «إلهي ولا أدخل مجلسا إلا إذا كان فيه نفع علمي وروحي».

أرأيت لو أن عبدا مؤمنا قادته صلاته وفلسفتها إلى الرقي بنفسه نحو الكمالات العظيمة لنال الحظوة الكبرى في الدنيا والآخرة، فلا كذب ولا بهتان، ولا هلع ولا جزع، ولا أي سعي نحو ارتكاب المعاصي، وتلك هي الفلسفة العظيمة للصلاة حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿...إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...﴾[٩٨].

وبعد أن أصبح الإنسان صبورا غير جزوع، وقنوعا غير هلوع، هنالك وأمام كل مصيبة يقول: ﴿... إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[٩٩]، غلبت فطرته على طبيعته، فصار كالجبل الراسخ لا تحركه العواصف.

بدأت بالتوحيد وانتهيت بالتكبير، فانظر إلى مقام صلاة الطواف ثم انظر إلى مقامك أيها الإنسان.

وتأمل مايعنيه ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾، وانظر هل تمكنت من الوصول إلى هذه المنزلة الرفيعة والمرتبة العظيمة، إذا غلبت الفطرة على الطبيعة والتزمت بالوعود والعهود والأمانات هل وصلت إلى الكلمة التامة «الله أكبر» بكل مصاديقها ومحتواها ومعانيها؟!

نعم، كرر الله أكبر، والله أكبر من كل شيء، ثم بسم الله الرحمن الرحيم، ومن ثم تجديد العهد، سبحان الله تسبيح، والحمد لله تحميد، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، كل هذه الكلمات تأتي تبعا لـ«الله أكبر» فهي المدخل في كل الأمور، ومنها ينفذ الحاج إلى باقي العبادات، فلا شيء أعظم وأكبر من قول «الله أكبر» ولكن لمن تدبر في معانيها، وتأمل في أبعادها.

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[١٠٠].

يقول المفسرون في تفسير هذه الآية المباركة أن الأمة كانت منحصرة في شخص واحد مدة من الزمان، ولم يكن على الأرض موحِّد يوحِّد الله تعالى غيره، ألا وهو سيدنا إبراهيم $!!

وعلى هذا، وأنت تصلي في مقام إبراهيم، وفي ضلع «سبحان الله» ومقطع التوحيد والتسبيح، لابد وأن ترتبط بروح إبراهيم $ وملكوته، وتستشعر بوجوده قربك قائما مصليا، ذاكرا لله تعالى، موحِّدا له.

أنت في الصلاة تحلِّق في عوالم لا صلة لها بالعالم المادي الذي نخوض في غماره صباحا ومساء، تلك العوالم السماوية المجردة تستلب كل مشاعر الإنسان المؤمن وتدفعه للانفلات من ربقة الشهوات المادية الزائفة.

نعم، تلك حقيقة لا يشعر بها إلا العارفون الذين هم أعز وأندر من الكبريت الأحمر.

ويقال أن: «الصلاة معراج المؤمن»، فكما كان رسول الله في معراجه قد نفض عن ذيله الأطهر علائق الدنيا الدنية وتوجه إلى عرش القرب والوصال ومكالمة الكبير المتعال وكلما خرق حجابا من الحجب الجسمانية كبَّر الرب تعالى وكشف بسببه حجابا من الحجب العقلانية حتى وصل إلى عرش العظمة والجلال ودخل مجلس الأنس والوصال، فبعد رفع الحجب المعنوية بينه وبين مولاه كلمه وناجاه فاستحق لأن يتجلى له نور من أنوار الجبروت فركع وخضع لذلك النور فاستحق أن يتجلى عليه نور أعلى منه فرفع رأسه وشاهده فخَرَّ ساجدا لعظمته[١٠١].

وأنت أخي المؤمن، هل تدبرت في حلقات الصلاة وأبعادها، وتأملت أين تبدأ الصلاة وأين تنتهي؟!

لعلك تقول إن هذا الأمر أيسر من أن يحتاج المصلي لإعمال فكره في تحصيل جوابه، ويقول إنها (أي

الصلاة) تبدأ بالتكبير وتنتهي بالتسليم!!

نعم، ولكن لِمَ ننهي صلاتنا بالتسليم بعد أن بدأناها بالتكبير؟ هذا هو محل التساؤل.

إنا عندما شرعنا بالتكبير كنا قد شرعنا في رحلة التحليق السماوية في مناجاة الباري عزوجل، وكنا قد أمضينا تلك الفترة الزمنية المحدودة ماديا والعظيمة روحيا يغمرنا ذلك النور السماوي العظيم في تلك الرحلة المباركة، والتي كان لها أن تنتهي بالحديث النبوي المتعارف بين القادم من رحلته ومن يلتقي به، ألا وهو «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

نعم، إذا كان قد روي عن رسول الله أنه كان يلتفت يمينا ويسارا مسلِّما على من كان بجواره، فإن ذلك تعريف واضح لنا بانتهاء الرحلة السماوية حين التسليم، أي أن المصلي كان في سفرٍ ثم حلَّ أخيرا في الموضع الذي انطلق منه في ذلك السفر.

بلى، إن تلك الحقيقة الكبرى لابد أن نلتفت إليها في صلاة الطواف حيث ندرك ما تشكِّله هذه الصلاة من رحلة سماوية عظيمة، وتحليق مقدس، وانطلاق مبارك من تلك البقاع المطهرة ومن ثم العودة إليها، فكيف يمكن التعامل معها؟! إنها دعوة إلى التأمل والتدبر.

فلسفة حجر إسماعيل

أنت تعلم أخي الحاج بأن حجر إسماعيل هو نصف دائرة في غرب البيت قبالة ميزاب الرحمة، ولابد أن تعلم ما يشكِّله هذا المكان من عظمة وقدسية تتصل بشخصيتين عظيمتين أحدهما نبي الله إسماعيل$، والأخرى أمه هاجر، تلك المرأة الصالحة التي التصق اسمها باسم الهجرة، وأسماها الهجرة إلى الله تعالى ابتعادا عن المعاصي والذنوب وزخارف الدنيا البالية.

تلك البقعة المباركة مدفن هاتين الشخصيتين الجليلتين، وقيل أنه مدفن كثير من الأنبياء أيضا.

أنت تعلم، أخي المؤمن، أن إسماعيل$ نبي كريم من أنبياء الله الصالحين الذين كرمهم الله تعالى، ونعتهم بأسمى النعوت، بل كان إسماعيل$ موصوفا بالصدق في صوره المختلفة: وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا [١٠٢]، والذي أصبح من المسميات والصفات التي يندر أن نجدها في مجتمعاتنا التي غلب عليها الكذب والمخاتلة والنكث والنقض والخداع.

ذلك هو إسماعيل ابن إبراهيم خليل الرحمن عليهما السلام، وأما أمه فهي أَمَة سوداء من أفريقيا، حازت بتقواها وصبرها وثقتها المطلقة بالله تعالى هذه المنزلة العظيمة التي خلدت اسمها على مدى التاريخ، وارتبط ذكراها بأقدس بقعة في الأرض، يطوف بها كل عام الملايين من المسلمين الوافدين من كل حدب وصوب، ومن كل فج عميق، يستذكرون ذلك الموقف العظيم لتلك المرأة المجاهدة التي

أنجبت نبيا من أنبياء الله، وكان مثالا صادقا لماهية الصدق والوفاء.

ذلك النبي الذي ضمته وأمه هذه البقعة المباركة لابد للحاج أن يراهما بوضوح في مخيلته ويتدبر في سيرتهما الرائعة ليهتدي بهداهما، ويسترشد بنور أعمالهما.

انظر كيف جعل الله سبحانه وتعالى هيئة الحِجر حول البيت كحجر الوالدة، فأضحى جزءا من المطاف!! نعم، حجر هذه الأمَة السوداء واسمها ومقامها أصبح بأمر الله تبارك وتعالى جزءا لا يتجزأ من المطاف إلى يوم القيامة!!

في هذه البقعة كان إسماعيل $ يجسّد عظمة الأتقياء والامتثال المطلق لأمر الله تعالى، ذلك النبي الذي لم يتردد أمام ما أبلغه أبوه أنه يريد أن يذبحه امتثالا لأمر الله تعالى، وأنت تعلم كم هي قاسية حز الأعناق، والتي مر بها سيدنا وإمامنا ومولانا أبي عبد الله الحسين $، عطشانا مهموما مفجوعا، دون أن يرتد له جفن أو يرتعد له طرف طاعة لله تعالى واستجابة لأمره.

لما سمع إسماعيل $ ما أُمر به أبوه إبراهيم $، لم يزد على أن قال: ﴿... يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾(١٠٣).

وعلى هذا، لابد حينما تطوف حول البيت أن يكون طوافك طواف العارفين والسالكين إلى الله، وترتبط روحاً وذاتاً بذلك المبدأ العظيم الذي جسّده ذلك النبي الكريم حينما قال: ﴿... يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ !!

عن أبي بصير عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام: «أن إبراهيم $ لما عزم على الذبح قال له إسماعيل: يا أبت خمِّر وجهي وشُدَّ وثاقي، قال: يا بني الوثاق مع الذبح!! والله لا أجمعهما عليك اليوم»، ثم قال أبو بصير: سمعت أبا جعفر $ يقول: «فأضجعه عند الجمرة الوسطى ثم أخذ المِدية ووضعها على حلقه... ثم نودي من ميسرة مسجد الخيف يا إبراهيم قد صدَّقت الرؤيا...»(١٠٤).

انظر أخي الحاج المؤمن، وتأمل في عظمة الصدق والوفاء المتجسدة في موقف ذلك النبي الذي تربى في ذلك الحجر الطاهر، وتدبر قليلا فيما تراه وأنت تدنو من ذلك الحجر، واسأل نفسك: هل بإمكانك أن تكون كذلك النبي؟! وكذا أخواتنا المؤمنات، هل بإمكانهن أن يكونن كهاجر وهي تدفع بولدها وفلذة كبدها إلى الموت دون تردد أو تلكؤ استجابة لإرادة الباري عز وجل؟!

إن المرأة التي تتغلب فيها قوة الإيمان والتسليم المطلق لإرادة الله سبحانه على العواطف الجياشة والمشاعر العظيمة للأمومة، تلك المرأة تكون كهاجر أينما كانت وفي أي زمان ومكان.

وأما الولد المطيع لله تعالى من خلال الاستجابة لطلب أبيه هو إسماعيل $ في كل عصر وفي كل مكان، ولابد بفعله يقول كما قال إسماعيل لأبيه إبراهيم عليهما السلام: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾.

بلى أخي، إن لكل منسك ومشعر في الحج فلسفة وبُعداً لا بد من الالتفات إليه والتدبر في معانيه، وإلا خلا حجنا من أي معنى وأي مغزى.

وحتى الانحدار صوب البحر المتلاطم من الحجيج في موسم الحج يثير في خاطر الحاج معاني سامية يريد الله تعالى إدراكها وفهمها.

نحن إذ نهيئ أنفسنا من الآن لموسم الحج نكون قد دخلنا في المطاف إن شاء الله تعالى، وهذا المدعو زيد وعمرو وخالد الذي كان في بلده عندما شدّ الرحال نحو بيت الله الحرام، وانسلخ من تلك النفس البشرية الغارقة في الشهوات والملذات، وانصهر في تلك البوتقة النورانية العظيمة مع تلك الجموع الملبية والسائرة في تلك البقاع المطهرة التي جعلها الله تبارك وتعالى قبلة للمسلمين ومحط الأنظار المؤمنين.

إن تلك البقاع التي كانت يوما من الأيام قاعا صفصفا، وقفارا خالية، وحيث أسكن إبراهيم $ من ذريته، فأمست بفضل الله وعمارة البيت وبفضل دعاء إبراهيم $ أرضا تلهج بذكرها قلوب المؤمنين، وترجف لصدى تلبية زوارها فرائص المتقين.

قال الله تبارك وتعالى حاكيا على لسان إبراهيم $: رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ [١٠٥].

واستجاب الله تعالى دعوة رسوله وخليله، وأصبح ذلك الوادي القاحل من أفضل البقاع، وأمنية القاصدين لرضا الله تبارك وتعالى، وأصبحت لتلك الآثار والمواقف التي مر بها نبي الله إبراهيم وابنه إسماعيل وزوجته هاجر#، والتي سجلها لنا القرآن الكريم، مناسك وعبادات ترتبط موضوعيا بعلة نشأتها، وإدراك ذلك لا يتأتى إلا لمن استضاء بنور الله تعالى وهديه، ولم يقع عليها أصمّا وأعمى، بل كان في ذلك كله بصيرا عارفا مدركا.

رزقنا الله تعالى وإياكم حج بيته الحرام في كل عام، وأداء مناسكه وتجسيدها بالشكل الذي يريد ويرضى إنه على كل شيء قدير.

الحجر الأسود وفلسفته

من الثابت والمعروف أن الطواف يبدأ من الحجر الأسـود ويختتم به، أي وكما قيل: منه وإليه، ويؤكده قول الإمام الصادق $ حيث يقول أن الطواف من الحجر الأسود إلى الحجر الأسود[١٠٦].

وعلّنا نسأل عن علة ذلك وفلسفته، ولِمَ نمدّ أيدينا إليه؟! وما الحكمة في ذلك؟!

هذا التساؤل فيه كثير من إعمال الفكر في تدبر المناسك العبادية التي تؤدّى في الحج، وهو خير من أن نمر عليها مرور الكرام دون فهم أو تدبر أو تفحص.

أولا قد يقع كلامنا في ماهية هذا الحجر، وفي ذلك تساعدنا جملة من الروايات المروية عن أهل بيت العصمة عليهم آلاف التحية والتسليم، ثم نلتفت بعد ذلك مباشرة إلى علة استلام الحجاج لهذا الحجر والحكمة في ذلك، وهو ما توضحه لنا الروايات الشريفة أيضا.

يروى أنه لما استلم عمر بن الخطاب الحجر قال: أما والله إني لأعلم أنك حجر لا يضر ولا ينفع، ولولا أن رسول الله استلمك ما استلمتك، فقال له علي $: «مه يا أبا حفص، لا تفعل، فإن رسول الله لا يستلم إلا لأمرٍ قد علِمَه، ولو قرأتَ القرآن فعلمتَ من تأويله ما علِمَ غيرك لعلِمْتَ أنه يضرُّ وينفع، له عينان وشفتان ولسانٌ ذَلِقٌ يشهدُ لمن وافاه». فقال له عمر: فأوجدني ذلك من كتاب الله يا أبا الحسن، فقال علي $: «قوله تبارك وتعالى: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ [١٠٧]، فلما أقرّوا بالطاعة بأنه الرب وهم العباد أخذ عليهم الميثاقَ بالحج إلى بيته الحرام، ثم خلَقَ اللهُ رِقّاً أرق من الماء وقال للقلم اكتب موافاة خَلْقي بيتي الحرام فكتب القلم موافاة بني آدم في الرق، ثم قيل له افتح فاكَ، ففتحه فألقمه الرق، ثم قال له: احفظ واشهد لعبادي بالموافاة، فهبط الحجر مطيعاً لله، يا عمر، أوَليس إذا استلمتَ الحجَرَ قلت أمانتي أديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة!!»[١٠٨].

الروايات تذكر بأن استلام الحجر الأسود هو تأكيد المبايعة والعهد السابق الذي أعطاه ابن آدم لربه من قبل - يوم قال شَهِدْنَا - وهذا الحجر يشهد له بالموافاة والالتزام بالعهد.

روى الحلبي عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام أنه قال: «إن الله عز وجل حيث أخذ ميثاق بني آدم دعا الحجر من الجنة فأمره فالتقم الميثاق، فهو يشهد لمن وافاه بالموافاة»[١٠٩].

وفي أجوبة المسائل التي سئل عنها الإمام علي بن موسى الرضا $ أجاب عن علة استلام الحجر بقوله: «إن الله تبارك وتعالى لما أخذ مواثيق بني آدم التقمه الحجر، فمن ثم كلَّف الناس بمعاهدة ذلك الميثاق، ومن ثم يقال عند الحجر: أمانتي أديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة»[١١٠].

وقال أبو جعفر الباقر $: «الحجر كالميثاق، واستلامه كالبيعة»، وكان إذا استلمه قال: «اللهُمَّ أمانتي أديتها وميثاقي تعاهدته ليشهد لي عندك بالبلاغ»[١١١].

وفي رواية بكر بن أعين عن الإمام الصادق $ الكثير من التوضيح والتفصيل لما يتعلق بهذا الأمر.

قال: سألت أبا عبد الله $ لأي علة وضع الله تبارك وتعالى الحجر في الركن الذي هو فيه، ولَمْ يوضع في غيره؟! ولأي علة يُقبَّل؟! ولأي علة أُخرج من الجنة؟! ولأي علة وُضِع ميثاق العباد والعهد فيه ولم يوضع في غيره؟! وكيف السبب في ذلك؟! تخبرني جعلني الله فداك، فإن تفكُّري فيه لعجب.

قال: فقال $: «سألت وأعضلت في المسألة، واستقصيت فافهم الجواب، وفرِّغ قلبك، واصغ سمعك، أخبِرُك إن شاء الله تعالى، إن الله تبارك وتعالى وضع الحجر الأسود، وهي جوهرة أُخرجت من الجنة إلى آدم $، فوُضعت في ذلك الركن لعِلَّة الميثاق، وذلك أنه لما أُخِذ من بني آدم من ظهورهم ذريتهم حين أخذ الله تبارك وتعالى عليهم الميثاق في ذلك المكان، وفي ذلك المكان تراءى لهم، ومن ذلك المكان يهبط الطير على القائم $، فأول من يبايعه ذلك الطير، وهو والله جبرئيل $، وإلى ذلك المقام يسند القائم ظهره، وهو الحجة والدليل على القائم، وهو الشاهد لمن وافاه في ذلك المكان، والشاهد لمن أدَّى إليه الميثاق والعهد الذي أخذ الله عزوجل على العباد، وأما القُبلة والاستلام فلعلَّة العهد تجديدا لذلك العهد والميثاق وتجديدا للبيعة ليؤدوا إليه العهد الذي أخذ الله عليهم في الميثاق، فيأتوه في كل سنة ويؤدوا إليه ذلك العهد والأمانة الذَين أُخِذا عليهم، ألا ترى أنك تقول: أمانتي أديتها، وميثاقي تعاهدته، لتشهد لي بالموافاة!!»[١١٢].

إذاً فالمستوحى من تلك الروايات السالفة الذكر أن عند الحجر الأسود يؤكد المؤمن الحاج التزامه بما عاهد الله تعالى عليه من قبل، والبيعة الأخرى والتعاهد الموثَّق مع خالقه بأن لا يعبد سواه، ولا يتخذ من دونه أرباباً.

قال رسول الله : «طوفوا بالبيت واستلموا الركن، فإنه يمين الله في أرضه يصافح بها خلقه»[١١٣].

فإذا كان هذا الحجر يمين الله تبارك وتعالى في أرضه، فإن في استلامه من قِبَل المؤمن تجسيدا عمليا للمبايعة، كما يبايع الضعيف القوي بأن يكون مطيعا له وتابعا ومنقادا إليه، ومترجما ذلك بالمصافحة المعروفة.

أنت عند استلامك الحجر المقدّس تكون قد أكدت بيعتك السابقة، وألزمت نفسك بالطاعة مرة أخرى، فتأمل كيف يجب أن يكون حالك بعد ذلك لتطوف مع الطائفين وتؤدي مناسك حجك الباقية.

نعم، أنت حينما قصدت حج بيت الله الحرام، وانطلقت من مدينتك، خلعت أثواب التفاخر والتباهي، وأعرضت عن زينة الحياة الدنيا صفحا، وطويت عن ملذاتها الزائلة كشحا، واتجهت نحو الوجود الحقيقي والغاية العظمى.

تركت في مدينتك ذلك الإنسان الذي لم يكن همه إلا اقتناص متع الدنيا والعدْو خلف ملذاتها الكاذبة، وارتفعت نحو المتع الدائمة، والملذات الخالدة، والسعادة المقيمة الأبدية.

بلى، فأنت عند ذلك قد انسلخت من عالم الماديات وارتفعت بروحك في عالم المثاليات، وتوّجت ذلك بتأكيد بيعتك وعهدك مع ربك قائلاً: أمانتي أديتها، وميثاقي تعاهدته، لتشهد لي بالموافاة...

ولا أخفيك أخي المؤمن إن ما يسمو بالإنسان نحو تلك الدرجات العالية والكمالات الرفيعة هو الحب، والانصهار في بوتقة العشق الإلهي المحض، فأنت حينما تتأمل في هذا البيت الذي وُضع مثابة للناس وأمنا تشعر باستلاب حواسك ومشاعرك، ولا تملك نفسك من البكاء والنشيج حبا وولها بهذا البيت المبني من الحجارة ليس إلا.

نعم، لقد تجسد حبك لله تبارك وتعالى في هذه البنية الطاهرة، فنسيت هذا الزحام الكبير والأمواج البشرية المتلاطمة وهو يميل بك يمنة ويسرة، وانشغلت بالنظر إلى الكعبة، فجعل الله نظرك إليها عبادة، إنه هو الحب العظيم لخالقك جل اسمه.

كان يروى عن أحد كبار العلماء والمعروف بحبه لأمير المؤمنين علي $، أنه ما أن يخطو في حرم أمير المؤمنين $ حتى يشرع بالبكاء بحرقة وصدق لا يخفى على أحد، ولما يُسأل عن ذلك يقول إنه الحب لعلي $!!

ويُروى عنه أيضا أنه في أواخر حياته رحل إلى الهند لجمع الروايات الخاصة بفضائل أمير المؤمنين $، والموجودة في كتب العامة والنادرة في الهند، ووفّقه الله تبارك وتعالى في تحقيق ذلك الأمر، وحصل على مجموعة نادرة من تلك الكتب، فانكب رحمه الله تعالى على مطالعتها واستنساخها وبمعدل ٢٠ ساعة في اليوم، رغم حرارة الجو والرطوبة المؤذية، حتى أن صاحب الدار الذي كان نازلا عنده تعجب من صبره وقوة تحمله، وهو غير المعتاد على هذا الجو المتعب الذي لا يخفى على أحد، فسأله مرة عن كيفية احتماله لهذا الأمر، وهنالك قال العالم: في تلك اللحظة وبعدما نبهني صاحبي شعرت بحرارة الجو ورطوبته!!

إن حبه لعلي $ أنساه كل ما كان يحيطه من ظروف صعبة وقاسية، بل وأنساه مشقة الجهد المتواصل في عمله المبارك، وهذا نموذج صغير وكبير في آن واحد على ما يعنيه الذوبان في الحب الإلهي والممتد لأوليائه الصالحين، وعباده المنتجبين.

وهكذا، فإنا نلخّص معاهدتنا للحجر الأسود بما يلي:

١- تأكيد المبايعة وتوثيقها مع الله تبارك وتعالى.

٢- استشعار لذة الحرية والانسلاخ من ربق الدنيا وقيودها.

٣- التحليق في عالم المُثُل والجذبة إلى أعلى مقامات القرب من خلال الذوبان في العشق الإلهي العظيم.

الصلاة خلف مقام إبراهيم $ وفلسفتها

قال الله تبارك وتعالى: ... وَاتَّخِذُوا مِن مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى... [١١٤].

ذهب الفقهاء إلى أن الحاج إذا انتهى من طوافه فإن عليه أن يصلي ركعتي الطواف خلف مقام إبراهيم $، وإن منعه الزحام فإنه يصلي حيال المقام، وإن عسر ذلك أيضا فحيث أمكن من المسجد، ويقضيهما حيث كان عند التعذّر.

وأما لو نسي الركعتين فيجب عليه الرجوع والإتيان بهما.

وتوضيح ذلك فيما ورد من روايات صحيحة عن أهل بيت العصمة #.

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام: «إذا فرغت من طوافك فأتِ مقام إبراهيم $ وصلِّ ركعتين، واجعله أمامك، واقرأ في الأولى منها بعد الحمد سورة التوحيد قل هو الله أحد وفي الثانية قل يا أيها الكافرون، ثم تشهّد واحمد الله تعالى واثن عليه، وصلِّ على النبي واسأله أن يتقبل منك»[١١٥].

وقال $ في موضع آخر: «لا ينبغي أن تصلي صلاة طواف الفريضة إلا عند مقام إبراهيم $، أما التطوع فحيث شئت من المسجد»[١١٦].

يقول الشيخ الطوسي رحمه الله في كتابه النهاية: إذا فرغ الإنسان من طوافه أتى مقام إبراهيم $ وصلّى ركعتين، يقرأ في الأولى منهما الحمد وقل هو الله أحد، وفي الثانية الحمد وقل يا أيها الكافرون. وركعتا طواف الفريضة فريضة مثل الطواف على السواء، فمن نسي هاتين الركعتين، أو صلاهما في غير المقام ثم ذكرهما فليعد إلى المقام وليصلِّ فيه.

ووقت ركعتي الطواف إذا فرغ منه - من الطواف - في أي وقت كان، من ليل أو نهار، سواء كان ذلك بعد العصر أو بعد الغداة، اللهُمَّ إلا أن يكون الطواف نافلة، فإنه متى كان كذلك وطاف بعد الغداة أو بعد العصر أخَّر الصلاة إلى بعد طلوع الشمس أو بعد الفراغ من المغرب.

وذكر سلاّر رحمه الله في المراسم: إذا فرغ من طوافه وهو سبعة أشواط فليصلِّ في مقام إبراهيم $ ركعتي الطواف، يقرأ في الأولى الحمد والإخلاص، وفي الثانية الحمد وقل يا أيها الكافرون.

وفي جواهر الفقه لابن البراج رحمه الله تعالى يجيب عن وجوب ركعتي الطواف بقوله: ركعتا الطواف واجبتان لقوله سبحانه: ...وَاتَّخِذُوا مِن مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى... ، فأمر بالصلاة عند

مقام إبراهيم $، والأمر الشرعي يقتضي الوجوب.

وقال رحمه الله تعالى أيضا في المهذَّب: فإذا وصل إلى المسجد الحرام دخله من باب بني شيبة فطاف بالكعبة سبعة أشواط للعمرة المتمتع بها، وصلّى ركعتين عند فراغه من الطواف خلف مقام إبراهيم $.

وفي فقه الراوندي رحمه الله تعالى يذكر: وقال تعالى ...وَاتَّخِذُوا مِن مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى... ، قال الشعبي وقتادة: أُمروا أن يصلوا عنده، وهو المروي في أخبارنا، وبذلك يُستدل على أن صلاة الطواف فريضة مثل الطواف، لأن الله تعالى أمر بذلك والأمر في الشرع يقتضي الوجوب، وليس ههنا صلاة يجب أداؤها عنده غير هذه.

وذكر في موضع آخر: وقوله تعالى ...وَاتَّخِذُوا مِن مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى... ، قيل فيه أربعة أقوال: قال ابن عباس: الحج كله مقام إبراهيم، قال: عطاء: مقام إبراهيم عرفة والمزدلفة والجمار، وقال مجاهد: الحرم كله مقام إبراهيم، وقال السدي: هو الحجر الذي فيه أثر رجلي إبراهيم $.

قال ابن عباس: قالت زوجة إسماعيل لإبراهيم $ وكان راكبا: انزل حتى أغسل رأسك، فلم ينزل، فجاءت بالمقام فوضعته على شقه الأيمن فوضع قدمه عليه فبقي أثر قدمه عليه فغسلت شق رأسه الأيمن ثم حولت المقام إلى شقه الأيسر فبقي أثر قدمه عليه فغسلت شق رأسه الأيسر، أمر الله تبارك وتعالى بوضع ذلك الحجر قريبا من الحجر الأسود، وأن يصلي عنده بعد الطواف، وهو الظاهر في أخبارنا.

وأما الصدوق فقد روى في علل الشرائع عن أبي عبدالله $ أنه قال: «لما أوحى الله تعالى إلى إبراهيم $ أن أذِّن في الناس بالحج، أخذ الحجر الذي فيه أثر قدميه، وهو المقام، فوضعه بحذاء البيت لاصقا بالبيت بحيال الموضع الذي هو فيه اليوم، ثم قام عليه فنادى بأعلى صوته بما أمره الله تعالى، فلما تكلم بالكلام لم يحتمله الحجر فغرقت رجلاه فيه، فقلع إبراهيم $ رجليه من الحجر قلعاً»[١١٧].

وأما ابن إدريس رحمه الله تعالى فقال في كتابه السرائر: فإذا فرغ الإنسان من طوافه أتى مقام إبراهيم، ويصلي فيه ركعتين، يقرأ في كل ركعة منهما الحمد وما يتيسر له من القرآن، ما عدا سور العزائم. وركعتا طواف الفريضة فريضة مثل الطواف على الصحيح من أقوال أصحابنا، فمن نسي هاتين الركعتين أو صلاهما في غير المقام ثم ذكرهما فليعد إلى المقام وليصلِّ فيه، ولا يجوز أن يصلي في غيره.

إذاً مما تقدم يتبين لنا وجوب هذه الصلاة، وخلف هذا المقام الطاهر الذي تذكر جملة من الروايات أنه أثر قدم إبراهيم $ عندما شرع ببناء البيت المحرم، وفي ذلك دلالة واضحة على مكانة هذا النبي

الكريم لأن يُتّخذ أثره مكانا للصلاة من قِبَل الجموع التي لا عد لها ولا حصر منذ فرض الله تعالى الحج وحتى يرث الأرض ومن عليها.

نعم، إن هذه الصلاة شرط قبول الطواف، وتتويج خاتمته. ولكن أين؟! إنه خلف مقام إبراهيم علية السلام.

يقول علماء الأخلاق: الحال مقدمة للمقام!! وبعد استيفاء حق الحال يتبدل هذا الحال إلى مَلَكَة دائمة ثابتة فاضلة في وجود الإنسان تسمى بالمقام، مثل مقامات الصبر والشكر والرضا و... و... إلخ.

في هذا المقام يتجلى فيه الصدق والوفاء والصبر بأبهى صوره، إنه مقام حب الله تعالى، بل ومقام الإمامة العظيم الذي منحه الله تبارك وتعالى لنبيه الكريم إذ قال له: ﴿... إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا...﴾[١١٨]، وفي ذلك تكريم إلهي لهذه الدرجة السامية والرفيعة التي منَّ الله بها على أهل بيت رسول الله .

ومن ثم، فإنا عندما نقف هذا الموقف يجب أن ترتسم في أذهاننا ما تعنيه صفة الخليل التي أضفاها الله تبارك وتعالى على نبيه إبراهيم $ حيث يقول تبارك وتعالى: ﴿... وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾[١١٩]، وكيف استحق هذا الوسام السماوي الذي لا يسع أحد وصفه[١٢٠].

إن وصول إبراهيم $ إلى تلك الدرجة العظيمة لم يتم إلا بفداء ثلاثة أشياء:

١- فداء الكل

٢- فداء الجزء

٣- فداء الغير

ولنا أن نتساءل عن تلك الأشياء المذكورة وماهيتها، وذلك لا يتأتى إلا من خلال استقراء السيرة الذاتية لإبراهيم $ من خلال هذه النقاط الثلاثة.

١- فداء الكل:

وهو إقدام إبراهيم $ على تحمل الحرق بالنار رغم قساوته الرهيبة برضا تام وتسليم مطلق لإرادة الله عزوجل، بل وإيمان راسخ أن فداء كل شيء في طريق الحب الإلهي لا يُعد شيئا يستحق من أجله التفكير، وهذا أعظم درجات العشق الإلهي الذي لا يرى معها المخلوق شيئا له أي معيار أو أهمية.

إذاً من أراد أن يتخذ من إبراهيم $ قدوة عليه أن يسلك مسلكه هذا وينطلق في هذا الطريق العظيم.

٢- فداء الجزء:

ليس هناك أعظم في قلب الأب من حب ولده وفلذة كبده، بل وكم رأينا من الآباء من لا يتردد من أن يقدِّم حياته قرباناً وفداءً لولده، أو أن يتحمل من أجله مرارة العيش وقسوة الزمان بلا تردد أو تلكؤ.

إن حب الأبناء حقيقة لا يختلف فيها اثنان، واستعداد الآباء لتقديم أغلى ما يملكون لأبنائهم أمر ثابت، وعدم تحملهم لرؤية آلام أبنائهم مهما تضاءلت لا يخفى على أحد، ولكن ما تقول بمن يشد وثاق ولده ويمرر السكين على عنقه ليذبحه، مع عظيم حبه له وتعلقه به، لأنه رأى أنه مأمور بذبحه استجابة لأمر الله تعالى، فاندفع في ذلك الأمر الرهيب دون تردد رغم أن قلبه كان يتقطع ويتفتت، إلى أن فداه الله بكبش سمين!!

من منا يملك هذه الإرادة الجبارة التي تنبعث من إيمان مطلق بالله تعالى، وانقياد مطلق لإرادته!!

إنها الدرجة الإيمانية الرفيعة التي تجعل من المؤمن في سموٍّ وتنزّهٍ عن زينة الحياة الدنيا إذا ما تم مقايضتها بالخلود الأبدي.

٣- فداء الغير:

لقد كانت النتيجة المعروفة لتصديق إبراهيم $ الرؤيـــا قوله تبارك وتعالى: وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ [١٢١]، وظاهر الأمر في ذلك هو فداء إسماعيل $ بكبش من الجنة نُحِر عوضا عنه، ولكن باطن الأمر وملكوته أعظم من ذلك وأكبر، لقد كان الأمر باستمرار خط النبوة الخالد، ووصوله من إبراهيم $ إلى محمد ، ومن ذرية إسماعيل $.

لو أذن الله تعالى لإبراهيم بذبح ولده إسماعيل عليهما السلام، لما وُلد محمد ، وذلك أمر محال، وثابت وجوده في أم الكتاب، لا تبديل فيه ولا تغيير، ولكن من هو الذبح العظيم؟!

أخي المؤمن: أنت سمعت كرارا هذا الحديث النوراني من رسول الله حيث يقول: «حسين مني وأنا من حسين»[١٢٢]!!

«حسين مني»، أمر واضح وجلي بأن الإمام الحسين $ هو سبط الرسول الأعظم ومن صلبه، ولكن ماذا كان يعني رسول الله بكلمته «وأنا من حسين»!!

حسب ما ورد في بعض الروايات أنه في عالم الغيب والملكوت قبِل الإمام الحسين $ أن يكون هو الذبح العظيم يوم الفداء الأكبر والتضحية العظمى يوم عاشوراء!!

وعلى هذا فقتل الحسين $ واستشهاده في أرض كربلاء كان لاستمرار خط النبوة إلى أن تصل إلى خاتم الأنبياء والرسل محمد ، وعلى هذا قال رسول الله : «وأنا من حسين».

لقد بقي إسماعيل $ لتصل النبوة إلى رسول الله ، وفدى بولده سيد الشهداء الإمام الحسين $.

فنال تلك المنزلة العظيمة والخالدة.

عود على بدء:

وأخيرا ونحن نحط في آخر مراحل هذه المحطة المقدسة من المناسك العبادية في موسم الحج العظيم، فعلينا أن نتذكر بأنّا عندما نستكمل مراحل الطواف نجد أن الأمر الإلهي يوجب علينا التوجه نحو مقام إبراهيم $... لماذا؟!

إن الله تبارك وتعالى يريد أن يعيّن لنا قائدا ربانيا اختاره جل اسمه لأن يقودنا في معترك هذه الحياة نحو واحة الأمن والأمان والسعادة الأبدية الخالدة.

من هو ذلك القائد الذي أمرنا الله تعالى بعد إتمام الطواف أن نسترشد بهديه وننقاد بقيادته؟! إنه إبراهيم الخليل $ الذي توّجه الله تبارك وتعالى بأن جعله إماما بعد أن كان نبيا: ... إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً... (١٢٣).

إن الباري جل اسمه يريد أن يبين للناس أن تتويج عباداتهم يكون باتباع الإمام الذي نصبه هو تبارك وتعالى، وأن العبادات كلها تُزَكّى به ولا تُقبَل بدونه.

ثم هل خطر ببالك أخي المؤمن لماذا يركز الفقهاء على أن يكون الطواف بين الكعبة ومقام إبراهيم $؟! لابد أنك تساءلت كما تساءل غيرك، ولعل البعض سلّم على أنها من المناسك لا غير ولا داعي للتساؤل فيه، ولكن لو تأملت قليلا وتدبرت في ذلك لأدركت الجانب الخفي فيه.

إن في ذلك الأمر توضيح للارتباط القوي بين التوحيد والإمامة، وتبيان رائع وواضح لدور القائد الذي لولاه لضاع كل شيء وانتهى.

إن الأئمة من أهل بيت العصمة # يشكّلون الخط الإلهي الذي يتولى قيادة البشرية نحو العبادة الحقة والمتمثلة بالتوحيد، ولا يمكن لأحد أن يدّعي صحة توحيده لله تبارك وتعالى إذا لم يهتدِ بهداهم ولم يقتدِ بهم، فهم الأوصياء الذين أمر الله جل اسمه بوجوب طاعتهم كما أمر بوجوب الصلاة خلف مقام إبراهيم $ بعد إتمام الطواف، فهل أدركت العلة في ذلك؟!

ثم إنك أخي المؤمن تستطيع لو عملت جدك واجتهادك وأخلصت نيتك لله تبارك وتعالى أن تصل إلى المقامات الثلاثة التي ذكرناها آنفا، فداء الكل وفداء الجزء وفداء الغير.

كما أنك تستطيع أن تجعل صبحك صبحا إبراهيميا كما نبتغي جميعا، وذلك إذا عمدت منذ الآن إلى بناء كعبة الإيمان في نفسك وقلبك بناءً إلهيا قويما، فلا غيبة ولا نميمة ولا كذب ولا رياء ولا سرقة ولا ظلم ولا... ولا... إلخ.

إن هذا هو سبيل إبراهيم $، وسبيل جميع الأنبياء #، بل هو سبيل سيد الأنبياء رسول الله

وأهل بيته المعصومين#، فهل نتخذهم أئمة ونقتدي بهم ونهتدي بنورهم!!

أخي الحاج، إن كان مقام قدم إبراهيم $ على الحجر ونال من الله هذه المرتبة العظيمة بأن جعل من مقامه مصلًّى، فكيف بمن كان مقام قدمه هو كتف رسول الله !!

نعم، لقد كان مقام قدم علي $ هو كتف الرسول الأعظم والنبي الأكرم .

فما علا ظهر نبي إلا علي $ الذي علا ظهر رسول الله حينما أرادا أن يحطما الأصنام التي كانت على سطح الكعبة!!

قال علي $: قال لي رسول الله : «إن أول من كسر الأصنام جدك إبراهيم، ثم أنت يا علي آخر من كسر الأصنام»[١٢٤].

نعم، بدء تحطيم الأصنام والأوثان حول بيت الله الحرام كان على يد أبو الأنبياء إبراهيم $، وختامه كان على يد سيد الأوصياء علي $!! فالبدء كان على يد إمام والختام كان على يد إمام!!

وأما إبراهيم زماننا فهو الوجود المقدس لمولانا ومقتدانا وولي أمرنا صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، هو قائدنا وإمامنا الذي قال فيه رسول الله : «من أحَبَّ أن يلقَى الله وقد كمُلَ دينُه وحَسُنَ إسلامُه فلْيَتَولَّ الحجةَ صاحبَ الزمانِ المنتظَر»[١٢٥].

لنشرع جميعا بالتأمل في أبعاد عباداتنا وصدقها لعل الله تعالى يجعلنا من يحجّون حجّا إبراهيميا في هذا العام وفي كل عام إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

السعي

هو الواجب الرابع من واجبات عمرة التمتع، وهو من الأركان أيضا، فلو تركه عمداً بطل حجه، سواء في ذلك العلم بالحكم أو الجهل به.

سئل الإمام الصادق$ عن رجل ترك السعي متعمدا، فقال$: «لا حج له»[١٢٦].

ويعتبر في السعي قصد القربة، وذلك معلوم ثابت في كل الأفعال.

أما الطهارة من الحدث والخبث فهي مستحبة في السعي وغير واجبة.

قال الإمام الصادق$: «لا بأس أن تقضي المناسك كلها على غير وضوء إلا الطواف فإن فيه صلاة»[١٢٧].

وسئل$ عن رجل يسعى بين الصفا والمروة ثلاثة أشواط أو أربعة ثم يبول، أيتم سعيه بغير وضوء؟! فقال$: «لا بأس، ولو أتم نسكه بوضوء لكان أحب إليّ»[١٢٨].

ومن مستحبات السعي أيضا استلام الحجر، والشرب من ماء زمزم، والصب على الرأس والجسد منه والخروج إلى الصفا من الباب المقابل للحجر على سكينة ووقار، والصعود على الصفا لرؤية البيت، واستقبال الركن الذي منه الحجر، والدعاء بالمأثور، والتكبير والتهليل والتحميد.

كما أنه يعتبر في السعي النية، بأن يأتي به عن العمرة إن كان في العمرة، وعن الحج إن كان في الحج، قاصدا به القربة إلى الله تعالى.

ويجب فيه السعي سبعة أشواط، يبدأ بالسعي من أول جزء من الصفا، ثم يذهب بعد ذلك إلى المروة، وهذا يُعدّ شوطا واحدا، ثم يبدأ من المروة راجعا إلى الصفا، إلى أن يصل إليه، فيكون الإياب شوطا آخر.

كما أنه يجوز للحاج السعي ماشيا أو راكبا، وإن كان المشي أفضل.

سئل الإمام الصادق $ عن السعي بين الصفا والمروة راكبا فقال: «لا بأس والمشي أفضل»[١٢٩].

ثم أنه يجب استقبال المروة عند الذهاب إليها، وكذا استقبال الصفا عند الرجوع إليه، فلو استدبرهما عند الذهاب والإياب لم يجزئه ذلك.

أحكام السعي

تقدم القول منا بأن السعي من أركان الحج، فلو تركه عامدا عالما بالحكم أو جاهلا به إلى زمان لا يمكنه التدارك قبل الوقوف بعرفات بطل حجه، ولزمته الإعادة من قابل.

قال الصادق $: «من ترك السعي متعمدا فعليه الحج مِنْ قابِل»[١٣٠].

كما أن حكم الزيادة في السعي حكم الزيادة في الطواف، فيبطل السعي إذا كانت الزيادة عن علم وعمد على ما تقدَّم في الطواف.

قال الإمام الصادق $: «الطواف المفروض إذا زدت عليه مثل الصلاة فإذا زدت عليها فعليك الإعادة، وكذلك السعي»[١٣١].

وأما إذا نقص من أشواط السعي عامداً عالماً بالحكم، أو جاهلا به ولم يمكنه تداركه إلى زمان الوقوف بعرفات فسد حجه ولزمته الإعادة من قابل.

حكم الشك في عدد الأشواط من السعي حكم الشك في عدد الأشواط من الطواف فإذا شك في عددها بطل سعيه.

هذا ولا تجب الموالاة بين أشواط السعي، فللحاج الساعي الجلوس والاستراحة، أو أداء الصلاة الواجبة وقضاء الحاجة.

فلسفة السعي

ذكرنا فيما تقدَّم أن لكل عمل وحكم سر وفلسفة وحكمة، وتعرضنا فيما سبق لأسرار المناسك السابقة، وسنحاول هنا أن نتعرض لفهم فلسفة السعي.

وقبل أن نشرع بالتعرض لفلسفة السعي، لابد لنا من مدخل توضيحي يبين لنا بعض الجوانب المتعلقة بهذا الركن من أركان الحج.

يطلق اسم الصفا لغويا على الحجر الصلب الصافي، وأما المروة فيطلق على الحجر الخشن.

وأما روايات أهل البيت # المتعرضة لتوضيح السعي بين الصفا والمروة فهي كثيرة نستعرض جانبا منها قبل الخوض في فلسفته.

روى أبو بصير عن الإمام الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال: «ما من بقعة أحب إلى الله تعالى من المسعى، لأنه يُذَلُّ فيه كلُّ جبار»[١٣٢].

وسئل $ في موضع آخر: لِمَ جُعِل السعي؟! فقال: «مَذَلَّة للجبارين»[١٣٣].

وأما علة ذلك السعي فبيَّنها الإمام $ بقوله: «إن إبراهيم $ لما خلّف إسماعيل $ بمكة عطش الصبي وكان فيما بين الصفا والمروة شجر فخرجت أمه حتى قامت على الصفا فقالت: هل بالوادي من أنيس؟! فلم يجبها أحد، فمضت حتى انتهت إلى المروة فقالت: هل بالوادي من أنيس؟! فلم يجبها أحد، ثم رجعت إلى الصفا فقالت كذلك حتى صنعت ذلك سبعاً فأجرى الله ذلك سُنَّة، فأتاها جبرئيل $ فقال لها: مَن أنتِ؟! فقالت: أنا أم ولد إبراهيم، فقال: إلى من وكلكم؟! فقالت: أما إذا قلت ذلك فقد قلت له حيث أراد الذهاب يا إبراهيم إلى من تكلنا؟! فقال إلى الله تعالى، فقال جبرئيل: لقد وكلكم إلى كافٍ.

قال: وكان الناس يتجنبون الممر بمكة لمكان الماء، ففحص الصبي برجله، فنبعت زمزم، ورجعت من المروة إلى الصبي وقد نبع الماء، فأقبلت تجمع التراب حوله مخافة أن يسيح الماء، ولو تركته لكان سيحا.

قال: فلما رأت الطير الماء حلَّقت عليه، فمرَّ ركب من اليمن، فلما رأوا الطير حلَّقت عليه قالوا: ما حلَّقَت إلا على ماء، فأتوهم ليستقونهم، فسقوهم من الماء وأطعموا الركب من الطعام، وأجرى الله تعالى لهم بذلك رزقا، فكانت الركب تمر بمكة فيطعمونهم من الطعام ويسقونهم من الماء»[١٣٤].

ماذا نستشف من هذه الروايات؟! وماذا يمكننا من خلالها تحديد أبعاد وفلسفة السعي الذي ذكرنا بأنه سبعة أشواط بين الصفا والمروة؟!

إن هذا الفهم لا يتأتى لنا إلا خلال استقراء جملة تلك الأبعاد بصورة متأنية ومتدبرة.

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَأَنَّ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾[١٣٥]، أي أن الإنسان لا يصل إلى الدرجات العلى والمقام الأسمى إلا بواسطة السعي والعمل الجاد والمخلص في طريق العبادة المقدس.

ثم إن السعي هنا يختلف في أبعاده الموضوعية عن أشكال السعي الأخرى الذي يمكن لنا أن نبينها ونفصِّلها فالله تبارك وتعالى يقول: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ...﴾[١٣٦]، وأنت في طوافك كنت سابحا في العالم الملكوتي المرتبط بإسماعيل $ -وكنا قد أشرنا إلى ذلك سابقا عند حديثنا المتقدم عن حجر إسماعيل $- ثم انتقلت إلى عالم إبراهيم $ ووقفت في مقام الإمامة العظيم عندما صليت ركعتي الطواف خلف مقام إبراهيم $، ثم ها أنت تعود إلى عالم تلك المرأة الصالحة التي خلَّفها

إبراهيم $ مع ولدها في أرض مكة القاحلة، وها أنت أيضا تخطو عين خطواتها بين الصفا والمروة وهي تبحث عن الماء حيث لا ماء فعلي ومادي يمكنها أن تجده إذا بحثت بعينيها وتتحسسه بيديها، ولكنها - وهنا يكمن السر الذي يجب أن لا يخفى علينا - كانت تحلّق في عالم آخر، وتنظر إلى مدى بعيد.

لقد كانت إرادة الله تعالى قادرة على إخراج الماء من تحت رجلي إسماعيل $ بسهولة ويُسر، ولكن كان لأمه أن تسعى: وَأَنَّ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى .

أنت تطوف بين التوحيد والإمامة، وتسعى بحثا عن النور الذي تستهدي به في ظلم الجهل والتخلُّف، واللهاث خلف شهوات الدنيا الفانية ومتاعها الرخيص.

إن الله تبارك وتعالى يريد أن يقول لك أيها الإنسان إن الله سبحانه وتعالى قادر على فعل كل شيء، ولكنك لن تصل إلى شيء إلا بالسعي، فماذا يكون ردُّك؟!

يقال أن أحد طلبة العلوم الدينية في النجف الأشرف كان يكثر التردد على الضريح المقدس لأمير المؤمنين علي $، وكان يكثر البكاء والتوسل به إلى الله تبارك وتعالى أن تقضَى حاجته بحصوله على درجة الاجتهاد، ومرت على ذلك الأمر أشهر طويلة حتى وفَّقه الله تعالى برؤية أمير المؤمنين $ في عالم الرؤيا فخاطبه $ قائلا: إن الأمر مرهون بسعيك وجدِّك واجتهادك، ولك أن تطلب من الله تبارك وتعالى التوفيق لذلك، فتوكل ولا تتواكل.

نعم أخي المؤمن، علينا بالسعي في طريق العبادة المقدسة، وسؤال الباري جل اسمه التوفيق في ذلك، فإنه نعم المولى ونعم النصير.

فلسفة أخرى للسعي

قلنا بأن الإنسان من مبدأ الطواف - يعني حينما بدأ بطوافه - بدأ من إبراهيم، وثم إسماعيل، وثم أمير المؤمنين، وانتهى بالإمام المهدي عليهم سلام الله أجمعين، وبعد هذه المقامات التي ابتدأ بها بسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وفي ذلك دلالة على أن كل ضلع من أضلاع الكعبة يرتبط بقائد سواء كان نبيا أو إماما، وبيَّنا سر ذلك في الكعبة.

وبعد الشوط السابع، حينما تصل إلى الحجر الأسود وتقول «الله أكبر»، فإنك تكون قد وصلت إلى أعلى المقامات، لأنك بدأت بسبحان الله وهو ضلع إبراهيم بطل التوحيد، ثم «الحمد لله» وهو ضلع إسماعيل وهاجر اللذان حمدا الله على البلاء، وثم «لا إله إلا الله» وهو ضلع أمير المؤمنين مظهر الولاية والإمامة وأكبر مصداق لكلمة «لا إله إلا الله» في عالم الوجود كما يقول بنفسه: «وما كان لله آية أكبر

مني»[١٣٧]. والضلع الأخير وهو ضلع الإمام المهدي المنتظر الموعود$، والذي تشرع فيه بالتكبير فيناديك بوضوح أن لا تفكر بالهبوط والتنازل، بل عليك بالصعود والارتفاع والرقي.

تعال إلى مقام إبراهيم$، وقل «الله أكبر»، ومع هذا التكبير لابد أن تصعد، وقلنا سابقا أن الإنسان حينما يكبِّر ويدخل في الصلاة يكون في محضر الله سبحانه وتعالى، وذكرنا بأن علة قول المصلِّي في آخر الصلاة «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» هو رجوعه من سفره الممتد من الحق إلى الخلق.

بلى، فإنك في هذا السفر الروحاني سريت إلى محضر الله تعالى في الملكوت الأعلى، ومع التسليم رجعت من محضر رب العالمين إلى الخلق وتعيش بين الناس، ولكنك الآن وبعد عودتك من ذلك العالم الملكوتي لابد أن تتجه إلى مقام السعي بين الصفا والمروة، ولك أن تتساءل عن فلسفة السعي وأبعاده الروحانية.

حقا، إن لِما مرت به هاجر، زوجة إبراهيم الخليل$، من ضائقة امتُحنت بها عند عطش ولدها إسماعيل لعبرة كبرى في تحديد أبعاد هذا السعي المقدس، وتخليد الذكراه، فإن هذا السعي التعبدي لا يخلو من جملة أخرى من الجوانب الروحية التي ينبغي الالتفات إليها عند إجرائه.

أنت حينما هبطت من عالم التكبير إلى عالم الماديات كان لابد لك من سعي متصل بين عالم الروح والمادة، بين الخالق والخلق، بين الآخرة والأولى، هو هكذا الأمر يبتدئ من نقطة الهبوط الدنيوية ليعود ملتحقا بها.

نعم، تذكر المعاد وأنت تسعى بين الصفا والمروة، تذكَّر يوم ينادي المنادي: هلموا إلى يوم الحساب، فيُبعث مَن في القبور جميعا سراعا لا تردد فيه ولا تلكؤ يتذرعون به، ولكن هناك من تراه ثقيلا لا يكاد يرفع أقدامه رغم ما يبذله من جهد وعناء ليتوجه حيث طلب المنادي، في حين تجد أن هناك من يعدو سريعا خفيفا كنسمة الصباح، جذلان لا يشكو من تعب ولا نصب.

إن الفرق بين الاثنين هو ما تحمَّله الأول من ذنوب ومعاصي أثقلت ظهره، وناءت بحملها قدماه، وذلك هو علة التفاوت بينهما، وكذا هو الحال في السعي بين الصفا والمروة، وحيث يمكنك إدراك حقيقة أدائك لسعيك كما أراد الله تبارك وتعالى، وكما ينبغي أن تفِدَ عليه بأعمالك يوم القيامة.

ولنتأمل في المثال التالي: إذا كان هناك شخصان - زيد وعمرو - يريدان أن يستبقا، وليس على رجل عمرو أغلال، وعلى رجل زيد أغلال، أيهما أسرع؟! تقول وبدون تردد أن عمرو أسرع، لماذا؟! لأنه بدون أغلال، وذلك هو صدق النية والعمل الصالح الذي يبدل السيئات حسنات، قال تعالى:

... وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ...[١٣٨].

هذه هي فلسفة السعي، وحيث لابد عليك أن تقوم بنوع من التقييم لنفسك، وترى آثار الطواف

وصلاة الطواف موجودة في روحك أم لا، ثم انظر إلى سعيك كيف يكون، تركض روحيا لا جسديا، يعني هل روحك في المعاد مشتاقة إلى أن تعود إلى الله سبحانه وتعالى أم لا؟! هل هي راغبة في أن تعود إلى موطنها الأصلي، كما كانت هاجر¢ في هذا المكان أم لا؟! هذا هو محل التساؤل والنقاش.

وكنا قد ذكرنا في علة السعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط أن هاجر سلام الله عليها مشت في هذا الطريق حينما أُغلقت الأبواب دونها إلا باب العودة إلى الله تعالى، وما رأت بابا مفتوحا إلا باب الله سبحانه، هنالك استجاب الله دعوتها، وجاء الفرج من رب العالمين، وعادت إلى ولدها إسماعيل$ لترى الماء العذب الزلال ينبع من تحت قدميه المباركتين، فشربا ورويا عللا بعد نهل.

نعم أخي المؤمن، عندما تسعى بين هذه الأركان المقدسة وأنت تدرك أبعادها وحكمها لابد أن تحلِّق في سماء المعرفة والعرفان، ولابد أن يتمثل أمامك سيد العارفين وإمام المتقين أمير المؤمنين عليه أفضل صلوات المصلين.

والآن وصلنا إلى سعي الصفا والمروة، في المسعى لابد أن نرى أن هذا المثل الأعلى - وهو أمير المؤمنين - في المعاد، ونستلهم منه دروسا وعبر، فبماذا يحدِّثنا هنا؟! في المعاد أمير المؤمنين$ يقول: «وصيتي لكم أن لا تشركوا بالله شيئا ومحمد فلا تضيعوا سنته، أقيموا هذين العمودين وأوقدوا هذين المصباحين»[١٣٩].

أمير المؤمنين$ يبين لنا هنا فلسفة للسعي، ولكن ماذا نعني بفلسفة أي عمل؟! فلسفة العمل أي باطن العمل، وفلسفة السعي أي باطن السعي، وباطن السعي ليس إلا النور، متى يظهر هذا النور؟! يظهر يوم القيامة وفي الجنة، نعم أنت تستضيء في الجنة بنور سعيك بين الصفا والمروة، بل وقد ورد في روايات مختلفة أن نور المؤمن ينبعث من غرفته في الجنة إلى غرف جيرانه، فيقولون بأن هذا نور فلان وهذا نور فلانة.

أحد كبار مراشدنا في سلوكنا العرفاني، كان في قم وما كان يعرفه أحد، في ليلة من الليالي كان في حجرته يصلي صلاة الليل، فرأى بعض الطلبة أن نورا يخرج من حجرته، وفي الصباح جاء رجل وسأل أحد هؤلاء الطلبة: هل كانت عندك مناسبة في الليلة الماضية؟! فقال: لا، قال: هل كان عندك ضيف؟! قال: نعم، قال: من ضيفك؟! فذكر له اسم ذلك العالم الجليل.

نعم، كان ذلك نور الصلاة، وكان ذلك في الدنيا، فكيف بالآخرة!!

فلسفة العمل وسر العمل وباطن العمل ليس إلا النور الذي ينوِّر به المؤمن الجنة، صحيح أن الجنة لله، ولكن نور الجنة من هذه الدنيا، والعبد هو الذي ينور هذا المقام.

نعم، أنت بسعيك في الدنيا تصنع لنفسك نورا، ومن ثم يوم القيامة يسعى هذا النور بين يديك، كما

قال سبحانه في كتابه: ...نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ... [١٤٠].

إذاً كيف نستفيد من سعينا وننوِّر إن شاء اللّٰه فضاء الجنة؟!

أمير المؤمنين $ يقول: «وصيتي لكم ألا تشركوا باللّٰه شيئا»، يعني أن نتجاوز مصائد الشيطان، ونوازع أنفسنا السيئة، ونروِّضها ونهذبها، ونخلص في عبادتنا للّٰه تبارك وتعالى، حتى لا نكون من المشركين الذين يعبدون مع اللّٰه إلها آخر، وندَّعي أننا نعبده وحده.

نعم، إذا وصلنا بعبادتنا إلى هذا المستوى الرفيع من الصدق في العبادة والإخلاص في النية نكون قد أدركنا وحققنا معنى السعي بين الصفا والمروة، وهدمنا كل مظهر من مظاهر العبودية لغير اللّٰه سبحانه وتعالى.

الوقوف بعرفات

يعتبر الوقوف بعرفات الثاني من واجبات حج التمتع.

وحدود عرفات كما يقول الإمام الصادق$: من بطن عرنة وثوبة ونمرة إلى ذي المجاز.

وللوقوف بعرفات واجبات ومستحبات نحاول استعراضها بشكل موجز دون تفصيل:

ذكر الفقهاء أنه يستحب للحاج أن يغتسل في مكة يوم التروية ثم يلبس بعدها ثوبي الإحرام، ويتجه حافيا إلى المسجد الحرام بسكينة وهدوء ووقار، ويصلي ركعتين على الأقل، من فريضة أو نافلة، ثم يعقد إحرامه قائلا: اللهُمَّ إني أريد الحج على كتابك وسنة نبيك.

كما يستحب الدعاء بالمأثور والتلبية عند الصعود والنزول أينما كان، حتى يصل عرفات.

قال الإمام الصادق$: «إذا كان يوم التروية فاغتسل ثم البس ثوبيك وادخل المسجد حافيا، وعليك السكينة والوقار، ثم صلِّ ركعتين عند مقام إبراهيم$، أو في الحجر، ثم اقعد حتى تزول الشمس، فصلِّ المكتوبة، ثم قل في دبر صلاتك كما قلت حين أحرمت من الشجرة، وأحرم بالحج، ثم امض وعليك السكينة والوقار»[١٤١].

ثم إن الأعمال الواجبة في عرفات هي الوقوف هناك مع وجود نية القربة إلى الله تبارك وتعالى، وبأية صورة كانت، قياما أو قعودا، مشيا أو ركوبا، ساكنا أو متحركا.

كما يعتبر في الوقوف أن يكون عن اختيار، فلو نام أو غشي عليه هناك في جميع الوقت لم يتحقق الوقوف.

آداب الوقوف بعرفات

يستحب الوقوف بعرفات أمور، وهي كثيرة نذكر بعضها:

١- الطهارة حال الوقوف.

٢- الغسل عند الزوال.

٣- تفريغ النفس للدعاء والتوجه إلى الله تعالى.

٤- الوقوف بسفح الجبل في ميسرته.

٥- الجمع بين صلاتي الظهرين بأذان وإقامتين.

٦- الدعاء بما تيسر من المأثور وغيره، والأفضل المأثور، ومنها دعاء الإمام الحسين $ يوم عرفة.

وقت الوقوف في عرفات

أما وقت الوقوف الواجب في عرفات فهو وقتان، اختياري واضطراري، فالأول من زوال اليوم التاسع من ذي الحجة إلى المغرب، والثاني يمتد إلى طلوع الفجر من اليوم العاشر.

والأول يوضحه قول الإمام الصادق $ أنه إذا زالت الشمس يوم عرفة فاقطع التلبية، واغتسل، وعليك بالتكبير والتهليل والتحميد والتسبيح والثناء على الله تعالى، وصلِّ الظهر والعصر بأذان واحد وإقامتين.

وأما الثاني فقوله $ وقد سئل عن رجل أدرك الناس بجمع وخشي إن مضى إلى عرفات أن يفيض الناس من جمع قبل أن يدركها فقال: «إن ظن أنه يدرك الناس بجمْعٍ قبل طلوع الشمس فليأتِ عرفات، وإن ظن أنه لا يدرك جمْعاً فليقف بجمْع، ثم يفيض مع الناس فقد تم حجه»[١٤٢].

فضل الوقوف بعرفات

روى الكليني في الكافي عن علي بن الحسين $: «أن رسول الله لما وقف بعرفة في حجة الوداع، وهمَّت الشمس أن تغيب قال مخاطبا بلال: يا بلال، قل للناس فلينصتوا، فلما نصتوا قال أن ربكم تطوّل عليكم في هذا اليوم، فغفر لمحسنكم، وشفَّع محسنكم في مسيئكم، فأفيضوا مغفوراً لكم»[١٤٣].

وروى في موضع آخر عن الصادق $ أنه قال: «من لم يُغفر له في شهر رمضان، لم يُغفر له إلى قابل، إلا أن يشهد عرفة»[١٤٤].

وعن الرسول أنه قال: «أعظمُ أهل عرفات جُرماً مَن انصرفَ وهو يظنُّ أنه لن يُغفَرَ له»[١٤٥].

وروي عن الإمام الرضا $ أنه قال: «ما وقف أحد في تلك الجبال إلا استُجيب له، فأما المؤمنون فيُستجاب لهم في آخرتهم، وأما الكفار فيُستجاب لهم في دنياهم»[١٤٦].

وأما الصدوق فقد روى في ثواب الأعمال عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام قوله:

«الحاج إذا دخل مكة وكّل الله عزوجل به ملكين يحفظان عليه طوافه وصلاته، وسعيه، فإذا وقف بعرفة ضربا على منكبه الأيمن ثم قالا: أما ما مضى فقد كفيته، فانظر كيف تكون فيما تستقبل»[١٤٧].

وروى في أماليه عن رسول الله قوله: «لله تبارك وتعالى رحمة على أهل عرفات، ينزلها على أهل عرفات، فإذا انصرفوا أشهد الله تعالى ملائكته بعتق أهل عرفات من النار، وأوجب الله عزوجل لهم الجنة، ونادى منادٍ: انصرفوا مغفورين، فقد أرضيتموني ورضيت عنكم»[١٤٨].

وروى في الفقيه عن الإمام جعفر بن محمد الصادق $ قوله: «ما من رجل من أهل كورة وقف بعرفة من المؤمنين إلا غفر الله لأهل تلك الكورة من المؤمنين، وما من رجل وقف بعرفة من أهل بيت المؤمنين إلا غفر الله لأهل ذلك البيت من المؤمنين»[١٤٩].

وعن أبي جعفر $ قوله: «إذا كان يوم عرفة لم يرد سائلا»[١٥٠].

فلسفة عرفات

ذكرنا فيما سبق أن لكل منسك من مناسك الحج فلسفة وحِكَماً ودروساً يستلهمها الحاج في القافلة المسارعة نحو العالم الأخروي، مخلّفة وراءها عالم الزوال والفناء والمتع الرخيصة.

ولنا الآن أن نتساءل عن فلسفة الخروج إلى عرفات، مخلّفين بيت الله الحرام وكعبته المطهرة وهو أشرف بقاع الأرض، ومتجهين إلى الصحراء، وجوّها اللاهب الساخن، فهو منسك من مناسك الحج وبه أُمرنا، وما علينا إلا الامتثال له، إنه سُنَّة ثابتة لابد للحاج من إجرائها وتنفيذها.

ولكن أنت وأنا وغيرنا من حجاج بيت الله الحرام، القاصدين نحو عرفات، ماذا نستوحي من هذا الذهاب؟! وماذا نتعلم؟! ولماذا أمرنا الله تبارك وتعالى أن نستدبر البيت والركن والمقام والصفا والمروة، ونتجه مُحْرمين إلى تلك الصحراء القاحلة؟!

لابد أن في ذلك الأمر أسرارا لا يعرفها إلا الذين أخلصوا لله تعالى بأرواحهم وأنفسهم وعقولهم وقلوبهم، فنالوا من عطاء ربهم ما كانوا يبتغون، ومن فضله ما لا يحتسبون.

الفلسفة الأولى:

أخي الحاج، هجرتك من ديارك وتوجهك إلى بيت الله الحرام مع عظيم شأنه وجليل مكانته، هي هجرة صغرى تتبعها الهجرة الكبرى، وهي توجهك من بيت الله الحرام والكعبة المطهرة إلى صحراء عرفات، وما أدراك ما عرفات!!

إذا كان حجاج بيت الله قد اختلفوا في ساعة دخولهم مكة المكرمة وزيارة بيته الحرام، فقد توحدت ساعة خروجهم منها ووقوفهم بين يدي الله سبحانه وتعالى في عرفات، كذلك يوم الحشر الأكبر حيث

يجمع الله تعالى الخلائق في صعيد واحد.

الفلسفة الثانية:

المحدث والفيلسوف العظيم ملا محسن الفيض الكاشاني& - صاحب كتاب المحجة البيضاء وصاحب تفسير الصافي - في تفسيره للآية الثالثة من سورة التوبة: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ...﴾، يشير إلى الرواية التي وردت عن أبي عبد الله الصادق$ أنه قال: «الحج الأكبر الوقوف بعرفة ورمي الجمار والحج الأصغر العمرة».

على هذا، فالحج الأصغر وهو العمرة مقدمة للحج الأكبر وهو الوقوف بعرفات، ولولا هذه المقدمة من تطهير النفس وتهذيبها وتهيئتها بما اكتسبْت من قدسية الأنوار الإلهية بالطواف حول بيت الله الحرام وصلاة الطواف خلف مقام إبراهيم$ والسعي بين الصفا والمروة، لما كنت تتحمل عظمة الوقوف بعرفات!!

الفلسفة الثالثة:

أخي المؤمن، هجرتك إلى الله تعالى هذه إنما هي نقلة اختيارية، أعددت نفسك بيدك لا بيد غيرك للقاء الله تعالى، فالحج موت اختياري، ودَّعْت فيه الأهل والمال وكلَّ ما جمعْتَ من حطام الدنيا اختياراً، وتغتسل اختياراً، وتلبس ملابس الآخرة اختياراً، وتتجه إلى صحراء عرفات وتلمس رجلاك ترابها اختياراً، تذكيراً من الله وتمهيداً للنقلة الاضطرارية التي كُتِبت على كل ذي نفس، ألا وهي الموت، والتي ليس لك فيها يد من غسل وتكفين وتجهيز ودفن.

وكما قال قطب العارفين أمير المؤمنين علي$: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»[١٥١]، وهذه رحمة من الودود الرحيم، ومِنّة من ذي الفضل العظيم أن هيأ لنا الفرص لكي يستنقذنا من الضلالة في الدنيا والغفلة عن الآخرة، ويجعلنا على الدوام في حالة من الوعي واليقظة، ومن هنا يقول لنا رسول الله : «إن لربكم في أيام دهرِكم نفحات، ألا فتعرَّضوا لها»[١٥٢].

يقول رسول الله : «حاسِبوا أنفسكم قبل أن تُحَاسَبوا، ومهِّدوا لها قبل أن تُعذَّبوا، وتزوَّدوا للرحيل قبل أن تُزعَجوا، فإنها موقفُ عَدْلٍ، واقتضاءُ حقٍّ، وسؤالٌ عن واجبٍ، وقد أبلَغَ في الإعذارِ مَنْ تَقَدَّمَ بالإنذار»[١٥٣].

ويقول الإمام الصادق$: «مَن يرى القيامة بأهوالها وشدائدها قائمة في كل نفس ويعايِن بالقلب الوقوفَ بين يدي الجبار حينئذ يأخذ نفسه بالمحاسبة كأنه إلى عرصاتها مدعوٌّ، وفي غمراتها مسئولٌ»[١٥٤].

أخي الحاج، الوقوف بعرفات وقوف أمام محكمة رب العالمين، ولكنها محاكمة النفس بالنفس،

وأية ساعة وأي موقف أفضل من ساعة الوقوف بعرفات للإقرار بالذنوب والتوبة والرجوع إلى اللّٰه تبارك وتعالى.

الفلسفة الرابعة:

يوم عرفات هو يوم تطهير القلب من كل ما تعلق به من لذات الدنيا وأوساخ الغفلة عن اللّٰه تبارك وتعالى وغسل النفس من كل ما تعلق بها من رذائل وسيئات الأخلاق.

نعم، لابد لنا أن نغتسل في عرفات غسلا باطنيا، نرفع به كل دنس ورائحة كريهة تعلقت بقلوبنا وعقولنا وأنفسنا، حتى نتمكن من دخول حرم اللّٰه تعالى والجلوس في محضره المقدس وقد غفر لنا ذنوبنا وهو خير الغافرين.

الفلسفة الخامسة:

يقول الإمام الصادق $: «إفهام الناس وعقولهم متفاوتة في قبول مراتب العرفان وتحصيل الاطمئنان... وإن كان أصل المعرفة فطريا... والطرق إلى اللّٰه بعدد أنفاس الخلائق، وهم درجات عند اللّٰه يرفع اللّٰه الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات»[١٥٥].

وعلى هذا يكون أقرب الطرق إلى اللّٰه هو طريق العرفان والسير في مسالك العارفين.

قال رسول اللّٰه : «من عرف نفسه فقد عرف ربه»[١٥٦].

نعم، من عرف أن نفسه لا يليق بها إلا التواضع والمسكنة والافتقار إلى اللّٰه سبحانه وتعالى، عرف أن الكبرياء والجبروت لا تليقان إلا باللّٰه تبارك وتعالى.

أيها الحاج الكريم، الوصول إلى مقام معرفة اللّٰه تعالى لا يتأتى إلا بتطهير القلب وتهذيب النفس، وبعد التطهير والتهذيب يتجلى اللّٰه سبحانه وتعالى في حرمه وهو قلبك أيها الحاج العارف وفي ذلك مراتب ومنازل.

الفلسفة السادسة:

كما يقول الفلاسفة: «السنخية علة الانضمام»، والإنسان خُلق من تراب، ويعود إلى التراب، وكما قال اللّٰه تبارك وتعالى في كتابه الكريم: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِن تُرَابٍ... [١٥٧].

وها نحن نتجه إلى صحراء عرفات، لنعيش على التراب ونتقرب إلى اللّٰه تبارك وتعالى على التراب، وفي ذلك أعلى مراتب الخشوع والخضوع للّٰه رب الخلائق أجمعين.

الفلسفة السابعة:

أخي الحاج، أنت بعدما دخلت حرم اللّٰه تعالى معتمرا، الآن يأمرك ربك أن تخرج منها وإلى أبعد

الحدود، إلى صحراء عرفات، ثم تبدأ تتقرب إليه منزلا بعد منزل، وبعد طي هذه المنازل أنت تدخل في حرم الله ثانية ولكن بعد الوصول إلى المقصد الحقيقي، ما هو المقصد الحقيقي التي كنت تسعى إليه في سفرك هذا؟!

الله سبحانه وتعالى يريد منك حركة باطنية شديدة تخلع بها كل ما تعلق بك من مظاهر الدنيا لتصل إلى المقصد النوراني الحقيقي والجمال المطلق والحقيقة المطلقة، ألا وهو وجه الله تبارك وتعالى!!

الله جل وعلا يقول في محكم كتابه الكريم: ﴿... كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ...﴾[١٥٨]!!

ويقول الإمام علي بن موسى الرضا $ لأبي الصلت: «يا أبا الصلت، مَنْ وَصَفَ الله بوجهٍ كالوجوهِ فقد كَفَر»[١٥٩].

الآن أنت تسأل: إذاً ما هو وجه الله تعالى؟! وأين هو؟!

الإمام الرضا $ يجيب على تساؤلك هذا ويقول: «ولكن وجه الله أنبياؤه ورسله وحججه صلوات الله عليهم هم الذين بهم يُتَوجَّه إلى الله عز وجل وإلى دينه ومعرفته»[١٦٠]!!

وعن أبي جعفر الباقر $ أنه قال: «نحن وجه الله نتقلب في الأرض بين أظهركم، عَرَفَنا من عَرَفَنا وجَهِلَنا مَن جَهِلَنا، مَن عرفَنا فأمامه اليقين، ومَن جهلَنا فأمامه السعير»[١٦١].

وأما في صحراء عرفات، من هو وجه الله الذي يتوجه به الأولياء إلى الله؟!

هو أبو الأحرار وسليل الأطهار، سبط الرسول وقرة عين البتول، أبو عبدالله الحسين $، ذلك الإمام العظيم الذي خرج من مكة بصحبة أهله وعياله والخواص من صحبه، حاملا بين جنبيه روح الكعبة والمقام وعرفات والمشعر الحرام، متوجها إلى صحراء الدم والشهادة، والتضحية والفداء في سبيل رؤية المحبوب ولقياه!!

نعم، لقد حوّل الإمام الحسين $ تلك العبادة والمناسك إلى ثورة عظيمة وتجرُّد محض ومعراج مقدس نحو الخلود الدائم في عالم البقاء.

سيدنا إبراهيم $ أُمر أن يذبح ولده إسماعيل $، ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾[١٦٢] امتثالا لأمر الله تعالى، هنالك قال ربه تبارك وتعالى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبحٍ عَظِيمٍ﴾[١٦٣]، أراد أن يذبح ولده ولكن لم يتحقق الذبح.

وهذا حسين $ قد أتى باثنين وسبعين إسماعيلا ليقدمهم قرابين إلى الله تبارك وتعالى، وأي قرابين؟! أمثال علي الأكبر أشبه الناس خَلْقاً وخُلُقاً برسول الله!!

الإمام الحسين $ ترك صحراء عرفات وانحدر نحو صحراء كربلاء، نحو الحرية المطلقة، والفداء الأكبر، والحب الأوحد...

تَـرَكْـتُ الـخَـلْـقَ طُـرّاً فـي هَـواكَ
وَأيْـتَـمْـتُ الـعِـيـالَ لِـكَـي أراكَ
فَـلَـو قَـطَّـعْـتَـنـي فـي الـحُـبِّ إرباً
لَـمـا مـالَ الـفُـؤادُ إلـى سِـواكَ

إنه الحب الخالص، والفناء الحقيقي في الوجود المطلق، والترجمة الواضحة لانطلاق المتسامي في عالم الروح السامي.

هذا هو الإمام الحسين $ الذي نستذكره ونحن نغدو إلى عرفات، ونحط بأرجلنا على رماله الساخنة، وتتمتم شفاهنا بالذكر والدعاء والمناجاة.

نستذكره لنعلم ماذا أراد الإمام الحسين $ بثورته العظيمة، وما الواجب علينا تجاه تلك الثورة، نعلم كيف كان ذلك الإمام العظيم يحلِّق في سماء العلم والعرفان لنتخذه أسوة لنا وقدوة في منهج حياتنا العام، وعباداتنا المختلفة.

قال الإمام الصادق $ لبشير الدهان: «يا بشير، من زار قبر الحسين بن علي صلوات الله عليه عارفا بحقه كان كمن زار الله في عرشه»(١٦٤).

وعنه $ أيضا أنه قال: «من زار قبر الحسين $ يوم عرفة كتب الله له ألف ألف حجة مع القائم $، وألف ألف عمرة مع رسول الله ، وعتق ألف ألف نسمة»(١٦٥).

وعنه $ أنه قال: «إن الله تبارك وتعالى يتجلى لزوار قبر الحسين صلوات الله عليه قبل أهل عرفات، ويقضي حوائجهم ويغفر ذنوبهم ويشفعهم في مسائلهم، ثم يثني بأهل عرفات فيفعل ذلك بهم»(١٦٦).

أخي الحاج إن كنت في هذا اليوم قد عرفت وارتبطت بباطن وملكوت قطب العرفاء وسيد الشهداء أبي عبدالله الحسين $ في يوم عرفات، تكون قد دخلت في مكتب أبي الأحرار ووصلت إلى مقام الحرية، فطوبى لك وحسن مآب.

الفلسفة الثامنة:

يقول الإمام الحسين $ في دعائه يوم عرفة: «عَمِيَتْ عينٌ لا تَراكَ»!!

الإمام لم يقل عميت عين لم تؤمن بك ولم تعتقد بك أو لم تعرفك، بل عميت عين لا تراك!!

فهذه العين التي لم ترفع الحجب أمامها ولم تتمكن من رؤية جمال الحق وهو ذات الله تبارك وتعالى لا تستحق أن تبصر شيئا.

قام رجل إلى أمير المؤمنين $ يقال له ذعلب فقال: يا أمير المؤمنين، هل رأيت ربك؟! فقال له أمير

المؤمنين$: «ويلك يا ذعلب، لم أكُنْ بالذي أعبدُ ربّاً لم أرَه»!! قال: كيف رأيته؟! فقال$: «لمْ تَرَهُ العيونُ بمشاهدةِ الأبصار، بل رأتْهُ القلوبُ بحقائقِ الإيمان»(١٦٧).

وما تعمى أبصار القلوب عن رؤية الحق وتمنع النفس عن معرفته إلا حب الدنيا واتباع الهوى، فالحق والباطل متقابلان، وحب الذات وحب الله يتنافران.

أخي الحاج، إذا أردت أن يكون عرفاتك عرفانيا، فلا بد أن ترتبط بباطن عرفات، وباطن عرفات هو معرفة الحق حق المعرفة، ومن ثم رؤية ذات الله بعين القلب ورؤية حججه# بعين الرأس، فإنهم وجه الله الذي نتوجه بهم إليه.

الفلسفة التاسعة:

قال الحسين بن علي$: «أيها الناس، إن الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه». فقال له رجل: يا ابن رسول الله، بأبي أنت وأمي، فما معرفة الله؟! قال: «معرفة أهل كل زمان إمامهم»(١٦٨).

وإمام زماننا هو خلاصة الأنبياء والمرسلين، وعصارة الوحي والتنزيل، وآية العصمة والتطهير، الولي الأعظم صاحب الزمان وإمام الإنس والجان الحجة بن الحسن العسكري عليه وعلى آبائه الطاهرين أفضل الصلاة والتسليم وعجل الله تعالى فرجه الشريف.

أخي المؤمن، أنت تقرأ في دعاء الندبة: «أين وجه الله الذي يتوجه إليه الأولياء؟! أين السبب المتصل بين الأرض والسماء؟!».

إن كنت تبحث عن إمام زمانك، فها هو قد أحرم في مثل هذا اليوم وهو معك في عرفات، ولن تجد مكانا وزمانا أفضل من صحراء عرفات ويوم عرفات ترتبط فيه بإمام زمانك الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه. فطوبى لمن تعلقت نفسه وقلبه وذاته وكل وجوده بذات الحجّة$ وملكوته.

فكيف يا ترى نعود من عرفات!!

إنه باب الرحمة المفتوح على مصراعيه أمام الوافدين والمصطفين على عتباته المقدسة.

الوقوف بالمشعر الحرام

هو الواجب الثالث من واجبات حج التمتع، والموقف الثاني بعد عرفات، ويسمى بالمزدلفة أيضا.

قال تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿... فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ...﴾[١٦٩].

وحدُّ الموقف هذا من المأزمين إلى الحياض إلى وادي محسِّر، وهذه كلها حدود المشعر، وليست بموقف إلا عند الزحام وضيق الوقت.

سئل الإمام أبو الحسن الرضا $ عن حدود المزدلفة فقال: «ما بين المأزمين إلى وادي محسر»[١٧٠].

ذكر صاحب مجمع البحرين في كتابه (ج ٥ ص ٦٨): أن المزدلفة اسم فاعل من الازدلاف أي التقدم، تقول: ازدلَف القوم أي تقدَّموا، وهي موضع يتقدم الناس فيه إلى منى، وقيل: لأنه يُتقرَّب فيها إلى الله تبارك وتعالى، أو لمجيء الناس في زُلَفٍ من الليل، أو من الازدلاف بمعنى الاجتماع، وذلك لاجتماع الناس فيها.

كما أن جملة من الروايات المنقولة عن أهل البيت # قد ذكرت أوجهاً مختلفة في تسميتها بهذا الاسم، نستعرض قسماً منها:

فقد روى الصدوق في علله عن أبي عبدالله الصادق $ في حديث إبراهيم $: «إن جبرئيل $ انتهى به إلى الموقف فأقام به حتى غربت الشمس ثم أفاض به فقال يا إبراهيم ازدلف إلى المشعر الحرام فسميت مزدلفة»[١٧١].

وروي أيضا عنه $ أنه قال: «إنما سميت مزدلفة لأنهم ازدلفوا إليها من عرفات»[١٧٢].

وأما في موضع آخر من العلل فقد روي عنه $ أنه قال: «سميت المزدلفة جمعا لأن آدم $ جمع فيها

بين الصلاتين المغرب والعشاء»[١٧٣].

فضل الوقوف بالمشعر الحرام

لقد تعددت الروايات الناصة على عظيم فضل الوقوف في المزدلفة لما فيه من غفران الذنوب والتطهُّر منها، والتقرب إلى الله عز وجل، وسنعرض هنا جانبا منها:

سئل الإمام الصادق $: لِمَ صُيِّر الموقف بالمشعر ولَمْ يُصَيَّر بالحرم؟! قال $: «لأن الكعبة بيت الله والحرم حجابه والمشعر بابه، فلما أن قصده الزائرون وقفهم بالباب حتى أذن لهم بالدخول، ثم وقفهم بالحجاب الثاني وهو مزدلفة، فلما نظر إلى طول تضرعهم أمرهم بتقريب قربانهم، فلما قرَّبوا قربانهم وقضوا تفثهم وتطهروا من الذنوب التي كانت حجابا دونه أمرهم بالزيارة على طهارة»[١٧٤].

وروي عن الإمام الصادق $ قوله: «والحاج إذا وقف بالمشعر خرج من ذنوبه»[١٧٥].

وجوب الوقوف بالمشعر الحرام

إن الاستدلال بوجوب الوقوف بالمشعر الحرام وكونه فريضة لابد منها ما جاء في قوله تعالى: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِن رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ [١٧٦].

كما أن الفقهاء أجمعوا على وجوب الوقوف بالمشعر، ويؤيد ذلك قول الشيخ الطوسي رحمه الله تعالى في النهاية حيث ذكر: وما يدل على أن الوقوف بالمشعر الحرام واجب وهو ركن من أركان الحج - بعد الإجماع المذكور - قوله تعالى... وذكر الآية، ثم أضاف: والأمر شرعا على الإيجاب، ولا يوجب ذكر الله تعالى فيه إلا وقد أوجب الكون فيه، ولأن كل من أوجب الذكر فيه أوجب الوقوف فيه. انتهى.

الواجبات والمستحبات في الوقوف بالمشعر الحرام

حدَّد الفقهاء الواجبات المترتبة على الحاج في هذا المكان حيث ذكروا بأن الواجب من الوقوف بالمزدلفة هو مجرد الكون والوجود مع نية القربة على أية صورة تكون قعوداً أو وقوفاً، مشياً أو ركوباً.

كما أنهم لم يوجبوا المبيت ليلة النحر هناك إلا أنه أفضل.

وأما المستحبات في ذلك فهي كثيرة نذكر منها: الكون على الطهارة عند الصباح، والإكثار من التهليل والتكبير، والاجتهاد في الدعاء إلى ابتداء طلوع الشمس... وغير ذلك.

وقت الوقوف بالمشعر الحرام

يجب الوقوف في المزدلفة من طلوع الشمس فجر يوم العيد إلى طلوع الشمس، أي ما بين الطلوعين، وفي هذه الحالة يجب أن يستوعب الحاج الوقوف هذه الفترة بأكملها.

وأما من أفاض عالما عامدا وقبل أن يطلع الفجر وبعد أن كان فيه ليلا فإنه لم يبطل حجه وعليه دم شاة. فإن لم يقدر على ذلك صام ثمانية عشر يوما، إما في الطريق أو عند أهله.

قال الإمام الصادق $ وقد سئل عن رجل وقف مع الناس بجمع ثم أفاض قبل أن يفيضوا: «إن كان جاهلا فلاشيء عليه، وإن كان قد أفاض قبل طلوع الفجر فعليه دم شاة»[١٧٧].

عن أبي عبدالله $ يقول: «أن رسول الله عجّل النساء ليلا من المزدلفة»[١٧٨].

وعن أحد المعصومين # قال: «أيما امرأة أو رجل خائف أفاض من المشعر الحرام ليلا فلا بأس»[١٧٩].

فلسفة الوقوف بالمشعر الحرام

إدراك السر في أي عمل من الأعمال العبادية يوثق الترابط الروحي بين العمل والعامل، ويسبغ على ذلك العمل طابعا خاصا تشد من عظم التلاحم بين الاثنين، وعلى العكس من ذلك فإن أداء أي عمل كان مجردا من سمة العشق والحب والذوبان فيه يدفع به لأن يكون مجرد أفعال وحركات وسكنات فارغة جوفاء لا معنى لها.

ولنتأمل في الصلاة، والتي هي معراج المؤمن، كم كتب علماؤنا الأبرار ومفكرونا من الأسفار الكثيرة والمؤلفات الضخمة التي خاضت غمار توضيح فلسفة هذه العبادة وفلسفة كل ركن من أركانها لتجريد الصلاة من مفهوم الحركات المجردة الخالية من الروح والحقيقة، وإضفاء عنصر المعنى العظيم والسر الرائع في أداء هذه الأفعال... ولذا نرى كيف تكون صلاة العارفين الخاشعين والتي لا تمتّ بصلة إلى ما يقوم به العوام من الناس من أفعال وحركات جوفاء، وانشغال الذهن بحوادث الأيام وأزماتها.

هذا هو الفرق بين إدراك السر واللغز والفلسفة الخاصة بالأعمال العبادية، وبين أدائها دون وعي وإدراك: أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ[١٨٠].

ونحن حينما نؤدي مناسك الحج لابد لنا من إدراك هذه الحقيقة وفهمها، ومن هذه المناسك الوقوف بالمشعر الحرام التي لابد أن نعرف جوهر وحقيقة هذا المنسك العظيم من مناسك الحج:

الفلسفة الأولى:

الآن وبعد طي ساعات النهار في عرفات، غربت شمسها وقد أفاض الحجاج سعداء بما أنعم الله تبارك وتعالى عليهم من الرحمة والغفران، متوجهين بقلوب صافية ونفوس طيبة إلى المشعر الحرام آمنين مطمئنين.

أخي الحاج، دخلت عرفات وأنت ترجو رحمة الله ومغفرته، وتجدُّ وتجتهد في المناجاة والعبادات والتهجد والتبتل إلى الله تعالى راجيا في ذلك كله التقرب إليه والزلفى لديه، ومع غروب شمس عرفات وبعد غسل النفس والروح والقلب تخرج منها مغفورا لك وطاهرا كأنما وُلدْت من جديد، ومع هذه الحالة الروحانية والطهارة الباطنية تزدلف إلى المشعر الحرام، وهنا لابد أن تصل إلى المقام الذي يجعل الله تعالى لك رشدا عقليا وفكريا ويمنّ عليك بنعمة الشعور في هذا الموقف العظيم، وفيه تكون في أعلى مقامات القرب من الله تبارك وتعالى.

في عرفات عرفت حرارة الشوق وسبُل التقرب إلى الله تبارك وتعالى، ولكن في المشعر الحرام تشعر وتحس بلهيب الاشتياق واللقاء والفناء في جمال المحبوب الحقيقي وهو ذات الله سبحانه وتعالى.

أخي الحاج، ألم تسأل نفسك يوماً: لماذا صار الوقوف في المشعر الحرام ليلا؟! هل بحثت في سر ذلك؟!

كل البركات العظام والآثار الجسام التي نالها الأنبياء والصديقون والأولياء والصالحون كانت ليلا، ولا يخفى على كل عارف وسالك إلى الله تعالى ما لظلمة الليل من أسرار، حيث الخلوة مع الله تعالى والأنس بلذيذ مناجاته وحلاوة قربه.

الله تبارك وتعالى يقول عن رسوله الأمين: سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً...[١٨١]، وما رآه من آيات ربه الكبرى كانت ليلا.

ويقول تبارك وتعالى عن نبيه موسى $: وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً...[١٨٢].

نعم، تم ميقات ربه في ليلة العاشر من ذي الحجة، وكان من بركات هذه الليلة نزول التوراة على كليم الله موسى $!!

والإمام جعفر بن محمد عليهما السلام يقول: كان علي $ يقول: «يعجبني أن يفرغ الرجل نفسه في السنة أربع ليالٍ: ليلة الفطر، وليلة الأضحى، وليلة النصف من شعبان، وأول ليلة من رجب»[١٨٣]!!

فكيف بك أيها الحاج وأنت تحيي ليلة الأضحى في حرم الله جل اسمه وأنت غارق بنعمه وبركاته!!

نعم أخي الحاج، لا يمكنك إتمام الميقات إلا إذا اتصلت بالله تعالى بكل وجودك وذاتك ونفسك وقلبك، وجرّدتها من كل تعلُّق، وأقبلت على ربك بخلوص الإيمان وصفاء النية وأكمل اليقين، حتى تصل بها إلى المدارج العليا والمراتب العظمي والمنازل الكبرى التي أعدت للمتقين.

الفلسفة الثانية:

قد أشرنا في حديثنا عن عرفات إلى جوانب مهمة من تلك الأبعاد الفلسفية الدقيقة في تلك العبادة، وأدركنا أن عرفات كمرآة المعرفة، والالتصاق بالحب المطلق لله تبارك وتعالى دون غيره من مخلوقاته، وكونها معراجا للسمو نحو الانطلاق العظيم باتجاه المعرفة والرؤية الحقيقية المجردة عن الأوهام، وهذه المعرفة والرؤية تحتاج إلى النور والضياء لكي يرتبط الوجود الذهني بالوجود العيني في الخارج، وبعد أن تجاوزنا تلك المرحلة المهمة في تهذيب النفس، حلَلْنا في بقعة الشعور والإدراك الحقيقي لماهية الإنسان، هل هو مؤمن حقاً أم فاسق؟! هل هو عادل أم ظالم؟! وهل يستطيع - بعدما بلغ به هذا المستوى من الشعور لتشخيص ذاته - أن يتجاوز هذه السلبية المشخصة أم يعود بخُفَّي حُنَين؟!! هل يعود كما أتى، ظالما، فاسقا، مرائيا، متملقا، لاهثا خلف الشهوات، أم يعود وقد هذَّب نفسه، وشذَّب طباعه وسلوكه، وأرغم ذاته على الخضوع للمشيئة الإلهية صدقا لا كذبا وزورا، وحقيقة لا مخاتلة وخداعا؟!

انظر إلى الانقطاع التدريجي بين نفس الإنسان ومظاهر الدنيا وتعلقاتها من حين خروجه من بلده وتوجهه إلى بيت الله الحرام في مكة، ومن مكة إلى عرفات، ومن عرفات إلى المشعر الحرام.

إن هذه المرحلة والتي يردد فيها المؤمن الاستغفار والدعاء هي مرحلة عظيمة، خلت من كل مظاهـر الدنيا، فـلا بيت ولا خيمة ولا مأوى، لا يجد فيها الحاج إلا مظاهر الآخرة، لأن الوقوف في المشعر الحرام يعني الوقوف في حرم العفاف والطهر والتقوى والإيمان، وكأنه يقول لك: عبدي!! فرِّغ قلبك من حب الدنيا، وطهرها من زينتها الفانية الخادعة، وتعال إلى الخلود الباقي والنعيم المقيم.

نعم، أنت تعرف أن التوبة لله تعالى من المعاصي والذنوب تصلح في كل زمان، ولكن يقال أن ليلة الجمعة أفضل، حتى قيل أن يعقوب $ بعدما ندم أولاده على ما فرَّطوا في حق يوسف $ قال لهم: ﴿... سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي...﴾[١٨٤]، وكان يريد بذلك ليلة الجمعة.

وكذلك فإن التوبة تصلح في كل مكان ولكن يقال أن في المشعر الحرام أفضل، حيث الظلام وساعات المناجاة والاستغفار.

إنه تجريد القلب من كل التعلقات إلا من حب الله سبحانه وتعالى وعبادته وكل ما كان في سبيله، بعدما كانت الدنيا وملذاتها وشهواتها ورذائلها من الحقد والحسد والبغض قد سكنت في هذا القلب

واستوطنته، وذلك خلاف ما عهد إلينا من قول الإمام الصادق $ حيث يقول: «القلب حرم الله، فلا تسكن حرم الله غير الله»[(١٨٥)].

أنت تستغفر الله تعالى سبع مرات مع طلوع شمس العيد، بعد تلك الساعات المتواصلة في ذلك العالم المليء بالصبر والمناجاة، ولابد أن يكون قلبك حينها كالشمس التي بقيت تدور في فلكها طائعة لأمره تعالى منذ أن خلقها وحتى يأذن الله بفنائها، لا تبديل ولا تحريف: لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ [(١٨٦)].

وأنت أخي الحاج، ألم يخلقك الله تعالى على الفطرة السليمة، فلِمَ انحرفت عن تلك الخلقة والنشأة؟! ألم تدرك أن خروج الشيء عن مداره يعني فناءه ودماره؟! ولِمَ هذا اللهاث خلف الزينة الفانية والمتع الزائلة؟!

إنها هنا وفي هذا المكان المقدس دعوة صادقة لمراجعة النفس والخروج عن ربقة الشهوات، والانطلاق في عالم الروح الخالد.

منى وواجباتها

المرحلة التي تلي المشعر الحرام أو المزدلفة هي منى، والذي يفصل بينهما وادي محسر، والذي يجب على الحاج أن لا يتجاوزه إلا بعد طلوع الشمس كما ذكرنا آنفا.

وقد ذكر في وجه تسميتها بهذا الاسم جملة من الروايات نذكر اثنين منها:

فقد روى معاوية بن عمار عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام قوله: «إن جبرئيل أتى إبراهيم $ فقال له: تَمَنَّ يا إبراهيم، فكانت تسمى منى، فسماها الناس منى»[١٨٧].

وروى محمد بن سنان أن الإمام الرضا $ كتب إليه العلة التي من أجلها سميت منى بمنى: «أن جبرئيل $ قال هناك: يا إبراهيم تَمَنَّ على ربك ما شئت، فتمنَّى إبراهيم $ في نفسه أن يجعل الله تبارك وتعالى مكان ابنه كبشاً يأمره بذبحه فداءً له، فأُعطِي مناه»[١٨٨].

فضل منى وثوابها

وردت عن أهل بيت العصمة # جملة واسعة من الروايات المشيرة إلى فضل اجتماع الناس بمنى نستعرض بعضاً منها:

روي الكليني في الكافي بسنده عن أبي عبد الله الصادق $ قوله: «إذا أخذ الناس مواطنهم بمنى نادى منادٍ من قِبَل الله تعالى: إن أردتم أن أرضى فقد رضيت»[١٨٩].

وروى أيضا بسنده عن الصادق $ قوله: «إذا أخذ الناس منازلهم بمنى نادى منادٍ: يا منى، قد جاءك أهلك فاتَّسعي في فجاجك، واترَعي في مثابك، ونادى منادٍ: لو تدرون بمن حللتم لأيقنتم

بالخلف بعد المغفرة»[١٩٠].

وروى البرقي في محاسنه بسنده عن الإمام الصادق $ قوله: «إذا اجتمع الناس بمنى نادى منادٍ: أيها الجمع، لو تعلمون بمن حللتم لأيقنتم بالمغفرة بعد الخلف»[١٩١].

واجبات منى

١- رمي جمرة العقبة

إن أول عمل يؤديه الحاج عند وصوله إلى منى صباح يوم العيد هو رمي جمرة العقبة والذي يُعَدّ الواجب الرابع من واجبات الحج، والذي تعتبر فيه عدة أمور:

– نية القربة إلى اللّٰه تبارك وتعالى وذلك لأنه عمل عبادي، ولا عمل إلا بنية، وهو أمر واضح جلي ولا داعي للاستفاضة فيه.

– أن يكون الرمي بسبع حصيات، ولا يجزئ الأقل من ذلك.

– أن يكون رمي الحصيات واحدة بعد واحدة، فلا تجزئ رمي اثنتين أو أكثر مرة واحدة.

– أن تصل جميع الحصيات إلى الجمرة.

– أن يكون الرمي بالحجر، فلا يجزئ أن يكون بغيره.

– أن يكون الرمي هو السبب في وصولها إلى الجمرة لا سبب آخر.

– أن يكون الرمي بين طلوع الشمس وغروبها.

– أن تكون جميع الحصيات من الحرم، ولا يجوز أن تكون من خارجه، كما يجب أن تكون أبكارا لم يُرمَ بها سابقا، ويستحب أن تكون ملونة ومنقطة ورخوة، وأن يكون حجمها بمقدار أنملة، كما يستحب أن يكون الرامي راجلا وعلى طهارة، وأن يهلّل ويكبّر، وأن يدعو بالمأثور وغير المأثور، وأن يضع الحصى بيده اليسرى ويرمي باليمنى.

– إذا شك الرامي في الإصابة وعدمها بنى على العدم.

– إذا لم يرمِ يوم العيد نسيانا أو جهلا منه بالحكم لزمه التدارك إلى اليوم الثالث عشر، ولو علم أو تذكر بعد اليوم الثالث عشر فالأحوط أن يرجع إلى منى ويرمي ويعيد الرمي في السنة القادمة بنفسه

أوبنائبه.وإذاعلم بعدالخروج من مكة لم يجب عليه الرجوع بل يرمي في السنة القادمة بنفسه أوبنائبه على الأحوط.

– إذا لم يرمِ يوم العيد نسيانا أو جهلا فعلم أو تذكر بعد الطواف، فتداركه، لم تجب عليه إعادة الطواف وإن كانت الإعادة أحوط. وأما إذا كان الترك مع العلم والعمد فالظاهر بطلان طوافه، فعليه أن يعيده بعد تدارك الرمي.

بعد هذا السرد الخاص بأحكام الرمي نحاول أن نستعرض جانبا من آداب هذا الأمر من خلال الروايات الخاصة به والمنقولة عن أهل البيت#.

عن أبي جعفر الباقر$ قال: قال رسول الله لرجل من الأنصار: «إذا رميت الجمار كان لك بكل حصاة عشر حسنات تكتب لك لما تستقبل من عمرك»[١٩٢].

وعن رسول الله أيضا أنه قال: «رمي الجمار ذخر يوم القيامة»[١٩٣].

وقال الصادق$: «الحاج إذا رمى الجمار خرج من ذنوبه»[١٩٤].

وقال$: «من رمى الجمار يحط عنه بكل حصاة كبيرة موبقة»[١٩٥].

فلسفة رمي الجمار

قبل أن نستعرض معا فلسفة رمي الجمار لابد أن نعرج على بعض الروايات الخاصة بتوضيح علة هذا العمل:

روي عن أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام أنه قال: «أتى جبريل$ إبراهيم$ فقال له: ارم يا إبراهيم، فرمى جمرة العقبة وذلك أن الشيطان تمثّل له عندها»[١٩٦].

وروي عن الإمام الكاظم موسى بن جعفر عليهما السلام وقد سأله أخوه علي بن جعفر عن رمي الجمار لِمَ جُعل؟! فقال$: «لأن إبليس اللعين كان يتراءى لإبراهيم$ في موضع الجمار فرجمه إبراهيم$، فجرت السنّة بذلك»[١٩٧].

وأما الإمام علي$ فقد روي عنه أنه قال: «إن الجمار إنما رُميت لأن جبرئيل$ حين أرى إبراهيم$ المشاعر برز له إبليس، فأمره جبرئيل$ أن يرميه فرماه بسبع حصيات، فدخل عند الجمرة الأولى تحت الأرض فأمسك، ثم أنه برز له عند الثانية فرماه بسبع حصيات أُخر، فدخل تحت الأرض في موضع الثانية، ثم برز له في موضع الثالثة فرماه بسبع حصيات فدخل موضعها»[١٩٨].

وهكذا ونحن نتأمل في هذه الروايات وغيرها ترتسم في مخيلتنا نقطة البداية في فرض هذه السنّة بأمر الله تبارك وتعالى: ﴿... وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾[١٩٩].

هي قصة تصدِّي إبليس لإبراهيم $ في محاولة مستميتة منه لرده وتثبيط همه عن الامتثال لأمر الله تبارك وتعالى.

ذُكر أن إبليس لعنه الله عقد عزمه على هز مشاعر إبراهيم $ في أثناء السعي لامتثال أمر الذبح، ومن الذبيح!! إنه ولده وفلذة كبده إسماعيل $، إنه امتحان قاسي ورهيب، لا يتجاوز التعثر به إلا المخلصون من عباد الله تبارك وتعالى، الذين بلغ بهم الحب الإلهي واليقين حداًّ تتضاءل أمامه كل ما دونه، وكل شيء يهون في طريق الوصول إلى رضاه وبلوغ الحب منتهاه، كما كان الحال لأبي الأحرار وسيد الشهداء أبي عبدالله الحسين $.

لقد كان الصراع المحتدم بين الحب الأبوي والحنان العارم للأبناء، وبين الاستجابة لإرادة الله تبارك وتعالى محسوما في الفكر الإبراهيمي التوحيدي، لم يخالطه أي شك وريبة، فبارت تجارة إبليس بالخسران المبين، وكافأ الله تبارك وتعالى نبيه وعبده الصادق المخلص بأن فدى ولده وجعله نبيا، ذلك كان في الدنيا، وأما في الآخرة فهو شيخ الأنبياء، ويا لها من عظيم مرتبة وجليل منزلة.

إنا بعد مرورنا بعرفات، ومكوثنا في المزدلفة قد اتضحت أمام بصيرتنا جملة واضحة من المسميات، وعرفنا أننا نؤتى من قِبَل أعدائنا، إبليس وحزبه وأعوانه، بل ومن ألدِّ أعدائنا وهي أنفسنا الباحثة عن الرفاه والنعيم والترف الزائل، متحاشية الجد والاجتهاد للوصول إلى النعيم الدائم، فهل نمتلك القدرة لأن نقف كإبراهيم $ نرمي بحصانا بوجه كل أولئك دون تردد أو تلكؤ أم لا؟! هل نستطيع أن نتجاوز كل تلك العقبات التي قد لا تقاس قدرا بامتحان إبراهيم $ أم ننكص ونركن إلى الدنيا وإلى شرور أنفسنا؟! هذا هو محل التساؤل.

ثم ألم نتساءل لِمَ فُرِض علينا أن نختار حصيات أبكار لم تُرمَ من قبل؟! ألا يُغني عنها مجموع الحصى الذي يمتلئ بها المكان الذي نحن فيه؟! بل ولِمَ اشترط الشارع المقدس أن تكون من الحرم لا من غيرها؟!

إن الشيطان، وهو رمز كل شر، يتظاهر ويتشكّل ويتلوّن مع تقدم الأزمنة وتلاحق العصور، فيصبح كالفيروس الذي يتمكن مع مرور الوقت من مقاومة المضادات الحيوية التي يتعاطاها المريض، فلا يسع الطبيب بعدئذ إلا أن يصف له نوعاً آخر من العلاج الطبي الذي يمكن أن يقضي على ذلك الفيروس بإذن الله تعالى.

نعم، فإن تطور الحياة وتعقدها يتطلب فهما واعيا، وإدراكا سليما للظروف المحيطة بالإنسان، لا جمودا وتقليدا وانزواءً.

ثم إن المشرِّع الحكيم يؤكد أن تكون تلك الحصيات من الحرم، وفي ذلك درس واضح بأن لا نخرج عن حومة الدين، ولا باحته الطيبة الطاهرة، فلا نجاح بدونها، ولا فشل إلا بسبب الابتعاد عنها والخروج عن دائرتها، فلنكن صادقين مع أنفسنا فإنه أفضل سبل النجاة وأقربها إلى الفلاح.

٢- الذبح أو النحر في منى

وهو الخامس من واجبات حج التمتع، والثاني من أعمال منى.

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه: ﴿... فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ...﴾[٢٠٠].

وقال جل اسمه: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾[٢٠١].

والهدي كما ذكرنا واجب على المتمتع بالعمرة إلى الحج، قال صاحب الجواهر: بلا خلاف أجده فيه بل الإجماع عليه بعد الكتاب: ﴿... فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ...﴾ والروايات المستفيضة. وأما غير المتمتع فليس بواجب عليه ولكن إن تطوَّع به كان له فيه فضل وأجر كبير.

روى الصدوق في علله عن أمير المؤمنين علي $ قوله: «لو علم الناس ما في الأضحية لاستدانوا وضَحّوا، وإنه ليُغفر لصاحب الأضحية عند أول قطرة تقطر من دمها»[٢٠٢].

وروى البرقي في محاسنه عن الإمام علي بن الحسين $ قوله: «إذا ذبح الحاج كان فداه من النار»[٢٠٣].

وروى في موضع آخر عن رسول الله قوله لفاطمة الزهراء¢: «اشهدي ذبح ذبيحتك فإن أول قطرة منها يُكفِّر الله تبارك وتعالى كل ذنب عليك»[٢٠٤].

واجبات النحر

يشترط في النحر جملة من الواجبات التي يجب على الحاج مراعاتها:

١- قصد القربة، وقد تقدم الحديث عنه مرارا.

٢- أن يكون الهدي من الأنعام الثلاثة: الإبل، والبقر، والغنم.

٣- لا يجزئ من الإبل إلا الثني، وهو ما أكمل السنة الخامسة ودخل في السادسة، ولا يجزئ من

البقر والمعز إلا ما أكمل الثانية ودخل في الثالثة على الأحوط، ولا يجزئ من الضأن إلا ما أكمل الشهر السابع ودخل في الثامن، والأحوط أن يكون قد أكمل السنة الواحدة ودخل في الثانية.

٤- لا يجزئ الهدي الواحد إلا عن حاج واحد.

٥- أن تكون الأضحية تامة الخلقة.

روى الإمام الباقر$ عن رسول الله أنه قال: «لا تضحي بالعرجاء، ولا العجفاء، ولا الخرقاء، ولا الجذاء، ولا العضباء».

وأما من لم يقدر على ذلك فإن كان معه ثمن الهدي تركه عند من يثق به ليشتري له هديا يذبحه عنه العام التالي، وإن عجز عن توفير الثمن فإن عليه أن يصوم عشرة أيام ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله.

قال تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ...﴾[٢٠٥].

والأيام الثلاثة التي في الحج هي: اليوم السابع من ذي الحجة (وهو اليوم الذي يسبق يوم التروية)، واليوم الثامن (وهو يوم التروية)، واليوم التاسع (وهو يوم عرفات).

مكان وزمان الهدي

اتفق الفقهاء على أن مكان الذبح هو بمنى.

وأما زمان الذبح لمن كان بمنى في يوم النحر - وهو العيد - وثلاثة أيام بعده، وأما زمانه في غير منى فإنه في يوم النحر أيضا ويومين بعده بدل ثلاثة.

فلسفة الذبح

لو تأملنا جميع المخلوقات التي خلقها الله تبارك وتعالى، لوجدناها تنقسم إلى أربعة أصناف:

الملائكة: وفيها القوة العقلية الحكمية، وتخلو من القوة الشهوانية.

البهائم: وفيها القوة الشهوانية، وتخلو من القوة العقلية الحكمية.

الجماد والنبات: يخلوان من القوة العقلية الحكمية والقوة الشهوانية.

الإنسان: وفيه القوتان، القوة العقلية الحكمية والقوة الشهوانية.

لاشك أن الإنسان أفضل من المخلوقات الخالية من القوتين المذكورتين وهما الجماد والنبات، وإذا تأملنا الموجودَين الأول والثاني فإنا نجد وضوحا وثباتا في رسم الخط المرتبط بأعمالهما، على عكس

الموجود الثالث، وهو الإنسان، فإن أعماله تتأرجح دائما بين القوتين المذكورتين، ويدنو ويتقرب من خلالها إلى الموجودَين السابقين.

فالإنسان عندما يعمل بوظائفه المرسومة له من قِبَل المشرِّع الإسلامي يكون قد اقترب بشكل واضح وبيِّن إلى عالم الملائكة، ويقترب ويدنو من البهائم إذا اندفع وجرى خلف شهواته وغرائزه دون حدود وضوابط.

ثم إن هذا التأرجح والاقتراب يرتبط ارتباطا وثيقا بالأفعال البشرية الاختيارية، ولذا فهو يُثاب ويُعاقَب تبعاً لذلك.

خلق الله تبارك وتعالى الجنة لمن أطاعه، والنار لمن عصاه، والطاعة تتطلب سعيا مثابرا، وجهدا واعيا، لأن نتيجتها الفوز بالجنان والخلود فيها، على العكس من المعصية التي مصيرها النار والعذاب.

وإذا كان الإنسان الصالح في سعيه المثابر نحو اكتساب رضا الله تبارك وتعالى يرتقي روحيا ونفسيا نحو عالم الأنوار والكمالات، فإن هذه المرحلة السماوية تقوده نحو المعرفة والحب المطلق الذي تتضاءل أمامه كل الموجودات إلا التي تدور في فلكه وتستضيء بنوره.

وعلم المعرفة هذا هو السلم المؤدي إلى الانقياد المطلق والعبادة التي لا تشوبها شائبة لخالق الموجودات جل جلاله، وحيث تضمحل قبالته كل المفردات الدنيوية الأخرى، وهو ما تجسد آنذاك في قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

لقد كان الموقف الإبراهيمي تتجاذبه آنذاك الغريزة والحكمة، ولكنه كان مسلِّما للحكمة غير متأثر بالغريزة، فاقتاد ولده المسلِّم مثله واندفعا معا ليؤديا ما أمرا به دون تردد أو تباطؤ، فعوضهما الله تبارك وتعالى عن ذلك وأثابهما، وجعل فعلهما سُنّة دائمة ما دامت قوافل الحجيج تحدو صوب هذا البيت المقدَّس.

نعم، إنه حسم الصراع بين الحكمة والغريزة، إنه الموقف المترجم للخطوات والمراحل السابقة التي عمدت على إعداد النفس البشرية وتهذيبها وتربيتها لتصل إلى الكمالات الروحية الرفيعة التي ينبغي أن يتسم بها عباد الله الصالحين المخلصين، وكما قيل: «في تقلُّب الأحوال عُلِم جواهر الرجال».

فالحاج عندما يصل إلى هذه المرحلة من مراحل الحج ينبغي أن يكون قد امتلك الوعي السليم والفهم العميق لماهية مناسك الحج، واتخذ القرار النهائي والحاسم بتجاوز الغرائز المتمثلة بالشهوات والأنانية والكذب وغيرها من الرذائل، ونحرها في هذا المذبح المقدس، وإلا فإنه وكما يروى عن الإمام السجاد$ - يرجع ولا حج له.

بلى، فإن من أراد أن يكون حجه إبراهيميا فإن عليه أن يتخذ من نبي الله تعالى هذا قدوةً ويستجيب

لأمر الباري جل اسمه كما استجاب لذلك إبراهيم$، وإلا فهل لك أن تتصور رجلا كإبراهيم$ قد بلغ به الكبر حتى قيل أنه قد تجاوز المائة عام دون ذرية، مائة من السنين الطوال أمضى أكثرها يقارع الظالمين ويتصدى لكفرهم وفسادهم وانحرافهم، جهاد طويل مرير تجرَّع فيه الغصص، ولكنه كان يحتسب ذلك كله عند الله تبارك وتعالى.

نعم، بعد هذه السنين الطوال يُرزَق بطفل جميل مبارك، هدية من ربه تعالى، فكم تتصور مبلغ حبه له!! من المؤكد أنه كان حبا عظيما، لا سيما وهو يرى ولده يكبر مع الأيام، ويشتد عوده، فيزداد له حبا وتعلقا، وإذا به يؤمر بذبحه!! كيف كان وقع ذلك الأمر على ذلك الأب المشفق على ابنه أن يؤمر بذبح ولده وبيده!! حقاً إن ذلك لمن عظيم الابتلاءات التي تهتز لها الجبال الراسيات، فما تراه يفعل؟!!

إن ذلك الأب - وأكثرنا آباء ولنا أبناء - لابد أنه أحسَّ بقلبه وهو يتمزق ويتقطع، ولكنه سلّم إلى الله تعالى، وأخذ ولده الوحيد ليذبحه بيده، والولد مسلِّم لأمر أبيه المأمور بأمر الله تعالى، ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾(٢٠٦)، فرفعهما الله تبارك وتعالى إلى عظيم الدرجات، ودفع عن الابن الذبح وعن الأب هذا الابتلاء.

إنك إذا وصلت إلى هذا المستوى العظيم من التسليم المطلق لإرادة الله تعالى، ولا نعني بذلك أن تذبح ولدك بقدر ما نعنيه من ذبح حب الدنيا والشهوات والأنانيات والكبر، ومن بعد ذلك الانطلاق نحو عالم السمو والرفعة، عالم الروح المقدس لتكون فعلا قد أديت فريضة الحج، وأصبحت حاجا حقيقيا.

نعم، فلكل عصر وزمان إبراهيم وإسماعيل، فمن هو إسماعيلنا الذي تعلقنا به وأحببناه حبا جما؟!

إسماعيلنا هو حب المقام والاسم والجاه والشهرة والحيثية والسلطة وغير ذلك من مظاهر الحياة الدنيا، وكلٌّ يعلم ما في نفسه ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾(٢٠٧).

قال رسول الله : «أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه»(٢٠٨)، وقال : «قال الله تبارك وتعالى: أيُّما عبدٍ أطاعني لَمْ أكِلْه إلى غيري، ومن عصاني وَكَلْتُه إلى نفسه ثم لم أبالِ في أي وادٍ هلك!!»(٢٠٩).

نعم، أخي الحاج، فحقيقة رمي الجمار كانت محاربة مع العدو الخارجي وهو شياطين الإنس والجن، وأما حقيقة الذبح فهي محاربة النفس ومخالفة النفس.

يروى أنه دخل رجل على رسول الله فقال: يا رسول الله، كيف الطريق إلى معرفة الحق؟! قال :

معرفة النفس، فقال: يا رسول الله، فكيف الطريق إلى موافقة الحق؟! قال : مخالفة النفس، فقال: يا رسول الله، فكيف الطريق إلى رضا الحق؟! قال : سخط النفس، فقال: يا رسول الله، فكيف الطريق إلى وصل الحق؟! قال : هجر النفس، فقال: يا رسول الله، فكيف الطريق إلى طاعة الحق؟! قال : عصيان النفس، فقال: يا رسول لله، فكيف الطريق إلى ذكر الحق؟! قال : نسيان النفس، فقال: يا رسول الله، فكيف الطريق إلى قرب الحق؟! قال : التباعد من النفس، فقال: يا رسول الله، فكيف الطريق إلى أنس الحق؟! قال : الوحشة من النفس، فقال: يا رسول الله، فكيف الطريق إلى ذلك؟! قال : الاستعانة بالحق على النفس[٢١٠].

فهلاّ ذبحنا هذه التعلقات واللذات الزائلة لكي نصل بأنفسنا إلى المحل الأرفع والمقام الأسمى!!

٣- الحلق أو التقصير

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ...﴾[٢١١].

قال الإمام الصادق $: «كان رسول الله يوم النحر يحلّق رأسه، ويقلّم أظفاره، ويأخذ من شاربه ومن أطراف لحيته»[٢١٢].

وروي عنه $ أنه قال: «إذا ذبحت أضحيتك حلّق رأسك»[٢١٣].

الحلق أو التقصير هو الواجب السادس من واجبات الحج، والثالث من أعمال منى في اليوم العاشر من شهر ذي الحجة، حيث سبقه الرمي ثم الذبح.

ويعتبر فيه قصد القربة - كباقي الأعمال - وإيقاعه في النهار على الأحوط، والأحوط تأخيره عن الذبح والرمي، ولكن لو قدّمه عليهما أو على الذبح نسيانا أو جهلا منه بالحكم أجزأه، ولم يحتج إلى الإعادة.

ولا يجوز للنساء الحلق، بل يتعيَّن عليهن القصر.

فضل الحلق أو التقصير

روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام أنه قال: «إن المؤمن إذا حلق رأسه بمنى ثم دفنه جاء يوم القيامة وكل شعرة لها لسان طلق تلبي باسم صاحبها»[٢١٤].

فلسفة الحلق أو التقصير

لقد حُرِّم على الحاج عندما شرع بإحرامه الكثير من الأفعال والأعمال، وها هو الآن قد أدى مناسك حجه، وأتم أداء تلك الأوامر وأصبح جاهزا لأن ينطلق في رحاب الرضا الإلهي العظيم، ويحتفل بنجاحه في أداء ما افترض الله تعالى عليه، فهو في عيد، وقد تعارف الناس على أن يحلّقوا شعورهم عند الاحتفال بالعيد أو غيره، إن ذلك هو تتويج ما وُفِّق في أدائه، ونجح في تنفيذه.

كما أن الحلق تأكيد واضح على العبودية المطلقة لله تعالى، والاستجابة لإرادته ومشيته، ونفض هموم ومشاق السفر المتلاحقة، والشروع بحياة جديدة قد شذّبتها وهذّبتها عبادات الحج السابقة ذات الأبعاد المختلفة، والمبتغية لخلق الإنسان المؤمن المتقي الصالح.

إنه الشروع في عالم جديد ينبغي أن يخلو من الخداع والكذب والاحتيال والبهتان وغير ذلك من المعاصي، فإن الحج قد طهَّر الحاج من تبعات ذنوبه الماضية، وما عليه إلا أن يشرع من جديد في رحلته إلى الله تبارك وتعالى.

طواف الحج وصلاته والسعي

بعد أن ينهي الحاج واجبات منى الثلاثة يوم العيد فإن عليه أن يمضي إلى مكة لأداء الواجب السابع - وهو طواف الحج - والثامن - وهي الصلاة - والتاسع وهي السعي، وكيفيتها وشرائطها هي نفس الكيفية التي ذكرناها في طواف العمرة وصلاتها وسعيها.

وخلاصتها هي أن يترك منى نحو البيت الحرام حيث يطوف به سبعاً، ثم يصلي ركعتي الطواف، ثم يسعى بين الصفا والمروة سبعاً.

والواجب على الحاج تأخير الطواف عن الحلق والتقصير في حج التمتع.

طواف النساء وصلاته

الواجب العاشر والحادي عشر من واجبات الحج هما طواف النساء وصلاته، وهذين الواجبين وإن كانا من الواجبات إلا أنهما ليسا من مناسك الحج، فتركهما عمداً لا يوجب فساد الحج.

وطواف النساء كما هو واجب على الرجال فإنه واجب على النساء أيضا، وتركه يحرِّم كل واحد على الآخر، فلو تركه الرجل حُرِّمت عليه النساء، ولو تركته المرأة حُرِّمت عليها الرجال.

قال الشيخ الطوسي رحمه الله: واعلم أن طواف النساء فريضة في الحج وفي العمرة المبتولة، وليس بواجب في العمرة التي يتمتع بها إلى الحج، فإن مات من وجب عليه طواف النساء كان على وليِّه القضاء عنه، وإن تركه وهو حي كان عليه قضاؤه، فإن لم يتمكن من الرجوع إلى مكة جاز له أن يأمر من ينوب عنه، فإن طاف النائب عنه حلَّت له النساء.

وطواف النساء وصلاته كطواف الحج وصلاته في الكيفية والشرائط.

ثم أنه لا يجوز للحاج تقديم طواف النساء على السعي، فإن كان عن علم وعمد لزمته إعادته بعد السعي.

وحكم نسيان الصلاة في طواف النساء كحكم نسيانها في طواف الحج.

وبعد انتهاء طواف النساء فإنه يحلّ للرجل كل ما حُرِّم عليه بعد إحرامه، حتى النساء وكذا الحال بالنسبة للمرأة.

فبعد الحلق حلَّ له كل شيء إلا الطيب والنساء، وبعد طواف الزيارة بالبيت وصلاته وسعيه حلَّ له الطيب، ولم تحلّ له النساء، وبعد طواف النساء وصلاته حلّ له كل شيء، ولم يبقَ شيء من تروك الإحرام وأحكامه.

روي عن الإمام الصادق$: «إذا ذبح الرجل وحلَّق فقد أحلَّ من كل شيء أحرم منه إلا النساء والطيب، فإذا زار البيت وطاف وسعى بين الصفا والمروة فقد أحلَّ من كل شيء أحرم منه إلا النساء، فإذا طاف طواف النساء فقد أحلَّ من كل شيء أحرم منه إلا الصيد»[٢١٥].

المبيت في منى

الواجب الثاني عشر من واجبات الحج هو المبيت في منى.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[٢١٦].

وقال تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾[٢١٧].

قال الإمام الصادق $: «لا تَبِت ليالي التشريق إلا بمنى، فإن بتَّ في غيرها فعليك دم، فإن خرجت في أول الليل فلا ينتصف الليل إلا وأنت في منى، إلا أن يكون شغلك نُسُك، أو قد خرجت من مكة، وإن خرجت بعد منتصف الليل فلا يضرك أن تصبح في غيرها»[٢١٨].

وأيام التشريق هي الأيام الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من شهر ذي الحجة - وقيل أن سبب تسميتها بذلك أنهم كانوا يشرقون لحوم الأضاحي، أي يقددونها ويعرضونها لأشعة الشمس لتصبح قديدا - فإذا خرج الحاج إلى مكة يوم العيد لأداء فريضة الطواف والسعي وجب عليه الرجوع ليبيت في منى ليلة الحادي عشر والثاني عشر، ولا يجب عليه المبيت فيها ليلة الثالث عشر، شرط أن يخرج من منى في اليوم الثاني عشر في الفترة المحصورة بين الزوال والمغرب: ﴿... فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى...﴾.

أي لمن تجنَّب الصيد والنساء أثناء ذلك، فإن أتاهما، أو غابت الشمس في اليوم الثاني عشر وهو في منى وجب عليه المبيت ليلة الثالث عشر.

رمي الجمار

الواجب الثالث عشر من واجبات الحج هو رمي الجمار الثلاث: الأولى، والوسطى، وجمرة العقبة.

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق$: «الحج الأكبر الوقوف بعرفة، ورمي الجمار»[٢١٩].

ويكون الابتداء برمي الجمرة الأولى، حيث يرمي الحاج سبع حصيات، ثم يفعل مثل ذلك في الجمرة الوسطى، ثم جمرة العقبة.

وأما لو خالف - حتى لو كانت المخالفة عن جهل أو نسيان - فإنه يجب عليه الرجوع إلى ما يحصل به الترتيب.

ويجب أن ترمي جميع الجمرات في النهار بالنسبة للمختار، وأما المضطر كالمريض والخائف فإنه يسعه الرمي ليلا.

ثم إن جميع ما ذكرناه من واجبات رمي جمرة العقبة يجري في رمي الجمرات الثلاث كلها.

روى عن الإمام الصادق$ قوله: «ارمِ في كل يوم عند زوال الشمس، وقل كما قلت حين رميت جمرة العقبة، فابدأ بالجمرة الأولى فارمها عن يسارها في بطن المسيل، وقل كما قلت يوم النحر، ثم قم عن يسار الطريق، فاستقبل القبلة، واحمد الله تبارك وتعالى، واثن عليه، وصلِّ على النبي ، ثم تقدم قليلا فتدعو وتسأله أن يتقبل منك، ثم تقدم أيضا، ثم افعل ذلك عند الثانية، واصنع كما صنعت بالأولى، وتقف وتدعو الله تعالى كما دعوت، ثم تمضي إلى الثالثة، وعليك السكينة والوقار، فارمِ ولا تقف عندها»[٢٢٠].

فلسفة المبيت بمنى

الفلسفة الأولى:

أخي الحاج، ربما تتساءل: لماذا كان المبيت بمنى يومين أو ثلاثة أيام بينما كان الوقوف بعرفة والمشعر الحرام ساعات لا تتجاوز مجموعهما من زوال الشمس إلى طلوعها؟!

نحن من يوم بلوغنا وإلى آخر دقيقة في حياتنا أمام امتحانات وابتلاءات لابد من تجاوزها، وفي هذا المضمار ليس هناك إلا خطان لا ثالث لهما: الخط الرحماني والخط الشيطاني.

وبما أن مناسك الحج هي صورة حقيقية ولكنها مصغَّرة لواقع الحياة التي لابد للإنسان أن يسلكها من آداب وأخلاقيات وتهذيب وتطهير، وبعدما عرفنا فلسفة وحقيقة كل منسك من مناسك الحج، لابد أن نعرف الفلسفة التي تكمن وراء المبيت بمنى في أيام التشريق.

إن المبيت بمنى إنما يعني المبيت في منطقة الامتحان والابتلاء العظيم، وكانت كذلك للسابقين من آدم إلى الخاتم من النبيين والصالحين مثل إبراهيم وإسماعيل وهاجر وغيرهم، فتجاوزوا هذه المنطقة بنجاح وفوز عظيم.

ويمكن تقسيم الناس في هذا الأمر إلى ثلاث فئات:

١- أولئك الذين يجزعون ويضطربون ويتذمرون من كل شر يمسهم: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً﴾[٢٢١]، وينكرون الكثير من نعم الله تعالى التي أنعم عليهم طوال حياتهم، وينسونها في لحظة الضر والبلاء.

٢- أولئك الذين يصبرون على كل بلاء ومصيبة وفتنة ألمّت بهم: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[٢٢٢].

٣- أولئك الذين لا يكتفون بالصبر على البلاء والمصيبة بل يتهيأون لاستقبالها بطيب نفس وتمام الرضا بقضاء الله وقدره، ويقولون أن لِذات الله تبارك وتعالى ألطافا جليّة وألطافا خفية، وهذه الابتلاءات والمصائب التي ترد عليهم إنما هي ألطاف إلهية خفية، ويصل بهم المقام أنهم إذا لم يروا البلاء في يومهم أو ليلتهم يخافون ويبكون، لأن هناك من يعتقد أن دوام النعمة عليه دليل على رضا الله عنه وهم غافلون بأن ذلك قد يكون استدراجا لهم ليسوقهم إلى حيث لا يبقى لهم حظ في الآخرة.

نعم أخي المؤمن، أرض منى هي أرض الامتحان والإيثار والصبر والشكر والرضا، وأنت بعد رمي جمرة العقبة والذبح تخرج من إحرامك، ولكن هل تضع سلاحك أرضاً؟!

بالطبع لا، فأنت قبل أن تحل من إحرامك رميت سبع حصيات فقط، ولكن بعد ذلك أنت ترمي الجمرات الثلاث كل يوم بواحدة وعشرين من الحصيات!! لماذا؟!

أخي المؤمن، كلنا في خطر عظيم، فالشيطان لا أمان له، وهو لنا بالمرصاد، ألم تر كيف تصدَّى إبليس لسيدنا إبراهيم$ لرده عن الامتثال لأمر ربه في ذبح إسماعيل$!! وإبراهيم$ من أولي العزم، فكيف بنا مع هذه النفوس الضعيفة التي تنقاد في كل واد ومسلك!!

وعلى هذا، حينما يرى الشيطان أنك قد خرجت من إحرامك نقي القلب ومغفور الذنب يتصدّى لك ليحاربك بسلاح أقوى وأقوى ويخرجك عن الصراط المستقيم، ومن هنا يتبين لنا فلسفة الرمي بعد الذبح ليومين أو ثلاثة أيام متتاليات في منى.

وكما قلنا أن الشيطان لنا بالمرصاد على الدوام وطول الحياة بل على طول الأزمنة كما يتبين لنا في الآيات الكريمة: قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ [٢٢٣]، والمصاديق في ذلك كثيرة منها:

–فشل الشيطان في معركة بدر حينما ملأ الإيمان قلوب أصحاب رسول الله ولكنه انتقم في يوم الطف بأرض كربلاء حينما استولى على قلوب أهل الكوفة والشام، وكما أخبر رسول الله أهل بيته بذلك وقال «إن إبليس في ذلك اليوم يطير فرحا فيجول الأرض كلها في شياطينه وعفاريته فيقول يا معشر الشياطين قد أدركنا من ذرية آدم الطلِبة وبلغنا في هلاكهم الغاية وأورثناهم النار إلا من اعتصم بهذه العصابة (وهم أهل البيت#)»!!

–فشل الشيطان في يوم الخندق، ولكنه ظهر في محراب مسجد الكوفة في سيف ابن ملجم حينما وقع على رأس أمير المؤمنين علي$.

الفلسفة الثانية:

كما بينا سابقا أن جميع أعمال العمرة والحج ترتكز على محور واحد وهو محور الإمامة والولاية، فأنت أيها الحاج من بداية سفرك إلى الحج ارتبطت بإبراهيم$ وإسماعيل$ ورسول الله ، ثم ارتبطت بمولود الكعبة أمير المؤمنين$، وارتبطت بقطبي العرفان في عرفات وهما الإمام الحسين والإمام المهدي عليهما السلام، إلى أن وصلت إلى منى، وفيه استمرار لخط الولاية والإمامة.

يقول الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه: ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ [٢٢٤]، والتفث يعني تقليم الأظفار وطرح الأوساخ، ولكن تأمل أخي المؤمن هذه الرواية التي وردت عن الإمام الصادق$:

عن ذريح قال: قلت لأبي عبدالله$: إن الله أمرني في كتابه بأمر فأحب أن أعلمه، قال$: وما ذاك؟! قلت: قول الله عز وجل: ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ، قال$: ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ يعني لقاء الإمام، وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ يعني تلك المناسك، ثم قال عبدالله بن سنان: فأتيت

أباعبدالله $ فقلت له: جعلت فداك، قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ ؟!
قال $: أخذ الشارب وقص الأظفار وما أشبه ذلك. قلت: جعلت فداك، إن ذريح المحاربي حدثني عنك أنك قلت له: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ يعني لقاء الإمام، ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ يعني تلك المناسك!!
فقال $: صدق ذريح وصدقت، إن للقرآن ظاهرا وباطنا ومن يحتمل مثل ما يحتمل ذريح!![٢٢٥]

اعلم أخي المؤمن أنه لا يمكن لقاء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه إلا بعد تخلية النفس من أوساخ الرذائل وتحليتها بجميل الفضائل، والحياة بدون أنوار الوجود المقدس والحضرة المباركة لصاحب الزمان $ ما هي إلا حياة مليئة بالظلمات والقاذورات والأوساخ.

الفلسفة الثالثة:

أخي الحاج، صحيح أنك تبيت بمنى وتتوقف فيها، ولكن من وراء هذا التوقف حركة باطنية قوية لعلها تغير مسير حياتك تغييرا جذريا.

فالتوقف في هذه الأماكن المقدسة يبدل حال الإنسان إلى غير حاله السابق، ويصنع منه إنسانا آخر ذي مبادئ وقيم عالية.

مثلا: لماذا وردت في بعض الروايات أن من زار الحسين عارفا بحقه كتب الله له ثواب ألف حجة مقبولة وألف عمرة مقبولة؟! وإن الله تبارك وتعالى يتجلى لزوار قبر الحسين صلوات الله عليه قبل أهل عرفات؟!

لأنك في اللحظة التي تفكر فيها بأن الإمام الحسين $ إمام الحرية والإنسانية والشرف والفضيلة، وتعرف الحسين $ حق المعرفة مستحيل أن تقيدك قيود الجاهلية وتستسلم أمام أي تهديد وتزوير، ولما جعلت مقام الولاية والإمامة نصب عينيك تتحرك باتجاههما حركة دائمة لا توقف فيها، وعلى هذا نرى حكومات الجور والطغيان تحاول بشتى الوسائل والطرق لهدم خيمة الولاية ورموزها حتى لا يكون ذلك دافعا للحركة والثورة.

وعلى هذا فلسفة المبيت بمنى والتوقف فيها ما هي إلا لإيجاد الحركة الروحية والباطنية في ضميرك وذاتك أيها الحاج، والارتباط بأنوار الرسالة وروح الولاية والإمامة.

الفلسفة الرابعة:

كما جاء في الروايات أن يوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة تسمى بـ «أيام التشريق».

يقول البعض أن هذه الأيام سميت بالتشريق لأن إشراقات القمر فيها أشد وأقوى، ولكن أحد كبار الأساتذة والكمّلين في العرفان كان يقول أن هذا العبد الذي بدأ سفره مع ملكوت إبراهيم

ورسول الله ومولود الكعبة أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم صلوات الله أجمعين، كيف لا يرى إشراقات جمال خلاصة الأنبياء ووارث المرسلين والصديقين الإمام المهدي المنتظر$!!

نعم، ملايين الأقمار والشموس بأنوارها وضيائها في جانب، وجلوة من أنوار جمال الإمام المهدي$ في جانب آخر.

فأيام التشريق ليست إلا إشراقات الجمال المحمدي والنور العلوي من وجه الإمام المهدي صلوات الله عليه.

أخي المؤمن، أنت حينما تزور الإمام الحسين$ تقول: «السلام عليك يا وارث آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وعلي#»، والإمام المهدي$ وارث الإمام الحسين$، ووارثُ الوارثِ وارثٌ، وعلى هذا فالإمام المهدي$ وارث الأنبياء والمرسلين والأئمة المعصومين عليهم صلوات الله أجمعين.

والآن تعرف الحقيقة التي أشار إليها الإمام الصادق$ في تفسير الآية المباركة: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ...﴾[٢٢٦] بأنك إذا قمت بإزالة القاذورات المعنوية والأوساخ الباطنية فأنت أهل أن تزور جمال إمام زمانك وهو الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه، وبهذا تصل إلى النقطة الحقيقة والمحور الأساسي في كل ما طرحناه من فلسفة الحج وهو الارتباط بصاحب الأمر والزمان، وترجع إلى ديارك وقد أصبحت إنسانا ملكوتيا نورانيا إن شاء الله تعالى.

المصدود والمحصور

المصدود هو الممنوع عن الحج أو العمرة بعد تلبسه بإحرامهما، كأن يمنعه عدو من الدخول إلى مكة، فإن عليه أن يذبح هديه في الموضع الذي صُدَّ فيه، ويحل من جميع ما أحرم فيه.

وأما المحصور فإنه الذي يُمنع عن الحج أو العمرة لمرض ونحوه بعد تلبسه بالإحرام.

إذا كان الحاج محصورا في عمرة مفردة فإن عليه أن يبعث هدْياً ويواعد أصحابه أن يذبحوه أو ينحروه في وقت معين، فإذا جاء ذلك الوقت تحلل في مكانه، ويجوز له خاصة أن يذبح أو ينحر في مكانه ويتحلل.

وتحلُّل المحصور في العمرة المفردة إنما هو من غير النساء، وأما منها فلا تحلل منها إلا بعد إتيانه بعمرة مفردة بعد إفاقته.

ثم أن الفقهاء فصَّلوا في ذلك المورد، حيث ذكروا بأن ذلك الحصر هو الحصر العام، وأما الحصر الخاص، كأن يحبس بدَينٍ عليه أو غير ذلك فلا يخلو أن يكون حبسه بحق أو بغيره، فإن كان بحق، مثل أن يكون عليه دَينٌ يقدر على قضائه ولم يقضه، لم يكن له التحلل لأنه متمكن من الخلاص، وقد حبس نفسه بنفسه.

وأما إن كان بغير حق، كأن يُحبَس ظلما بدَين لا يستطيع سداده وأداءه فإن له أن يتحلل.

وداع البيت

بعد أن ينهي الحاج آخر مناسكه، وهو رمي الجمار بمنى، فإنه يكون قد أدى جميع ما افترض عليه وأكمل حجه، فله أن يرجع إلى أهله، ولكن الأفضل له أن ينحدر صوب الكعبة المشرفة ويطوف بها سبعا طواف الوداع، كما جرى عليه جميع الحجاج مودعين بيت الله الحرام، سائلين الباري جل اسمه أن يرزقهم العود إليه مرة أخرى.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا حج بيته الحرام في هذا العام وفي كل عام، إنه نعم المولى ونعم النصير، وهو على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

أدعية الحج

دعاء الخروج إلى الحج

إذا أردت الخروج إلى الحج فاجمع أهلك، وصلِّ ركعتين، ومجِّد الله تبارك وتعالى وسبِّحه واثنِ عليه كثيرا، وصلِّ على النبي محمد وقل:

اللهُمَّ إنِّي استودِعُكَ اليومَ ديني، ونفسي، ومالي، وأهلي، وولدي، وجيراني، وأهل خُزانَتي، الشاهدَ منَّا والغائب، وجميعَ ما أنعمتَ به عليَّ.

اللهُمَّ اجعلنا في كَنَفِكَ، ومَنْعِكَ، وعِزِّكَ، وعِياذِكَ، عَزَّ جارُك، وجَلَّ ثناؤك، وامتنَعَ عائذُك، ولا إله غيُرك.

توكَّلتُ على الحيِّ الذي لا يموت، والحمدُ لله الذي لم يتَّخِذْ صاحبةً ولا ولداً، ولم يكُنْ له شريكٌ في المُلْكِ، ولم يكُنْ له وليٌّ من الذلِّ وكبِّرْهُ تكبيراً، الله أكبر كبيرا، والحمدُ لله كثيرا، وسبحان الله بكرةً وأصيلاً.

فإذا خرجت من منزلك فقل:

بسم الله الرحمن الرحيم، لا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله العليِّ العظيم، اللهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ من وعثاءِ السفرِ، وكآبةِ المُنْقَلَبِ، وسوءِ المَنْظَرِ في الأهلِ والمالِ والولَدِ.

اللهُمَّ إنّي أسألُك في سَفَري هذا السرورَ، والعملَ بما يُرضيكَ عنّي، اللهُمَّ اقطَعْ عنّي بُعْدَه ومشَقَّتَه، واصحَبْني فيه، واخلُفْني في أهلي بخير.

بل وذكر أنه يستحب له أن يقول بعد هاتين الركعتين:

اللهُمَّ إنّي خرجْتُ في وَجْهي هذا بِلا ثِقَةٍ منّي بغيرِكَ، ولا رجاءٍ يأوي بي إلاّ إليكَ، ولا قُوَّةٍ أتَّكِلُ عليها، ولا حيلةٍ ألجأُ إليها، إلاّ طلبَ رضاكَ، وابتغاءَ رحمتِكَ، وتعرُّضاً لرزقِكَ، وسكوناً إلى حُسْنِ عائدَتِكَ، وأنتَ أعلمُ بما سيقَ لي في علمِكَ في وجهي هذا ممّا أحِبُّ وأكرَه.

اللهُمَّ فاصرِفْ عنّي مقاديرَ كلِّ بلاءٍ، ومقضيَّ كلِّ لأواءٍ، وابسُطْ عليَّ كنفاً من رحمتِك، ولطفاً من عفوِك، وحرزاً من حفظِكَ، وسَعَةً من رزقِكَ، وتماماً مِن نعمتِكَ، وجماعاً من معافاتِكَ، ووفِّقْ لي فيه يا ربِّ جميعَ قضائِكَ على موافقةِ جميع هواي، وحقيقةً في حُسْنِ أمَلي، وادفعْ عنّي ما أحذرُفيه وما لا أحذَرُعلى نفسي مما أنتَ أعلمُ به منّي، واجعلْ ذلك خيراً لي لآخرتي ودنياي مع ما أسألُكَ أن تُخْلِفَني فيمن خلَّفتُ ورائي من وُلْدي، وأهلي، ومالي، وإخواني، وجميعِ خزانتي، بأفضلِ ما تَخْلِفُ به غائباً من المؤمنين، في تحصينِ كلِّ عَورَةٍ، وحفظِ كلِّ مَضيعَةٍ، وتمامِ كلِّ نعمةٍ، ودفاعِ كلِّ سيئةٍ، وكفايةِ كلِّ محذورٍ، وصرْفِ كلِّ مكروهٍ، وكمالِ ما تجمعُ لي به الرضا والسرور في الدنيا والآخرة، ثم ارزُقني ديني، ونفسي، ومالي، وأهلي، وجميع إخواني.

اللهُمَّ اجعلنا في جوارِكَ، ولا تسلُبْنا نعمتَكَ، ولا تغيِّرْ ما بنا من نعمةٍ، وعافيةٍ، وفضل.

وإذا خرج من منزله فليقف على بابه وليقل:

لا إله إلا الله الحليمُ الكريم، لا إله إلا الله العليُّ العظيم، سبحان الله ربِّ السماواتِ السبْعِ، وربِّ الأرضينِ السبْعِ، وما فيهِنَّ وما بينهُنَّ، وربِّ العرشِ العظيم.

اللهُمَّ كُنْ لي جاراً من كلِّ جبّار عنيد، ومن كلِّ شيطانٍ مَريد، بسم الله وبالله والله أكبر. (ثلاث مرات)

بالله أخرُجُ، وبالله أدخُلُ، وعلى الله أتوكَّلُ، اللهُمَّ افتحْ لي في وجهي هذا الخيرَ، واختِمْ لي فيه الخيرَ، وعافِني من شرِّ كلِّ دابَّةٍ أنتَ آخِذٌ بناصيتها، إنَّ ربّي على صراطٍ مستقيم.

دعاء الدخول في المدن والقرى

إذا أشرف الحاج في سفره على قرية أو مدينة فليقل:

اللهُمَّ ربَّ السماواتِ السبْعِ وما أظَلَّتْ، وربَّ الأرضينِ السبْعِ وما أقلَّتْ، وربَّ الشياطينِ وما أضلَّتْ، وربَّ الرياحِ وما ذَرَتْ، وربَّ البحارِ وما جرَتْ، أسألُكَ خيرَ هذه القريةِ وخيرَ ما فيها، وأعوذُ بكَ من شرِّها وشرِّ ما فيها.

اللهُمَّ يسِّرْ لي ما كان فيها من خيرٍ، ووفِّقْ لي ما كان فيها من يُسْرٍ، وأعِنّي على حاجتي، يا قاضِيَ الحاجات، يا مجيبَ الدعَوات، أدخِلْني مُدْخَلَ صِدْقٍ، وأخرِجْني مُخْرَجَ صِدْقٍ، واجعلْ لي من لدُنك سلطاناً نصيراً.

أدعية الإحرام

إذا فرغ الحاج من صلاته فليحمد الله تبارك وتعالى، وليثنِ عليه، ويصلي على النبي محمد ، ويذكر الأئمة#. ويقرأ سورة القدر، ثم يدعو بعدها فيقول:

اللهُمَّ إنّي أسألُكَ أن تجعلَني مِمَّن استجابَ لكَ، وآمَنَ بوعدِكَ، واتَّبَعَ أمرَك.

اللهُمَّ إنّي عبدُكَ وفي قبضتِكَ، لا أوقي إلا ما وَقيتَ، ولا آخُذُ إلا ما أعْطيتَ، قد عزمتُ على التمتُّعِ بالعمرَةِ إلى الحجِّ.

هذا إذا كان متمتعا بالعمرة إلى الحج. أما إذا لم يكن كذلك ذكر ما عزم عليه إن كان قارنا فيقول: وقد عزَمْتُ على الحجِّ قارناً. وإن كان مفردا، كر ر ذلك أيضا.

ثم يقول:

فأسألُكَ أن تُعيينَني عليه وعلى ما ضَعُفْتُ عنه، وتسلِّمَ منّي مناسِكي في يُسْرٍ منكَ وعافيةٍ، واجعلْني مِن وَفْدِكَ الذين رَضيتَهم وارتضيتَهم وسميتهم وكفيتهم. اللهُمَّ فتمِّمْ لي ما قصدتُ له.

ثم يقول:

اللهُمَّ إنّي أريدُ ما أمرتَ به مِن التمتُّعِ بالعمرةِ إلى الحجِّ، على كتابِكَ، وسُنَّةِ نبيِّكَ محمدٍ صلى الله عليه وآله. فإنْ عَرَضَ لي عارضٌ يحبِسُني فَحُلَّني حيثُ حبَسْتَني لِقَدَرِكَ الذي قدَّرْتَ عليَّ.

اللهُمَّ إنْ لَم يكنْ حجَّةً فعمرةً، أُحْرِمُ لكَ جسدي وشعري وبشري من النساءِ والطيبِ والثيابِ، أبتغي بذلك وجهَكَ والدارَ الآخرةَ، فأعِنّي وتقبَّل منّي.

فإذا كان قارنا قال بدل قوله التمتع بالعمرة إلى الحج: قارناً فسلِّم لي هَدْيي وأعِنّي على مناسِكي...، وأما إذا كان مفردا قال: اللهُمَّ إنّي أريدُ الحجَّ مفرداً فيسِّرْهُ لي، وسلِّمْ لي مناسكي...

فإذا أحرم بما ذكرنا من الأدعية والأفعال المذكورة في فقه الإحرام فليكثر من التلبية ويقول:

لبَّيكَ اللهُمَّ لبَّيك، لبَّيكَ لا شَريكَ لكَ لبَّيك، إنَّ الحمدَ والنعمةَ لكَ والملك، لا شريكَ لكَ لبَّيك.

وهذه التلبيات هي الأربع المفروضة، ثم يقول بعد ذلك:

لبَّيكَ ذا المعارجِ لبَّيك، لبَّيكَ تُبْدِئُ والمعادُ إليك لبَّيك، لبَّيكَ داعياً إلى دارِ السلامِ لبَّيك، لبَّيكَ غفَّارَ الذنوبِ لبَّيك، لبَّيكَ مرهوباً ومرغوباً إليكَ لبَّيك، لبَّيكَ أنتَ الغنيُّ ونحن الفقراءُ إليك لبَّيك، لبَّيكَ ذا الجلالِ والإكرامِ لبَّيك، لبَّيكَ إلهَ الحقِّ لبَّيك، لبَّيكَ ذا النعماءِ والفضلِ والحَسَنِ الجميلِ لبَّيك، لبَّيكَ كشّافَ الكُرَبِ العِظامِ لبَّيك، لبَّيكَ عبدُكَ وابنُ عبدَيكَ لبَّيك، لبَّيكَ يا كريمُ لبَّيك، لبَّيكَ أتقرَّبُ إليكَ بمحمدٍ وآلِ محمدٍ صلَّى الله عليه وآله لبَّيك، لبَّيكَ بحجَّةٍ وعمرةٍ لبَّيك، لبَّيكَ فهذه مُتْعَةُ عمرَةِ الحجِّ لبَّيك، لبَّيكَ تمامُها وبلاغُها عليكَ لبَّيك.

أدعية الدخول إلى مكة

إذا اقترب الحاج من الحرم فليغتسل قبل دخوله. وإن لم يقدر فليغتسل قبل دخوله مكة وإن لم يقدر فليغتسل بعد دخولها وقبل دخوله إلى المسجد الحرام سُنّة مؤكدة.

وليدخل مكة من أعلاها إذا كان داخلا من طريق المدينة، وعليه السكينة والوقار والخشوع.

فإذا نظر إلى البيت الحرام فليستقبلها بوجهه ويقول:

الحمدُ للّه الذي عظَّمَكِ، وشَرَّفَكِ، وكَرَّمَكِ، وجعلَكِ مَثابةً للناسِ وأمْناً مُباركاً وهدى للعالمين.

فإذا أراد الدخول إليه فليكن من باب بني شيبة، فإن رسول اللّه قد دخل منه، فإذا وصل إلى البيت الحرام فليقف وليقل:

بسمِ اللّه وباللّه، ومِنَ اللّه وإلى اللّه، وما شاءَ اللّه وعلى مِلَّةِ رسولِ اللّه صلَّى اللّه عليه وآله، وخيرُ الأسماءِ للّه، والسلامُ على رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، والسلامُ على محمدِ بن عبداللّه.

السلامُ عليكَ أيُّها النبيُّ ورحمةُ اللّه وبركاتُه، السلامُ على أنبياءِ اللّهِ ورُسلِهِ، السلامُ على إبراهيمَ خليلِ اللّه، السلامُ على المُرْسَلين، السلامُ علينا وعلى عبادِ اللّه الصالحين، الحمدُ للّه ربِّ العالمين.

ثم يدخل مقدِّما رجله اليمنى، مستقبلا البيت، رافعا يديه بالدعاء:

اللهُمَّ إنّي أسألُكَ في مَقامي هذا في أوّلِ مناسكي أنْ تَقْبَلَ توبتي، وأنْ تجاوَزَ عن خطيئتي، وأنْ تَضعَ عنّي وِزْري.

الحمدُ للّه الذي بلَّغني بيتَهُ الحرامَ، اللهُمَّ إنّي أشهدُ أنَّ هذا بيتُكَ الحرامُ الذي جعلتَهُ مَثابةً للناسِ وأمْناً، مباركاً وهدى للعالمين.

اللهُمَّ إنّي عبدُك والبلدُ بلدُك، والبيتُ بيتُك، جئتُ أطلُبُ رحمتَكَ، وأوم طاعتكَ، مطيعاً لأمرِكَ، راضياً بقدَرِكَ، أسألكَ مسألةَ المضْطَرِّ إليكَ، الخائفِ لعقوبتِكَ.

اللهُمَّ افتحْ لي أبوابَ رحمتِكَ، واستعمِلْني لطاعتِكَ ومرضاتِكَ.

أدعية الطواف

إذا شرع الحاج بالطواف فانه يبتدئ بالحجر الأسود، فليستقبله بوجهه ويرفع يديه بالدعاء قائلا:

الحمد للّه الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتَدِيَ لولا أن هدانا اللّه، سبحانَ اللّه، والحمدُ للّه، ولا إله إلا اللّه وحدَه لا شريكَ له.

وله أن يقول أيضا:

اللهُمَّ سائلُكَ ببابِكَ، مسكينُكَ ببابِكَ، فقيرُكَ ببابِك، فتصدَّقْ عليه بالجنَّة.

اللهُمَّ صلِّ على محمد وآل محمد. وأدخِلْني الجنَّةَ برحمتِكَ، وعافِني مِن السُقْمِ، وأوسِعْ عليَّ من الرزقِ الحلالِ، وادرَأ عنّي فَسَقَةَ العرَبِ والعجَمِ، وشَرَّ فَسَقَةِ الجنِّ والإنس.

ثم يدنو منه ليقبِّله، فإن لم يستطع ذلك فليمسحه بيده ثم يقبِّله، وإن لم يقدر على ذلك يومئ بيده نحوه ويدعو بهذا الدعاء:

أمانَتي أدَّيتُها، وميثاقي تعهَّدْتُه لتشهَدَ لي عندَكَ بالموافاة.

اللهُمَّ إيماناً بكَ، وتصديقاً بكتابِكَ، وعلى سُنَّة نبيِّك، أشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، آمنت بالله، وكفرْتُ بالجِبْتِ والطاغوتِ واللاّةِ والعُزَّى وعبادةِ الشيطانِ وعبادةِ كلِّ نِدٍّ يُدْعَى من دونِ الله.

اللهُمَّ إليكَ بسطْتُ يدي، وفيما عندَكَ عَظُمَت رغبَتي، فاقْبَلْ إحساني، واغفرْ لي وارحمني.

اللهُمَّ إنّي أعوذُ بكَ مِن الكفرِ، والفقرِ، والذلِّ، ومواقفِ الخزيِ في الدنيا والآخرة.

وإذا بلغ باب الكعبة فليرفع يديه بالدعاء وليقل:

اللهُمَّ صلِّ على محمد وآل محمد. اللهُمَّ أدْخِلْني الجَنَّةَ برحمتِكَ، وعافِني مِن السُقْمِ، وأوسِعْ عَلَيَّ مِن رزقِكَ الحلالِ الطيِّبِ، وادرَأ عَنِّي فَسَقةَ الجنِّ والإنسِ، وشرَّ فَسَقةِ العربِ والعَجَم.

فإذا استقبل الميزاب فليدعو بهذا الدعاء:

اللهُمَّ أعتقني من النار، وأوسِعْ عَلَيَّ مِن رزقِكَ الحلالِ الطيِّبِ، وادرَأ عنِّي شَرَّ فَسَقَةِ الجنِّ والإنسِ، وأَدْخِلْني الجَنَّةَ برحمتِك.

وكلما استقبل الحجر الأسود في طوافه فإنه يقول:

الله أكبرُ، السلامُ على رسولِ الله صلَّى الله عليه وآله.

ثم يقول أثناء طوافه بين كل موضعين:

اللهُمَّ إنّي أسألُكَ باسمِكَ الذي يُمْشَى به على ظُلَلِ (طَلَلِ) الماءِ كما يُمْشَى به على جُدَدِ الأرضِ، وباسمِكَ المخزونِ المكنونِ عندكَ، وباسمِكَ الأعظمِ الذي إذا دُعِيتَ به أَجَبْتَ، وإن سُئِلْتَ به أَعْطَيتَ، أن تصلِّيَ على محمد وآل محمد... وأن تفعل بي كذا وكذا (ويذكر حوائجه في الدنيا والآخرة).

فإذا أصبح محاذيا للركن اليماني فليرفع يديه بالدعاء ويقول:

اللهُمَّ ربَّ إبراهيمَ وإسماعيلَ اللذَيْن أمرتَهما برفْعِ أركانِ بيتِكَ، وأن يُطَهِّراهُ للطائفينَ والعاكفينَ والرُكَّعِ السُجودِ فيما سألاكَ أن تَتَقَبَّلَ منهما، فتَقَبَّلْ ذلك منِّي، إنك أنتَ السميعُ العليم.

وبعد أن يتجاوز هذا الركن وقبل أن يصل الركن اليماني فليقل:

اللهُمَّ اغفِرْ لي، وارحَمْني، واهْدِني، وعافِني، وارزقْني، ووفِّقْني.

وإذا وصل في طوافه إلى المستجار فليقل:

اللهُمَّ هذا مقامُ مَن أساءَ واقتَرَف، واستكانَ واعترَف، وأقرَّ بالذنوبِ التي اجْتَرَمَ.

هذا مكانُ المستغيثِ المستجيرِ مِنَ النارِ، مَكانُ مَنْ لا يدفَعُ عن نفسِهِ سوءاً، ولا يَجُرُّ إليها نفعاً.

هذا مقامُ مَن لاذَ ببيتِكَ الحرامِ، راغباً وراهباً، بكَ استعيذُ مِن عذابِ يومٍ لا تَنفعُ فيه شفاعةُ الشافعين، إلاَّ مَن أذِنْتَ له يا ربَّ العالمين.

اللهُمَّ صلِّ على محمد وآل محمد الطاهرين، وسلِّمْني مِن هولِ ذلك اليومِ برحمتك يا أرحم الراحمين.

فإذا بلغ الركن اليماني فليستلمه، وليقبّله، فإن لم يتمكن، مسَحَه بيده ثم يمسح بها وجهه، فقد ذكر أن فيه بابا من أبواب الجنة، وليقل:

يا سيدي، إلى مَنْ يَطلبُ العبدُ إلا إلى مَولاه، ولمَن يرجو إلاّ سَيِّدَه، فأسألكَ أنْ تصلِّي على محمد نبيِّكَ وعلى آله الطاهرين، وأنْ تقْبَلَ مناسِكي وتُنْجِحَ حوائجي.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً صلَّى الله عليه وآله عبدُه ورسولُه، آمنتُ بما جاءَ به، واتبَعْتُ النورَ الذي أُنْزِلَ معه.

فإذا تجاوزه وصار بينه وبين الركن الذي فيه الحجر الأسود فليقل:

اللهُمَّ إنّي حَلَلْتُ بفِنائِكَ فاجعلْ قِرايَ مغفرتُكَ، وأَرْضِ عنِّي خَلْقَكَ، اللهُمَّ آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرةِ حسنةً وقِنا عذابَ النار.

وإذا وصل إلى الحجر الأسود فقد أكمل شوطا فليستلمه أو يُشِرْ إليه إذا لم يقدر على ذلك، ويقول:

اللهُمَّ صلِّ على محمد وآل محمد، وعجِّل فرجَهم يا رب العالمين، وأهْلِكْ أعداءَهم أجمعين.

اللهُمَّ تُبْ علَيَّ توبةً نصوحاً، واعصِمْني فيما بَقِيَ مِن عُمْري، وارزقْني مِن رزقِكَ الحلال، وأدْخِلْني الجنَّةَ برحمتِكَ، وأعِذْني من عذابِ النار.

فإذا أتم طوافه في الشوط السابع، فليقم عند المستجار، ويبسط يديه نحو البيت، ويلصق خده وبطنه عليه - إن استطاع -ويدعو:

اللهُمَّ البيتُ بيتُكَ، والعبدُ عبدُكَ، وهذا مقامُ العائذِ بِكَ.

اللهُمَّ ربَّ البيتِ العتيقِ واللطْفِ الرفيقِ، صلِّ على محمدٍ وآل محمدٍ المنتجبين، والطُفْ لي في الدينِ والدنيا بلطفٍ مِن عندِكَ يا رب العالمين.

اللهُمَّ هذا مقامُ العائذِ بكرمِكَ، اللائذِ ببيتِكَ وحرمِكَ، ربِّ البيتُ بيتُكَ، والعبْدُ عبدُكَ فاجعلْ

قِرايَ مغفرتُكَ، وهَبْ لي ما بيني وبينَك، وأَرْضِ عنّي خلقَكَ.

ثم يصلي بعد ذلك ركعتي الطواف عند مقام إبراهيم$، فإذا سلَّم دعا بهذا الدعاء:

إلهي، قد مَدَّ إليكَ الخاطئُ المذنبُ يديهِ لحُسْنِ ظَنِّهِ بِكَ، إلهي، قد جَلَسَ المُسيءُ بين يديكَ مُقِرّاً لكَ بسوءِ عَمَلِهِ، وراجياً مِنكَ الصفحَ عن زَلَلِهِ، إلهي قد رَفَعَ الظالمُ كَفَّيهِ إليكَ راجياً فيما لديكَ، فلا تُخَيِّبْهُ برحمتِكَ من فضلِكَ.

إلهي، قد جَثا العائذُ مِن المعاصي بين يديكَ خوفاً مِن يومٍ يَجْثو في الخلائقِ بين يديكَ، إلهي، قد جاءَكَ العبدُ الخاطئُ فَزِعاً، مُشْفِقاً، ورفَعَ إليكَ طَرْفَهُ حَذِراً راجياً، وفاضَتْ عبرَتُهُ مستغفراً نادماً، إلهي، فصلِّ على محمدٍ وآل محمدٍ، واغفِرْ لي برحمتِكَ يا أرحم الراحمين.

أدعية السعي بين الصفا والمروة

يخرج الحاج كما ذكرنا سابقا من باب الصفا بسكينة ووقار، حتى يصلها فيصعد عليها مستقبلا القبلة بوجهه، ويكبِّر اللّه تبارك وتعالى، ويحمده، ويهلِّله سبعاً سبعاً ويقول:

لا إله إلا اللّه وحده لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، يُحْيي ويُميتُ، وهو حيٌّ لا يموتُ، بيدِهِ الخيرُ وهو على كلِّ شيءٍ قدير. (ثلاث مرات)

ثم يصلي على النبي محمد ويدعو:

اللهُمَّ اغفر لي كلَّ ذنبٍ أذنبْتُه قطُّ، فإن عُدْتُ فعُدْ عليَّ بالمغفرة، فإنَّكَ أنتَ الغفورُ الرحيم.

اللهُمَّ افعلْ بي ما أنتَ أهلُه فإنَّكَ إنْ تفعلْ بي ما أنتَ أهلُه ترحمْني وإنْ تعذِّبْني فإنَّكَ غنيٌّ عن عذابي وأنا محتاجٌ إلى رحمتِكَ، فيا مَن أنا محتاجٌ إلى رحمتِه ارحمني، اللهُمَّ لا تفعلْ بي ما أنا أهلُه فإنك إنْ تفعلُ بي ما أنا أهلُه تعذِّبْني ولن تظلمَني، أصبحتُ أتّقي عدلَكَ ولا أخافُ جورَكَ، فيا من هو عدلٌ لا يجور ارحمني.

أو يدعو بهذا الدعاء:

اللهُمَّ العفْوَ والعافيةَ، واليقينَ في الدنيا والآخرة، ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرةِ حسنةً، وقِنا عذابَ النارِ، برحمتِكَ يا أرحمَ الراحمين.

اللهُمَّ اغفِرْ لي كلَّ ذنبٍ أذنبتُه، وإنْ عُدْتُ فعُدْ علَيَّ بالمغفرة، إنَّكَ أنتَ الغفورُ الرحيم.

اللهُمَّ أظِلَّني بظلِّ عرشِكَ يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّكَ، اللهُمَّ استعمِلْني بطاعتِكَ، وسنَّة رسولكَ صلَّى اللّه عليه وآله، وتوفَّني على ملَّتِه، واحشُرْني في زمرتِه.

اللهُمَّ إنَّكَ تكفَّلْتَ بأرزاقِنا ورزقِ كلِّ دابَّةٍ، فآتِنا مِن فضلِكَ، وأوسِعْ علينا مِن رزقِكَ، وبارِكْ لنا

في الأهلِ والمالِ والولدِ.

اللهُمَّ ارحمْ مسيرَنا إليك من الفجِّ العميقِ، وارزقنا منكَ رحمةً نستغني بها عن رحمةِ من سواك.

اللهُمَّ صلِّ على محمد وآل محمد واغفر لي ولوالديَّ ولجميعِ المؤمنين والمؤمنات.

ثم ينحدر صوب المروة ماشيا حتى يبلغ المسعى الأول ثم يهرول وليقل:

ربِّ اغفرْ وارحمْ، وتجاوزْ عمّا تعلمْ، إنكَ أنتَ الأعزُّ الأجَلُّ الأكرم.

وليكرر هذا الدعاء حتى يصل الزقاق، حيث يقطع الهرولة، ويمشي إلى المروة ويقول:

يا ذا المنِّ والطَول، والكرمِ والجودِ، صلِّ على محمد وآل محمد، واغفرْ ذنوبي، إنه لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنتَ يا كريم.

ويكرر هذا الدعاء حتى يصل إلى المروة، فيستقبل البيت بوجهه ويقول:

لا إله إلا اللّه وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، يُحيي ويُميت، وهو حيٌّ لا يموت، بيده الخيرُ وهو على كلِّ شيءٍ قدير.

اللهُمَّ إنّي أسألكَ حُسْنَ الظنِّ بكَ، وصِدْقَ النيَّةِ في التوكُّلِ عليك، اللهُمَّ افعلْ بي ما أنتَ أهلُه، فإنَّكَ إن تفعلْ بي ما أنا أهلُه تعذِّبْني ولم تظلمْني.

أدعية يوم التروية

يوم التروية هو اليوم الثامن من ذي الحجة، فإذا وصل هذا اليوم فليغتسل الحاج، وليلبس ثوبي إحرامه، ويمضي إلى المسجد الحرام وهو يدعو:

اللهُمَّ إنِّي خَرَجْتُ إليكَ راضياً، ولما قلتُ مُسَلِّماً، وبِمَنْ أرسلْتَ مُصَدِّقاً، ولما مننتَ شاكِراً، وبما أنعمتَ عارفاً، فصلِّ على محمد وآل محمد، واجعل توجُّهي إليك سبباً لكلِّ خيرٍ، وجمِّلْني بلباسِ التقوى، وارزقني الخشوعَ والخضوعَ، وجَنِّبْني الرياءَ والسمعة برحمتك.

وبعد الطواف والصلاة وعقد نية الإحرام فليدعو عند مقام إبراهيم$ بهذا الدعاء:

صدقَ اللّه الذي لا إله إلا هو، وبَلَّغتْ رسلُهُ الكرام ونحن على ذلك من الشاهدين والحمد للّه رب العالمين، اللهُمَّ صلِّ على محمد وآل محمد واجعلني ممَّن استجابَ لَكَ، وآمَنَ بوعدِكَ، واتَّبَعَ كتابَكَ وسنَّةَ نبيِّكَ، فإنَّما أنا عبدُكَ، وفي قبضتِكَ، اللهُمَّ إنّي أريد ما أمرتَ به من الحجِّ على كتابِكَ وسنَّةِ نبيِّك صلَّى اللّه عليه وآله، فقوِّني عليه، ويسِّرهُ لي، وسلِّم لي مناسكي في يسرٍ منك وعافيةٍ، واجعلْني من وَفْدِكَ، وحجّاجِ بيتِكَ الذين رضيت عنهم وارتضيتَهم، اللهُمَّ إن عَرَضَ عليَّ عارضٌ يحبِسُني، فحُلَّني لقَدَرِكَ الذي قدَّرْتَ عليَّ، أُحْرِمُ لكَ جَسَدي، وشَعْري، وبَشَري، ولَحْمي، ودَمي، وعَصَبي، وعِظامي،

مِن النساءِ والطيبِ والثياب.

وليلبِّ عند الحجر الأسود:

لبَّيك اللهُمَّ لبَّيك، لبَّيك بحجَّةٍ تمامُها عليك.

التوجه إلى منى

يدعو الحاج وهو متوجه إلى منى بهذا الدعاء:

اللهُمَّ إيّاك أرجو، وإيّاك أدْعو، فبلّغني أمَلي، وأصْلِحْ عَمَلي.

فإذا وصلها فليدعو:

الحمد لله الذي أقْدَمَنيها صالحاً، وبلَّغَنيها في عافيةٍ سالماً. اللهُمَّ هذه مِنَى، وهي ما مَنَنْتَ به علينا، فأسألك أن تمُنَّ عليَّ بما مَنَنْتَ به على أنبيائك وأوليائكَ وأهلِ طاعتِكَ، فإنَّما أنا عبدُكَ، وفي قبضتِكَ، فصلِّ على محمد وآل محمد، واغفرْ لي ذنوبي، واقضِ حوائجي.

الغدو إلى عرفات

يدعو الحاج وهو غادٍ إلى عرفات بهذا الدعاء:

اللهُمَّ إليك صَمَدْتُ، وإياكَ اعتَمَدْتُ، ووجهَكَ أردْتُ، وأمرَكَ اتَّبَعتُ، وقولَكَ صدَّقتُ، فأسألكَ أنْ تبارك لي في رحلتي، وأن تقضيَ لي حاجتي، وتُنجحَ لي طلبَتي، وأن تباهِي بي اليومَ مَن هو أفضل مني.

اللهُمَّ صلِّ على محمد وآل محمد، وأعنِّي على تمامِ مَناسِكي، وزكِّ عملي، واجعلْها خيرَ غَدْوَةٍ غدوتُها، أقربَها مِن رضوانِكَ، وأبعدَها مِن سخطِكَ.

الدعاء في عرفات

يستقبل الحاج القبلة، ويحمد الله تبارك وتعالى، وهو المنّان الكريم، ويثني عليه، ويسبِّحه ويهلِّله، ويقول: «ما شاء الله، لا قوة إلا بالله» مائة مرة، ثم يدعو بهذا الدعاء:

لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، يحيي ويميت وهو حيٌّ لا يموتُ، بيده الخيرُ، وهو على كلِّ شيءٍ قدير.

ويقول أيضا:

اللهُمَّ إنّي عبدُك، فلا تجعلْني مِن أخْيَبِ وفدِكَ، وارْحَمْ مَسيري إليك.

اللهُمَّ رَبَّ المشاعِرِ الحرامِ كلِّها، فُكَّ رَقَبتي مِن النار، وأدخلْني الجنّة برحمتِكَ، وأوسِعْ عليَّ مِن رزقِكَ، وادْرَأ عنّي فَسَقَةَ الجنِّ والإنسِ.

اللهُمَّ إنّي أسألُكَ بحولِكَ وقوّتِكَ، ومجدِكَ وجودِكَ، ومنِّكَ وفضلِكَ، يا أسمعَ السامعين، ويا أبْصَرَ الناظرين، ويا أسْرَعَ الحاسبين، ويا أرحمَ الراحمين، أنْ تُصَلّي على محمد وآل محمد، وأن تغفرَ لي وترحَمني،... وتفعل بي كذا وكذا... (ويذكر حاجته).

ثم يدعو بعد ذلك بهذا الدعاء:

اللهُمَّ حاجَتي إليكَ التي إنْ أعطيتَنيها لَمْ يضرَّني ما مَنَعْتَني، وإنْ مَنَعْتَنيها لَمْ ينفعْني ما أعطيتني، فَكاكُ رَقَبتي مِن النار.

اللهُمَّ إنّي عبدُكَ، ناصيتي بيدِكَ، وأجَلي بعلمِكَ، وأسألك أن توفِّقَني لِما يُرضيكَ عنّي، وأنْ تُسَلِّمَ مناسكي التي أريتَها إبراهيمَ خليلَكَ، ودَلَلْتَ عليها نبيَّكَ محمداً صلَّى الله عليه وآله.

اللهُمَّ اجعلْني مِمَّنْ رضيتَ عَمَلَهُ، وأطَلْتَ عمرَه، وأحييتَهُ بعدَ المماتِ حياةً طيِّبةً.

الحمد لله على نعمائِهِ التي لا تُحْصَى بعددٍ، ولا تُكافَأُ بعملٍ، الحمد لله الذي رزقني ولَمْ أكُ أملِكُ شيئاً، الحمد لله على حلمِهِ بعدَ علمِهِ، الحمد لله على عفوِهِ بعدَ قدرتِهِ، الحمد لله على رحمتِهِ التي سبقَت غضَبَه.

دعاء الموقف

لا إله إلا الله الحليمُ الكريمُ، لا إله إلا الله العليُّ العظيمُ، سبحانَ الله ربَّ السماواتِ السبعِ وربَّ الأرضينِ السبعِ، وما فيهِنَّ وما بينهُنَّ، وربُّ العرشِ العظيمِ، وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

اللهُمَّ صلِّ على محمد عبدِكَ ورسولِكَ، وخِيَرَتِكَ مِن خلقِكَ،، وعبدِكَ الذي اصطفيتَه لرسالاتِك، واجعلْه يا إلهي أوّلَ شافعٍ، وأوّلَ مُشَفَّعٍ، وأبرّكَ قائلٍ، وأنجَحَ سائلٍ.

اللهُمَّ صلِّ على محمد وآل محمد أفضلَ ما صلَّيتَ وباركتَ وترحَّمْتَ على إبراهيمَ وآلِ إبراهيمَ، إنَّكَ حميدٌ مجيدٌ، اللهُمَّ إنَّكَ تجيبُ المضطَرَّ إذا دعاكَ، وتكشفُ السوءَ، وتُغيثُ المكروبَ، وتُشْفِي السقيمَ، وتُغني الفقيرَ، وتجبرُ الكسيرَ، وترحمُ الصغيرَ، وتُعينُ الكبيرَ، وليس فوقكَ أميرٌ، وأنت العليُّ الكبير.

يا مُطلِقَ المكبَّلِ الأسير، يا رازقَ الطفلِ الصغيرِ، ويا عِصْمَةَ الخائفِ المستجير، يا مَن لا شريكَ له ولا وزير، اللهُمَّ إنَّكَ أعظمُ من دُعيَ، وأسرعُ مَنْ أجابَ، وأكرمُ مَنْ عفا، وخيرُ مَن أعطى، وأسرعُ مَن

أجابَ، وأوسعُ مَن سُئِلَ، ورحمنُ الدنيا والآخرة ورحيمُهما، ليسَ كمثلِكَ شيءٌ مسئولٌ ولا معطٍ، دعَوتُك فأجبتَني، وسألتُكَ فأعطيتَني، وفَزِعْتُ إليكَ فرحِمْتَني، وأسلمتُ لَكَ نفسي، فاغفرْلي ذنوبي، ولوالديَّ ولأهلي وولْدي، ولكلِّ سببٍ ونَسَبٍ في الإسلامِ لي، ولجميعِ المؤمنين والمؤمنات، الأحياءِ منهم والأمواتِ.

اللهُمَّ إنّي أسألُكَ بعظيمِ ما سَألَكَ به أحدٌ مِن خَلْقِكَ مِن كريمِ أسمائِكَ، وجميلِ ثنائِكَ، وخاصَّةِ آلائِكَ، أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تجعلَ عَشِيَّتي هذه أعظمَ عَشِيَّةٍ مرّت عليَّ، منذُ أنزلتَني إلى الدنيا، بركةً في عصمةِ ديني، وخاصَّةِ نفسي، وقضاءِ حاجَتي، وتشفيعي في مسائلي، وإتمامِ النعمةِ عليَّ، وصرْفِ السوءِ عنّي، وإلباسي العافيةِ، وأن تجعلَني ممَّن نظرتَ إليه في هذه العشيّة برحمتك، إنك جوادٌ كريم.

اللهُمَّ صلِّ على محمد وآل محمد، ولا تجعلْ هذه العشيَّةَ آخرَ العهدِ منّي، حتى تبلِّغَنِيّاها من قابلٍ مع حجاجِ بيتِكَ الحرامِ، والزوارِ لقبرِ نبيك عليه وآله السلام، في أعفَى عافيتِك، وأتمِّ نعمتِكَ، وأوسعِ رحمتِكَ، وأجزلِ قِسَمِك، وأسبغِ رزقِك، وأفضلِ الرجاءِ، وأنا لَكَ على أحسنِ الوفاءِ، إنك سميعُ الدعاء.

اللهُمَّ صلِّ على محمد وآل محمد، واسمعْ دعائي، وارحمْ تضرُّعي، وتذلُّلي واستكانَتي، وتوكُّلي عليكَ، فأنا لك سِلْمٌ، لا أرجو نجاحاً ولا معافاةً ولا تشريفاً إلا بكَ ومِنْكَ، فامنُنْ عليَّ بتبليغي هذه العشية مِن قابلٍ، وأنا معافَى من كلِّ مكروهٍ ومحذورٍ، مِن جميعِ البوائقِ، وأعنّي على طاعتِكَ، وطاعةِ أوليائِكَ الذين اصطفيتَهم من خَلْقِكَ لِخَلْقِكَ.

اللهُمَّ صلِّ على محمد وآل محمد، وسلِّمني في ديني، وامدُدْلي في أجَلي، وأصِحَّ لي في جسمي، يامَن رَحِمَني وأعطاني سُؤلي، فاغفرْ لي ذَنْبي، إنَّك على كل شيءٍ قديرٍ.

اللهُمَّ صلِّ على محمد وآل محمد، وتمِّمْ عليَّ نعمتَكَ فيما بقيَ مِن أجَلي، حتى تتوفّاني وأنتَ عني راضٍ.

اللهُمَّ صلِّ على محمد وآل محمد، ولا تُخرجْني مِن ملَّةِ الإسلامِ، فإنّي اعتصمتُ بحَبْلِكَ، ولا تكِلْني إلى غيرِكَ.

اللهُمَّ صلِّ على محمد وآل محمد، وعلِّمني ما ينفعُني، واملأ قلبي عِلْماً، وخوفاً مِن سطوتِكَ ونقمتِكَ.

اللهُمَّ إنّي أسألك مسألةَ المضطرِّ إليكَ، المُشْفِقِ مِن عذابِكَ، الخائفِ مِن عقوبتِكَ، أن تغفرَ لي، وتعيذَني بعفوِكَ، وتتحنَّنَ عليَّ برحمتِكَ، وتجودَ عليَّ بمغفرتِكَ، وتؤدّي عنّي فريضَتَكَ، وتغنيني

بفضلِكَ عن سؤالِ أحدٍ من خلقِكَ، وأن تجيرني من النارِ برحمتِكَ.

اللهُمَّ صلِّ على محمدٍ وآل محمد، وافتح له فتحاً يسيراً، وانصُرْهُ نصراً عزيزاً، واجعلْ له من لدنكَ سلطاناً نصيراً.

اللهُمَّ صلِّ على محمدٍ وآل محمد، وأظهِرْ حُجّتَه بوليِّك، وأحْيِ سنّتَه بظهوره، حتى يستقيمَ بظهورِه جميعُ عبادِك وبلادِك، ولا يستخفي أحدٌ بشيءٍ من الحقِّ مخافةَ أحدٍ من الخَلْق.

اللهُمَّ إنّي أرغبُ إليكَ في دولتِه الشريفةِ الكريمةِ التي تُعِزُّ بها الإسلامَ وأهلَه، وتُذلُّ بها الشركَ وأهلَه.

اللهُمَّ صلِّ على محمد وآل محمد، واجعلنا فيها من الدعاةِ إلى طاعتِكَ، والعابرين في سبيلِكَ، وارزقنا فيها كرامةَ الدنيا والآخرة.

اللهُمَّ ما أنكرْنا من الحقِّ فعرِّفناه، وما قصُرْنا عنه فبلِّغناه.

اللهُمَّ صلِّ على محمدٍ وآل محمد، واستجبْ لنا جميعَ ما دعوناكَ وسألناكَ، واجعلنا ممّن يتذَكَّرَ فتنفعُه الذكرى، وأعطِني اللهُمَّ سُؤلي في الدنيا والآخرة، إنَّكَ على كلِّ شيءٍ قدير.

أدعية الإفاضة من عرفات

يدعو الحاج عند إفاضته من عرفات بعد غروب الشمس بالدعاء التالي:

اللهُمَّ لا تجعلْهُ آخرَ العهدِ من هذا الموقف، وارزقْنيهِ أبداً ما أبقيتَني، واقْلِبْني مفلِحاً، منجحاً، مستجاباً لي، مرحوماً، مغفوراً لي، بأفضلِ ما ينقلِبُ به أحدٌ من وَفْدِكَ عليك، وأعطِني أفضلَ ما أعطيتَ أحداً منهم من الخيرِ والبِرِّ والرحمةِ والرضوانِ والمغفرةِ، وبارِكْ لي فيما أرجعُ إليه من مالٍ أو أهلٍ أو قليلٍ أو كثيرٍ، وبارك لهم فيَّ.

الدعاء في الموقف عند المشعر الحرام

يتوجه الحاج بعد إفاضته من عرفات نحو المشعر الحرام، فإذا صلى العشاء هناك توجه بالدعاء قائلا:

اللهُمَّ هذه جمعٌ[٢٢٧]، فأسألك أن تصلّي على محمدٍ وعلى آل محمد، وأن تجمعَ لي فيها جوامِعَ الخيرِ الذي جمعْتَ لأنبيائِكَ وأهلِ طاعتِكَ من خلقِكَ وقد أمرْتَ عبادَكَ بذكرِكَ عندَ المَشعَرِ الحرامِ، فصلِّ على محمدٍ وآل محمد، ولا تُؤْيِسْني من خيرِك، وعرِّفْني هذا المكانَ ما عرَّفتَ أولياءَكَ، ولا تُخيِّبْني فيما رجوتُكَ، وأعتقني ووالديَّ وجميعَ المؤمنين من النارِ برحمتِكَ.

فإذا أصبح الحاج يوم النحر وهو في المزدلفة، فليصلِّ صلاة الفجر، ويقف كما سبق له أن وقف في عرفة، ويكثر من حمد الله تبارك وتعالى، والثناء عليه، ويصلي على رسوله الأكرم محمد ، ويدعو بهذا الدعاء:

اللهُمَّ ربَّ المشعرِ الحرامِ، فُكَّ رقبَتي من النارِ، وأوسِعْ عليَّ من الرزقِ الحلالِ، وادْرَأ عنّي فَسَقَةِ الجنِّ والإنس.

اللهُمَّ أنت خيرُ مطلوبٍ إليه، وخيرُ مدعوٍّ، وخيرُ مسئولٍ، ولكلِّ وافدٍ جائزةٌ، فاجعلْ جائزَتي في موطِني هذا أن تقيلَني عثرَتي، وتقبَلَ معذرتي، وتجاوَزَ عن خطيئتي، واجعلْ التقوى من الدنيا زادي يا أرحم الراحمين.

ثم يكبر الله تبارك وتعالى مائة تكبيرة، ويحمده مائة تحميدة، ويسبحه مائة تسبيحة، ويهلله مائة تهليلة، ويصلي على النبي محمد ويدعو بهذا الدعاء:

اللهُمَّ اهدِني من الضلالةِ، وأنقذْني من الجهالةِ، واجْمَعْ لي خيرَ الدنيا والآخرة، وخُذْ بناصيتي إلى هُداك، وانقُلْني إلى رضاك، فقد ترَى مقامي بهذا المشعرِ الذي انخفَضَ لكَ فرفعْتَه، وذَلَّ لك فأكرمتَهُ، وجعلْتَه عَلَماً للناسِ، فبلِّغني فيه منايَ، ونيلَ رجائي.

اللهُمَّ إنّي أسألُكَ بحقِّ المشعرِ الحرامِ أن تحرِّمَ شعري وبَشَري على النار، وأن ترزقني حياةً في طاعتِكَ، وبصيرةً في دينِكَ، وعملاً بفرائضِكَ، واتباعاً لأوامرِكَ، وخيرَ الدارَين جامعاً، وأن تحفظَني في نفسي، ووُلدي وأهلي وأخواني وجيراني، برحمتِك يا أرحم الراحمين.

التوجه لرمي الجمار

إذا طلعت الشمس توجه الحاج نحو منى بسكينة ووقار، ذاكرا الله تبارك وتعالى، حامداً ومسبحاً، ومصلياً على النبي محمد ، مكثرا ما قدر من الاستغفار، حتى يصل إلى وادي محسر، فيسعى به وهو يدعو بهذا الدعاء:

اللهُمَّ سلِّم عهدي، واقبَلْ توبَتي، وأجِبْ دعوَتي، واخْلُفْني فيمَنْ تركتُ بعدي.

وبعد أن يجمع الحصيات يأتي الجمرة القصوى ويقف منها على مقدار عشرة أذرع، إلى خمسة عشر ذراعا ويدعو بهذا الدعاء.

اللهُمَّ هذه حَصياتي فأحْصِهِنَّ وارفعْهُنَّ في عملي بسم الله الرحمن الرحيم، اللهُمَّ صلِّ على محمد وآل محمد. الله أكبر، اللهُمَّ تصديقاً بكتابِكَ وعلَى سنَّة نبيِّك.

اللهُمَّ اجعَلْه حجّاً مبروراً، وسَعْياً مشكوراً، وعملاً مقبولاً، وذنباً مغفوراً.

ويقول ذلك مع كل حصاة يرميها، ويقول إن شاء معه:

بسم الله، اللهُمَّ صلِّ على محمد وآل محمد، الله أكبر، اللهُمَّ ادْحَرْ عنّي الشيطانَ وجنودَه.

فإذا أتم رمي الحصيات، فيقول وهو راجع إلى منى:

اللهُمَّ بِكَ وثقتُ، وعليك توكّلْتُ، فنعْمَ الربِّ، ونعْمَ المَوْلَى، ونعْمَ النصير.

أدعية الذبح

إذا اشترى الحاج هديه استقبل به القبلة ودعا بهذا الدعاء:

وجَّهْتُ وَجْهِيَ للذي فَطَرَ السماواتِ والأرضَ حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين، إنَّ صَلاتي ونُسُكي ومَحْيايَ ومماتي لله ربِّ العالمين، وبذلكَ أُمِرْتُ وأنا من المسلمين.

اللهُمَّ منكَ ولكَ وعلى ملَّةِ إبراهيمَ حنيفاً مسلماً، بسم الله والله أكبر، اللهُمَّ تقبَّلْ منّي إنك أنت السميعُ العليم.

أدعية الحلق

إذا أراد الحاج أن يحلق رأسه فليجلس متوجها إلى القبلة، ويكون ابتداء الحلق من الناصية من القرن الأيمن، ويدعو بهذا الدعاء:

اللهُمَّ أعْطِني بكلِّ شَعْرَةٍ نوراً يومَ القيامةِ وحسناتٍ مضاعفاتٍ إنَّك على كلِّ شيء قدير.

أدعية الدخول إلى مكة

عندما يفرغ الحاج من تقصيره أو حلقه فإنه ينبغي عليه أن يتوجه إلى مكة زائرا أو طائفا طواف الزيارة (طواف الحج)، ويدعو بهذا الدعاء:

اللهُمَّ إنّي أريد بتوجهي هذا زيارةَ بيتِكَ الحرامِ، غيرَ راغبٍ عن مشاعرِكَ العظامِ، فأسألُكَ أن تعينَني على نُسُكي، ولا تجعلْه آخرَ العهدِ منّي يا ذا الجلالِ والإكرامِ.

فإذا دخل مكة توجه بهذا الدعاء:

الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على محمد وآله الطاهرين وسلَّم تسليماً.

اللهُمَّ إنّي عبدُكَ، والبلدُ بلدُكَ، والبيتُ بيتُكَ، حيث أطلبُ رحمتَكَ، متَّبعاً لأمرِكَ، راضياً بقدَرِك، فأسألكَ مسألةَ المضطرِّ الخائفِ المشفِقِ من عذابِكَ أنْ تُلْبِسَني عفوَكَ، وتُجيرَني من النارِ برحمتِكَ.

فإذا وصل باب المسجد، وهو باب بني شيبة، دعا بهذا الدعاء:

السلامُ على رسول الله وعلى أهل بيته الطاهرين، السلامُ على أنبياءِ الله ورسلِه وملائكتِه وحجَجِه.

اللهُمَّ صلِّ على محمد وآله أجمعين وسلِّم تسليماً، يا مقيلَ العثراتِ، ويا مكفِّرَ السيئاتِ، أسألُكَ أنْ تقيلَني من عثرَتي وأنْ ترحمَ عبْرَتي وتجاوزَ عن زلَّتي.

اللهُمَّ هذا مقامُ العائذِ بكَ من النارِ، فأعِذْني منها ووالديَّ وولدي وجميعَ أهلي وأخواني، بقدرتِكَ، إنكَ على كلِّ شيءٍ قدير.

الرجوع إلى منى لرمي الجمار الثلاثة

إذا أتمَّ الحاج مناسكه السالفة عليه أن يرجع إلى منى ويبيت ليالي التشريق فيها، فإذا أتى رحله بمنى قرأ الدعاء التالي:

اللهُمَّ بكَ وثِقْتُ، وبكَ آمنتُ، وعليكَ توكَّلْتُ، فنعْمَ الربُّ، ونعْمَ المولَى، ونعْمَ النصير.

ثم إن الحاج يكبِّر الله تعالى بمنى عقيب خمس عشرة صلاة يصليها هناك، أولها صلاة الظهر في يوم النحر، وآخرها صلاة الغداة من اليوم الرابع، فيقول:

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر على ما هدانا، والحمد لله على ما أوْلانا، ورزَقنا من بهيمةِ الأنعامِ.

النفر من منى

يصلي الحاج إذا أراد النفر من منى بمسجد الخيف ست ركعات، أو ركعتين عند المنارة، ثم يدعو بهذا الدعاء:

الحمد لله حقّاً حقّاً، وقولاً وصدقاً، وصلَّى الله على سيدنا محمد رسوله وعلى آله الطاهرين وسلم تسليما.

اللهُمَّ أنتَ الله لا مانعَ لما أعطيت، ولا مُعْطِيَ لما منعْتَ، ولا مُضِلَّ لمَنْ هديْتَ، ولا هاديَ لمَنْ أضْلَلْتَ، ولا مُعِزَّ لمَنْ أذْلَلْتَ، ولا مُذِلَّ لمَنْ أعزَزْتَ، ولا مقدِّمَ لما أخَّرْتَ، ولا مؤخِّرَ لما قدَّمْتَ.

وأسألك يا الله، يا رحمن، يا رحيم، أن تصلِّي على محمد وعلى آله الطاهرين،... وأن تفعل بي كذا وكذا (ويطلب حاجته).

فإذا ترك المسجد وجاوز جمرة العقبة فليحول وجهه إلى منى، ويدعو بهذا الدعاء:

اللهُمَّ لا تجعلْه آخرَ العهدِ من هذا المكان، وارزُقنيه أبداً ما أبقَيتَني، يا أرحمَ الراحمين.

أدعية دخول مكة

عندما يصل الحاج إلى مكة ويريد دخولها فليدعو بهذا الدعاء:

بسم الله وبالله وإلى الله وما شاء الله وعلى ملّةِ رسول الله صلّى الله عليه وآله، وخيرُ الأسماءِ لله، والحمدُ لله، والسلامُ على رسول الله صلّى الله عليه وآله، والسلامُ على محمد بن عبد الله والسلامُ عليك أيها النبيُّ ورحمةُ الله وبركاتُه.

السلامُ على أنبياءِ الله ورسلِه، والسلامُ على إبراهيمَ خليلِ الله، والسلامُ على المرسَلين، والحمد لله ربِّ العالمين.

اللهُمَّ صلِّ على محمد وآل محمد، وبارِكْ على محمد وآل محمد، وارحمْ محمداً وآل محمد، كأفضلِ ما صلَّيْتَ وباركْتَ وترحَّمْتَ على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيد.

الحمد لله الذي جعلني من وَفْدِه ومن زوّاره، اللهُمَّ إنّي عبدُك، وزائرُك في بيتِكَ، وعلى كلِّ مَأتيٍّ حقٌّ لمن أتاه وزارَه، وأنتَ خيرُ مَأتِيٍّ، وأكرمُ مَزورٍ، فأسألك يا رحمنُ بأنك أنت الله، وأنت الرحمن، لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وبأنك أحدٌ صَمَدٌ، لم تلِدْ ولم تولَدْ، ولم يكُنْ لكَ كفواً أحد، أن تصلِّي على محمد وآل محمد، وأنْ تجعلَ تُحفتَكَ إيايَ من زيارتي فكاكَ رقبتي من النار، اللهُمَّ إنك قلت: ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾، فآمنّي من عذابِ النار، ومن الفتنةِ في الدنيا والآخرة، اللهُمَّ إنّي أعوذ بك من سَفَعاتِ النار.

ويصلي الحاج بعد ذلك بين الاسطوانتين على الرخامة الحمراء ركعتين، يقرأ في الأولى الفاتحة وحم السجدة، وفي الثانية الفاتحة وعدد آيات السجدة من القرآن أو غيرها، ثم يصلي في زوايا الكعبة، ويدعو في سجوده بهذا الدعاء:

يا ربِّ يا ربِّ يا ربِّ، ليس يردُّ غضبَك إلا حلمُك، ولا يُجيرُ من عقابِكَ إلا رحمتُك، ولا منجِيَ منك إلا بالتضرُّعِ إليك، فهَبْ لي يا إلهي فرجاً بالقدرةِ التي تُحْيي بها أمواتَ العبادِ، وتنشُرُ مَيْتَ البلادِ، ولا تهلكْني يا إلهي غمّاً حتى تستجيبَ دعائي، وتعرِّفني الإجابةَ يا إلهي، وترزقني العافيةَ إلى منتهى أجَلي، ولا تُشْمِت بي عدوّي، ولا تمكِّنْه من عنقي.

مَن ذا الذي يرفعُني إنْ وضعتَني يا ربِّ، ومَن ذا الذي يضعُني إنْ رفعتَني، وإنْ أهلكْتَني فمَن ذا الذي يتعرَّضُ لكَ في عبدِك، أو يسألُكَ عنه، وقد علمتُ يا إلهي أنه ليس في حكمِكَ ظلمٌ، ولا في نقمتِكَ عجلةٌ، وإنما يعجَلُ من يخافُ الفوتَ، وإنما يحتاجُ إلى الظلمِ الضعيفُ، وقد تعاليتَ يا إلهي عن ذلك، فلا تجعلْني للبلاءِ عرضاً، ولا لنقمتِكَ نصباً، ومهِّلْني، ونفِّسني، وأقِلْني عثرَتي، ولا تردَّ كيدي في نحري، ولا تُشْمِت بي عدوّي ولا حاسدي.

بك أعوذُ يا سيدي فأعِذْني، وأستجيرُ بك من غضبِكَ فأجِرْني، وأستعينُ بك على الضرِّ فأغنِّي، وأستعصمُكَ فاعصِمْني، وأتوكَّلُ عليكَ فاكْفِني.

فإذا فرغ من ذلك رفع يديه بالدعاء وقال:

اللهُمَّ من تهيَّأ أو تعبَّأ أو أعَدَّ واستعدَّ لوفادةٍ إلى مخلوق رجاء رِفدِه وجوائِزه، ونوافلِهِ وفواضِلِهِ، فإليك يا سيدي تهيئتي وإعدادي واستعدادي رجاء رفدِكَ ونوافِلِكَ، وفواضِلِكَ وجوائزِكَ، فلا تخيِّب اليوم رجائي، يا من لا يخيبُ عليه سائلٌ، ولا ينقصُهُ نائلٌ، فإنّي لم آتِكَ اليومَ بعملٍ صالحٍ قدَّمتُه، ولا شفاعةِ مخلوقٍ رجوتُه، ولكنّي أتيتُكَ مقرّاً بالظلمِ والإساءةِ على نفسي، ولا حُجَّةَ لي ولا عذرَ، فأسألك يا من هو كذلك أن تعطيني مسألتي، وتُقيلَني عثرتي، وتقبلَ رغبَتي، ولا تردَّني ممنوعاً ولا خائباً، يا عظيمُ يا عظيم، أرجوكَ للعظيمِ، أسألك يا عظيمُ أن تغفرَ لي الذنبَ العظيم، لا إله إلا أنت يا رب العالمين.

وداع الكعبة

إذا أراد الحاج وداع الكعبة فليؤدي الأفعال والمناسك التي ذكرناها سابقا، وليدعو عند البيت بهذا الدعاء:

اللهُمَّ اقبَلْني اليومَ مفلحاً منجِحاً، مستَجاباً لي بأفضلِ ما رجعَ به أحدٌ من خلقِكَ وحجّاجِ بيتِكَ الحرامِ، من المغفرةِ والرحمةِ، والبركةِ والرضوانِ والعافيةِ، وفضلٍ من عندكَ تزيدُني عليه.

اللهُمَّ إنْ أمَتَّني فاغفرْ لي، وإن أحييتَني فارزُقني الحجَّ من قابلٍ، اللهُمَّ لا تجعلْه آخرَ العهدِ من بيتِكَ الحرام.

ثم يدعو بهذا الدعاء:

يا ربِّ هذا وداعُ من يخافُ أن لا يؤوبَ إلى بيتك، ربِّ فحرِّمني وأهلي على جهنم.

اللهُمَّ إنك استفزَزْتَ إلى أداءِ ما افترضْتَ فخرجْتُ بغيرِ منَّةٍ عليك وأنت أخرجْتَني، اللهُمَّ فإن كنتَ قد غفرتَ لي ذنوبي، وأصلحتَ لي عيوبي، وطهَّرْتَ قلبي، وكتبتَ لي البراءةَ من أمرِ دنياي وآخرتي، فلنْ ينقلبَ المنقلبون إلا بفضلٍ فيما جنيتُ على نفسي، فاغفر لي وارحمني قبل أن تنأى عن بيتك داري يا أرحم الراحمين.

فإذا مضى إلى بئر زمزم وشرب من مائه أو صبَّ على رأسه - إن قدر على ذلك - دعا بهذا الدعاء:

اللهُمَّ صلِّ على محمد وآل محمد، عبدك ورسولك، ونبيك وأمينك، وحبيبك ونجيِّك، وخِيَرَتك من خلقك، كما بلَّغ رسالاتك، وجاهدَ في سبيلِك، وصَدَعَ بأمرِكَ، وأوذي في جنبِكَ، وعبَدَكَ حتى

أتاه اليقين.

اللهُمَّ إنّي عبْدُك وابن أمَتِك، حمَّلْتَني على دابَّتِك، وسيَّرتني في بلادك، حتى أقدَمْتني حرمَكَ وأمنَك، وقد كان في حُسنِ ظني بك أن تغفرَ لي ذنوبي، فازدَدْ عليَّ رضاً، وقرِّبني إليك زُلْفى، ولا تباعدْني من رضاك، فإن كنتَ لم تغفرْ لي فمِن الآن فاغفر لي قبل تنائي عن بيتك داري، فهذا أوانُ انصرافي، إنْ كنتَ أذِنْتَ لي، غيرَ راغبٍ عنك، ولا عن بيتك، ولا مستبدلاً بك ولا به.

اللهُمَّ احفظني من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، حتى تبلِّغني أهلي، فاكفني مؤونة عبادك وعيالي، فإنك وليُّ ذلك من خلقك، وآمنّي برحمتك.

ثم يصلي بعد ذلك ركعتين عند المقام لطواف الوداع، وبعد أن يفرغ من الصلاة يدعو بهذا الدعاء:

اللهُمَّ إنّي خرجت من بيتي إلى بيتك الحرام قاصداً إليك، أريدُكَ لا أريدُ غيرَك، وأنت الذي رزقني ذلك، ومننْتَ عليَّ به.

اللهُمَّ إنّي أردتُ اتِّباعَ كتابِك، وسنَّة نبيك صلَّى الله عليه وآله، وأداءَ فرضِك، وقضاءَ حقِّك، وأنا عبدُكَ وضيفُك، وفي حرمِكَ نازلٌ بك، وعلى كل مأتِيٍّ حقٌّ لمن أتاه وزاره، وأنت أفضلُ مَأتِيٍّ، وأكرمُ مَزورٍ، وخيرُ من طُلِبَت إليه الحاجات، وأكرم من سُئِلَ، وأرحمُ من استُرحِمَ، وأجوَدُ من أعطى، وأرأفُ من عفا، وأسمعُ من دُعيَ، وأكرمُ من اعتُمِدَ عليه.

اللهُمَّ وبي فاقةٌ إليك، وعندي لك طلباتٌ أنا مرتهَنٌ بها، قد أثقلَتْ ظهري، وأفقرَتْني إلى رحمتك، اعتمدتُك فيها تائباً إليك منها، فاغفرها لي، وذنوبي كلها، قديمُها وحديثُها، وسرُّها وعلانيتُها، خطاها وعمدُها، وصغيرُها وكبيرُها، قليلُها وكثيرُها، وكلُّ ذنبٍ أذنبتُهُ، مغفرةً عزماً يا عظيم، فإنه لا يغفر الذنب العظيم إلا أنت يا عظيم.

فإذا انتهى من ذلك، وتوجه خارجا من المسجد فليقل:

آئبون تائبون عابدون، لربِّنا حامدون، وله شاكرون، وإلى ربِّنا راغبون، وإلى ربِّنا راجعون.

الزيارات

فضل زيارة رسول الله في المدينة المنورة

بعد أن ينهي الحاج مناسك الحج فإنه يستحب له - استحبابا مؤكدا - التوجه إلى المدينة المنورة - هذا إذا لم يكن أول وصوله إليها قبل الحج - لزيارة قبر الرسول الأكرم محمد بن عبدالله ، للسلام عليه، والتبرُّك بقبره المقدس.

نعم، يستحب للحاج الابتداء بمكة ثم الاختتام بالمدينة المنورة لقول الإمام الباقر$: «ابدأوا بمكة، واختموا بنا»[٢٢٨].

وقوله$ وقد سئل عن ذلك فقال: «ابدأ بمكة، واختم بالمدينة فإنه أفضل»[٢٢٩].

ومن هنا فإن الحاج ينبغي له أن لا يفوِّت فرصة الوقوف بين يدي رسول الرحمة ومنقذ البشرية النبي المصطفى، مسلِّما عليه، ومتشرفا بتأكيد الولاء والطاعة له.

إن إهمال زيارة الرسول الأكرم فيه جفاء له، وإعراضا عن فضله وجميل إحسانه، وهدايته للبشرية، وإنقاذها من تيه الضلالة والانحراف، حين جعل الله تبارك وتعالى ثواب زيارته ثوابا كبيرا.

قال رسول الله : «من أتى مكة حاجّاً ولم يزرْني إلى المدينة جفوته يوم القيامة»[٢٣٠].

وقال : «من أتاني زائرا كنت شفيعه يوم القيامة»[٢٣١].

وسأل ابن أبي نجران أبي جعفر الباقر$: جعلت فداك، ما لمن زار رسول الله متعمداً؟! فقال$: «الجنة»[٢٣٢].

وروي عنه أنه قال: «من زار قبري بعد موتي كان كمَنْ هاجر إليَّ في حياتي»[٢٣٣].

وقال : «من زارني بعد موتي كان في جواري يوم القيامة»[٢٣٤].

فضل زيارة أئمة البقيع#

كما يستحب للحاج أن يتشرَّف بزيارة أئمة البقيع: الحسن بن علي المجتبى، وعلي بن الحسين زين العابدين، ومحمد بن علي الباقر، وجعفر بن محمد الصادق عليهم أفضل الصلاة والسلام، والسلام عليهم والدعاء عند قبورهم، فإن - كما يقول ذلك الإمام الرضا$ - «لكلِّ إمامٍ عهدٌ في عنق أوليائه وشيعته، وإنَّ من تمامِ الوفاء بالعهد وحُسْنِ الأداء زيارةَ قبورهم، فمن زارهم رغبةً في زيارتهم وتصديقاً بما رغِبوا فيه، كان أئمتهم شفعاءَه يوم القيامة»[٢٣٥].

نعم، إن في زيارتهم# من الفضل الكبير والأجر الجزيل والذي ينبغي أن لا يفوت الحاج ويُحرَم منه.

فقد سئل الإمام جعفر الصادق$: ما لمن زار أحدا منكم؟! فقال$: «كمن زار رسول الله »[٢٣٦].

وروي عن رسول الله قوله: «من زارني أو زار أحدا من ذريتي زرته يوم القيامة فأنقذته من أهوالها»[٢٣٧].

وقال الصادق$: «من زارنا في مماتنا فكأنما زارنا في حياتنا»[٢٣٨].

وروي عنه$ أنه قال: «من زارني غفرت له ذنوبه، ولم يمت فقيرا»[٢٣٩]

وروي عن الإمام الحسن العسكري$ قوله: «من زار جعفرا وأباه لم تشتكِ عينه، ولم يصبه سقم، ولم يمت مبتلى»[٢٤٠].

فضل زيارة المساجد المطهرة وقبور الشهداء

كما يستحب للحاج أيضا أن يأتي لزيارة المشاهد المتبركة كمسجد قباء، ومشربة أم إبراهيم، ومسجد القبلتين، وقبور الشهداء وغيرها.

فقد روى معاوية بن عمار عن الإمام جعفر الصادق$ قوله: «لا تدَعْ إتيانَ المشاهد كلها: مسجد قباء، فإنه المسجد الذي أُسِّس على التقوى من أول يوم، ومشرَبة أم إبراهيم، ومسجد الفضيخ، وقبور الشهداء، ومسجد الأحزاب وهو مسجد الفتح»[٢٤١].

وروي عنه$ أنه قال: «ومِن المشاهد في المدينة التي ينبغي أن يؤتَى إليها وتُشاهَد ويصَلَّى فيها ويعاهَد: مسجد قباء وهو المسجد الذي أُسِّس على التقوى ومسجد الفتح ومسجد الفضيخ ومشربة أم إبراهيم وقبر حمزة وقبور الشهداء»[٢٤٢].

وسأل عبد الرحمن بن الحجاج الإمام موسى بن جعفر الكاظم$ عن الصلاة في مسجد غدير خم،

فقال$: «صلِّ فيه، فإن فيه فضلا، وقد كان أبي يأمر بذلك»[٢٤٣].

وقال الإمام الصادق$: «يُستحب الصلاة في مسجد الغدير لأن النبي أقام فيه أمير المؤمنين$، وهو موضع أظهر الله عز وجلّ فيه الحق»[٢٤٤].

زيارة الرسول

إذا وصل الحاج إلى قبر رسول الله في المدينة المنورة، فليقف عند الأسطوانة المقدمة من جانب القبر الأيمن مستقبل القبلة ومنكبه الأيسر إلى جانب القبر ومنكبه الأيمن مما يلي المنبر فإنه موضع رأس رسول الله ، وليقول:

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه صلّى الله عليه وآله، وأشهد أنكَ رسولُ الله، وأنك محمد بن عبدالله، وأشهد أنك قد بلَّغْتَ رسالاتِ ربِّك، ونصحتَ لأمّتِك، وجاهدْتَ في سبيلِ الله حقّ جهادِه، داعياً إلى طاعة الله، زاجراً عن معصيتِه، وأنَّك لم تَزَلْ بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، وعلى الكافرين غليظاً، حتى أتاكَ اليقين، فبلَغَ بكَ الله أشرفَ محلِّ المكرَّمين.

الحمد لله الذي استنقذنا بك من الشِرْكِ والضلالة، اللهُمَّ فاجعلْ صلواتك وصلوات ملائكتك المقرَّبين، وعبادِك الصالحين، وأنبيائِكَ المرسَلين، وأهلِ السماواتِ والأرضين، ممَّن سَبَّحَ لك يا ربَّ العالمين، من الأوّلين والآخرين، على محمدٍ عبدِك، ورسولِك، ونبيِّك، وأمينِك، ونجيبِك، وحبيبِك، وصفيِّك، وخاصَّتِك، وصَفْوَتِكَ، وخِيَرَتِك من خلقِك.

اللهُمَّ ابعثْهُ مقاماً محموداً يغْبِطُه به الأولون والآخرون.

اللهُمَّ امنحْهُ أشرَفَ محلٍّ ومرتبَةٍ، وارفعْهُ إلى أسْنَى درجةٍ ومنزلةٍ، وأعْطِهِ الوسيلةَ والفضيلةَ، والرتبةَ العاليةَ الجليلة، كما بلَّغَ ناصحاً، وجاهدَ في سبيلك، وصَبَرَ على الأذى في جنْبِكَ، وأوضَحَ دينَك، وأقامَ حُجَجَك، وهدى إلى طاعتِكَ، وأرشَدَ إلى مرضاتِك.

اللهُمَّ صلِّ عليه وعلى الأئمةِ الأبرارِ من ذريَّتِه، والصفوةِ الأخيارِ من عتْرَتِهِ، وسلِّم عليهم أجمعين تسليماً.

اللهُمَّ لا أجد سبيلاً إليكَ سِواهُم، ولا أرى شفيعاً مقبولَ الشفاعةِ عندَكَ غيرَهم، فبِهِم أتقرَّبُ إلى رحمتِكَ، وبولايتِهِم أرجو جنَّتَك، وبالبراءةِ من أعدائِهم آملُ الخلاصَ من عذابِك.

اللهُمَّ فاجعلني بهم عندكَ وجيهاً في الدنيا والآخرة، وارحَمْني يا أرحمَ الراحمين.

ثم يستقبل قبر النبي بوجهه ويقول:

السلامُ عليك يا نبيَّ الله ورسولَه، السلامُ عليكَ يا صفوةَ الله وخِيَرَتَه من خلقِه، السلامُ عليك

يا أمينَ اللّٰه وحجّتَه، السلامُ عليكَ يا خاتمَ النبيّين وسيّدَ المرسَلين، السلامُ عليكَ أيها البشيرُ النذير، السلامُ عليكَ أيها الداعي إلى اللّٰه بإذنه والسراجُ المنير، السلامُ عليكَ وعلى أهل بيتِكَ الذين أذْهَبَ اللّٰه عنهم الرجْسَ وطهَّرَهم تطهيراً.

أشهد أنَّكَ - يا رسولَ اللّٰه - أتيتَ بالحقّ، وقلتَ الصِدْقَ، والحمد للّٰه الذي وفّقَني للإيمانِ بكَ، والتصْديقِ بنبوّتِكَ، ومَنَّ عليّ بطاعتِكَ، واتّباعِ سبيلِكَ، وجعلني اللّٰه مِن أمّتِك، والمجيبين لدعوتِكَ، وهدانا إلى معرفتِكَ، ومعرفةِ الأئمةِ من ذريّتِكَ، أتقرّبُ إلى اللّٰه بما يرضيكَ، وأبرأُ إلى اللّٰه مما يُسْخِطُكَ، مُوالياً لأوليائِكَ، معادياً لأعدائِكَ.

جئتك يا رسولَ اللّٰه زائراً، وقصدتُكَ راغباً، متوسلاً إلى اللّٰه سبحانه، وأنتَ صاحبُ الوسيلةِ، والمنزلةِ الجليلةِ، والشفاعةِ المقبولةِ، والدعوةِ المسموعةِ، فاشفَعْ لي إلى اللّٰه تعالى في الغفرانِ والرحمة، والتوفيقِ والعِصْمة، فقد غمَرَتْ الذنوبُ، وشَمِلَتْ العيوب، وأُثْقِلَ الظهرُ، وتضاعف الوِزْرُ، وقد أخبرتَنا - وخبُركَ الصِدْق - أنه تعالى قال - وقوله الحق: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا .وقد جئتُكَ يا رسولَ اللّٰه مستغفراً من ذنوبي، تائباً من معاصيي وسيئاتي، وإنّني أتوجّهُ بكَ إلى اللّٰه ربّي وربّك ليغفرَ لي ذنوبي، فاشفَعْ لي يا شفيعَ الأمّةِ، وأجِرْني يا نبيَّ الرحمة، صلَّى اللّٰه عليكَ وعلى آلِكَ الطاهرين.

ثم يستقبل بعد ذلك القبلة ويجعل القبر من خلفه ويدعو:

اللهُمَّ إليك ألجأتُ أمْري، وإلى قبرِ نبيِّكَ ورسولِك أسندْتُ ظهري، وإلى القبلةِ التي ارتضَيتها استقبلْتُ بوجهي.

اللهُمَّ إنّي لا أملكُ لنفسي خيرَما أرجو، ولا أدفعُ عنها سوءَ ما أحذَرُ، والأمورُ كلُّها بيدِكَ، فأسألُك بحقّ محمدٍ وعترته، وقبره الطيّبِ المباركِ وحُرْمتِه، أنْ تصلّي على محمدٍ وعترته، وأنْ تغفِرَ لي ما سَلَفَ من جُرْمي، وتعصِمَني مِن المعاصي في مستقبلِ عمري، وتثبّتَ على الإيمانِ قلبي، وتوسّعَ عليَّ رزقي، وتُسبغَ عليّ النعمَ، وتجعلَ قسْمي من العافيةِ أوفرَ القِسَم، وتحفظني في أهلي ومالي وولدي، وتَكْلأني من الأعداء، وتُحْسِنَ لي العافيةَ في الدنيا ومُنْقَلَبي في الآخرة.

اللهُمَّ اغفِرْ لي ولوالديّ ولجميعِ المؤمنين والمؤمنات، الأحياءِ منهم والأمواتِ، إنّكَ على كلِّ شيءٍ قدير.

زيارة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء¢

وبعد أن يتجه الحاج من زيارة الرسول الأكرم يتحول لزيارة مولاتنا فاطمة الزهراء¢، فإذا

بلغ الروضة - وهي ما بين القبر والمنبر - فليقل:

السلامُ على البتولِ الشهيدةِ ابنةِ نبيِّ الرحمة وزوجِ الوليِّ الحُجَّةِ وأمِّ السادةِ الأئمَّةِ.

السلامُ عليكِ يا فاطمةَ الزهراء، بنتَ النبيِّ المصطفى، السلامُ عليكِ وعلى أبيكِ وبعلِكِ وبنيكِ، السلامُ عليكِ أيتها الممتَحَنةُ، السلامُ عليكِ أيتها المظلومةُ الصابرةُ، لَعَنَ اللهُ مَن منعَكِ حقَّكِ، ودفعَكِ عن إرثِكِ، ولَعَنَ اللهُ من كذَّبَكِ، وأغمَّكِ، وغصَّكِ بريقِكِ، وأدخَلَ الذلَّ ببيتِكِ، ولَعَنَ اللهُ من رضِيَ بذلك، وشايَعَ فيه، واختارَهُ، وأعانَ عليه، وألحَقَهم بدَرَكِ الجحيم.

إنّي أتقرَّبُ إلى الله سبحانه بولايتِكم أهلَ البيتِ، وبالبراءةِ من أعدائِكُم، من الجنِّ والإنسِ، وصلَّى الله على محمد وآله الطاهرين.

زيارة أئمة البقيع#

وليتوجه الحاج بعد ذلك إلى البقيع لزيارة الأئمة المعصومين المدفونين هناك، وهم الإمام السبط الزكي الحسن بن علي، وزين العابدين علي بن الحسين، والباقر محمد بن علي، والصادق جعفر بن محمد، عليهم صلوات الله أجمعين، وليزرهم بزيارة واحدة بعد أن يجعل قبورهم بين يديه وليقول:

السلامُ عليكم أئمةَ الهدى، السلامُ عليكم أيها الحُجّجُ على أهلِ الدنيا، السلامُ عليكم أيها القوّامونَ في البريَّةِ بالقِسْطِ، السلامُ عليكم أهلَ الصَفْوَةِ، السلامُ عليكم أهلَ النجوى.

أشهد أنكم قد بلَّغتم الرسالةَ، ونصحتُم وصَبَرْتُم في ذاتِ الله عزَّوجلَّ، وكُذِّبتُم، وأُسيءَ إليكم فغَفَرْتم.

وأشهد أنكم الأئمةُ الراشدون المهديّون، وأن طاعتَكم مفروضةٌ، وأن قولَكم الصدق، وأنكم دعوتم فلم تُجابوا، وأمَرْتُم فلم تُطاعوا، وأنكم دعائمُ الحقِّ، وأركانُ الأرضِ، لم تزالوا بعينِ الله، ينسَخُكم من أصلابِ كلِّ مطَهَّر، وينقلُكم من أرحامِ المُطَهَّرات، لم تدنِّسْكم الجاهليةُ الجهلاء، ولم تَشْرِ فيكم فِتنُ الأهواءِ، طِبْتُم وطَهُرتُم، فمنَّ الله بكم علينا، ديّانُ يوم الدين، فجعلكم في بيوتٍ أذِنَ الله أن تُرفعَ ويُذكَرَ فيه اسمُه، وجعلَ صلاتَنا عليكم رحمةً لنا، وكفّارةً لذنوبنا، فاختارَكم لنا، فطيَّبَ خَلْقَنا بما مَنَّ به علينا من ولايتِكم، وكنا عنده مُسَمّين بعلمِكم، معترفين بتصديقِنا إيّاكم، وهذا مقامُ مَن أسْرَفَ وأخطأَ واستكانَ وأقرَّ بما جَنَى، يرجو بمقامِه الخلاصَ، وأنْ يستنقذَه بكم، مستنقذُ الهَلْكَى من الرَدَى، فكونوا له شفعاءَ، فقد وَفَدْتُ إليكم إذْ رَغِبَ عنكم أهلُ الدنيا،، واتَّخذوا آياتِ الله هُزُواً، واستكبَروا عنها.

يا مَن هو قائمٌ لا يسهو، ودائمٌ لا يلْهو، ومحيطٌ بكلِّ شيءٍ، لك المنُّ بما وفَّقتني، وعرَّفتني بما ائْتَمَنْتَني

عليه، إذ صدَّ عنه عبادُك، وجهلوا معرفتَهم، واستخفّوا بحقِّهم، ومالوا إلى سواهُم، فكانتُ المنَّةُ لك عليَّ، ومِنْك إليَّ، فلك الحمدُ إذ كنتُ عندكَ في مقامي هذا مذكوراً مكتوباً، فلا تَحْرِمْني ما رجوتُ، ولا تخيِّبْني فيما دعوتُ، بحرمةِ محمَّدٍ وآله الطاهرين، وصلَّى الله على محمد وآل محمد.

زيارة قبر حمزة عم الرسول

ثم ليتوجه الحاج إلى قبر حمزة عمّ النبي الأكرم ، فإذا دنى منه فليقل:

السلامُ عليكَ يا عمَّ رسولِ الله صلَّى الله عليه وآله، السلامُ عليكَ يا خيرَ الشهداءِ، السلامُ عليكَ يا أسدَ الله وأسدَ رسولِه، أشهدُ أنكَ قد جاهدْتَ في الله عزَّوجلَّ، وجُدْتَ بنفسِكَ، ونصحْتَ لرسولِ الله ، وكنتَ فيما عندَ الله سبحانه راغباً.

بأبي أنت وأمي أتيتُك متقرِّباً إلى الله عزوجل بزيارتِكَ، ومتقرِّباً إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله بذلك، راغباً إليكَ في الشفاعةِ، وأبتَغي بزيارتِكَ خلاصَ نفسي، متعوِّذاً بكَ من نارٍ اسْتَحْقَقْتُها بما جَنَيتُ على نفسي، هارباً من ذنوبي التي احتطبتُها على ظهري، فزِعاً إليكَ رجاءَ رحمةِ ربّي.

أتيتُك أسْتَشْفِعُ بكَ إلى مولاي، وأتقرَّبُ بكَ إلى إلهي ليقضيَ بك حوائجي، أتيتُكَ من شُقَّةٍ بعيدةٍ، طالباً فَكاكَ رقبَتي من النار، وقد أوقرَتْ ظَهري ذنوبي، وأتيتُ ما أسْخَطَ ربّي، ولم أجدْ أحداً أفْزَعُ إليه خيراً لي منكم أهلَ البيتِ والرحمةِ، فكن لي شفيعاً يومَ فَقْري وحاجَتي، فقد سِرْتُ إليكَ محزوناً، وأتيتُكَ مكروباً، وزرتُكَ مغموماً، وسكبْتُ عَبْرَتي عندكَ باكياً، وخرجْتُ إليكَ مُفرَداً، وأنتَ مِمَّن أمَرَني الله بِصِلَتِهِ، وحثَّني على بِرِّهِ، ودلَّني على فضْلِهِ، وهداني بحبِّهِ، ورغَّبَني في الوفادةِ إليه، وألهَمَني طلبَ الحوائجِ عنده، أنتم أهلَ بيتٍ لا يشْقَى من تولاّكم، ولا يَخيب من أتاكم، ولا يخْسَرُ مَن يهواكم، ولا يسْعَدُ من عاداكم.

ثم يصلي ركعتين، وبعد الفراغ من الصلاة يدعو بهذا الدعاء:

اللهُمَّ صلِّ على محمد وآل محمد، اللهُمَّ إنّي تعرَّضْتُ لرحمتِكَ بلزوقي لِقَبْرِ عمِّ نبيِّك صلَّى الله عليه وآله، لتُجيرَني من نقمتِكَ وسخَطِكَ، وتُقيلَني يومَ تكثُرُ فيه الأصواتُ، وتشغَلُ فيه كلُّ نفسٍ بما قدَّمَت، وتُجادِلُ عن نفسِها، فإنْ ترحمْني اليومَ فلا خوفٌ عليَّ ولا حُزْنٌ، وإنْ تعاقبْ فمولىً له القدرةُ على عبدِه.

اللهُمَّ فلا تخيِّبْني بعدَ اليوم، ولا تصرِفْني بغيرِ حاجَتي، فقد لَصِقْتُ بقبرِ عمِّ نبيِّكَ، وتقرَّبْتُ به إليكَ ابتغاءَ مرضاتِكَ، ورجاءَ رحمتِكَ، فتقبَّلْ منّي، وعُدْ بحلمِكَ على جَهْلي، وبرأفتِكَ على جِنايةِ نفسي، فقد عظُم جُرْمي، وما أخافُ أنْ تَظْلِمَني، ولكن أخافُ سوءَ الحسابِ، فانظُرْ اليومَ تَقَلُّبي على

قبْرِ عمٍّ نبيِّكَ عليهما السلام. فبهما فُكَّني من النار، ولا تخيِّبْ سَعْيي، ولا يهونَنَّ عليك ابْتِهالي، ولا يَحْجُبَنَّ عنك صوتي، ولا تَقْلِبْني بغيرِ حوائجي، يا غياثَ كلِّ مكروبٍ ومحزونٍ، يا مفرِّجاً عن الملهوفِ الحَيرانِ الغريقِ المشرِفِ على الهَلَكَةِ. فصلِّ على محمدٍ وآلِ محمد. وانظُرْ إليَّ نظرةً لا أشْقَى بعدها أبداً، وارحَمْ تضرُّعي وعَبْرَتي وانفرادي، فقد رجوتُ رِضاكَ، وتحرَّيتُ الخيرَ الذي لا يعطيه أحدٌ سِواك، فلا تردَّ أمَلي، اللهُمَّ إنْ تُعاقِبْ فمولىً له القدرةُ على عبدِه، وجزائِهِ بسوءِ فعلِه. فلا أخيبَنَّ اليوم، ولا تصْرِفْني بغيرِ حاجَتي، ولا تُخَيِّبَنَّ شخوصي ووِفادَتي، فقد أنْفَدْتُ نفقَتي، وأتعَبْتُ بَدَني، وقطعْتُ المفازاتِ، وخلَّفْتُ الأهلَ والمالَ وما خوَّلتني، وآثرْتُ ما عندَكَ على نفسي، ولُذْتُ بقبرِ عمِّ نبيِّك صلَّى الله عليه وآله، وتقرَّبتُ به إليكَ ابتغاءَ مرضاتِكَ. فعُدْ بحلمِكَ على جَهْلي، وبرأفتِكَ على ذَنْبي، فقدْ عظُمَ جُرْمي، برحمتِكَ يا كريمُ يا كريمُ.

زيارة قبور الشهداء بأُحُد

ثم يتوجه بعد ذلك نحو قبور شهداء أحد ويقول:

السلامُ عليكم يا أنصارَ الله وأنصارَ رسولِهِ عليه وعلى آله السلام. سلامٌ عليكم بما صَبَرْتُم فنِعْمَ عُقْبَى الدار.

السلامُ عليكم يا أهلَ الدار، أنتم لنا فَرَطٌ، وإنَّا بكم إن شاءَ الله تعالى لاحقون.

اللهُمَّ أنْفِعْني بزيارتهم، وصلَّى الله على محمدٍ وعلى آل محمدٍ، والسلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه.

قلوب تسافر إلى الله

مَرْحَباً بِكَ فِي دِيارِ المُصْطَفَى

أخي الحاج:

أتعلم أي ديار حلَلْتَ، وأي أرض وطِئـَت قدماك هذا اليوم؟!

لقد حلَلْتَ اليوم ديارا منورة بأنوار سماء القدس

ومدينة طيبة عبقت بنسيم نفحات الأنس

وروضةَ نعيمٍ مشرقة بلمعات أنوار من بلغ بكماله العلا وكشف بجماله الدجى سيد المرسلين وخاتم النبيين وأشرف ما خلق رب العالمين من الأولين والآخرين.

لقد وطِئَت قدماك موطنا مباركا ساميا لطالما وضع فيه سيد الكونين قدميه الشريفتين

وبقعة ملكوتية مطهرة تبركت باحتضان بدن سيد الثقلين

ومطارح شعاعات نور طه وياسين وحَرَماً مشرَّفا يؤمه الخلائق في كل حين

فتباهت بذلك وتميزت على سائر البقاع والبلدان وكانت روضة من رياض الجنان.

أخي الحاج:

لعلك تأسف على ما محاه الدهر من آثار رسول الله وأهل بيته الميامين

أو لعلك يضيق صدرك لما غيَّرته يد البشرية في مدينة رسول الله

ولكن جُلْ بطَرْفِك وانظر إلى ما حولك ترى جبالا شامخة عوالي مرفوعة الرأس لامعة الجبين زاهية متباهية لما تمتَّعت به من ناظِر رسول الله فاستضاءت بتشعشعات أنوار جماله وانتعشت بعبقات نسيم أنفاسه

فانظر إليها بعين قلبك تراها تحكي لك ما فقدته هذه الديار من آثار وما كتمته عن الأغيار من

خفيات الأسرار.

أخي الحاج:

سِرْ رويدا ولا تعجل بخطاك فإنك أقرب ما تكون إلى الحبيب المجتبى والشفيع المرتجى الذي قرنت زيارته(ص) بزيارة الله تبارك وتعالى[٢٤٥]!!

يا حبَّذا المسجدَ مِن مسجِدِ
وحَبَّذا الروضَةَ مِن مُشْهَدِ
وحبَّذا طِيبَةَ مِن بَلْدَةٍ
فيها ضَريحُ المُصْطَفَى أحْمَدِ

يا مَولاتي!! أيْنَ قَبْرُكِ فأُوَلِّي وجْهِي شَطْرَه!!

يا سر الوجود وحبيبة المعبود وروح الأحمد المحمود.

يا من جعل المولى نور السماوات والأرض من قَبَس نورها

وقال النبي المختار فيها: فداها أبوها!!

يا خيرة النساء وسيدة الإماء!!

هلاَّ دَلَلْتِني على بقعة أرض سكبت عليها دمعة من عينك أمسح بها على قلبي فيحيى أبدا!!

أو دللتِني على جُدُر سمعت بكاءك ونحيبك فتعينها مسامع قلبي فتكون لها صدى!!

أو دللتِني على تربة سارت عليها قدماك فأكحل بها عيني فتقر بلقياك غدا!!

فواأسفاه على من خرجت من دنياها مغصوبة مظلومة

وواحزناه على من دُفِنت ليلا وغُيِّب قبرها عن أعدائها وبَعُد مزارها عن محبيها!!

لَهْفِي لها وجُفونُها قَرْحَى وقدْ
حَمَلَتْ مِنَ الأحْزانِ عِبْئاً مُثْقَلاً

«السلام على السيدة الجليلة الجميلة ذات الأحزان الطويلة في المدة القليلة المخفية قبرا والمجهولة قدرا فاطمة الزهراء(ع)»!!

فاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إنَّكَ بِوادِي البَقيع

وقفت أبداننا مقيدة خلف مغالق البقيع وسورها

فراحت أفئدتنا تتخطى عتبتها وحدودها

وانطلقت ترفرف باشتياق مع الأطيار

لتحطَّ عند قبور ساداتها ومواليها في بقعة أمن وأمان أشرقت بنور ربها.

يا ليت شعري!!

ما الذي أنارها وأسرج سراجها وقطع ليلَها بضيائها وألبسها حلية جمالها وبهائها سوى أبدان مطهرة وبدور مغيَّبة سكنت تحت ترابها!!

فيا بقيع!!

طوبى لك من تربة تضمنت كنوز الرحمة وخزانة العلم

ودوحة غرست فيها أصول الكرم ومعدن الحلم

وصدفة احتضنت دررا ولآلئ منتقاة

وروضة عدن ذات أثمار طيبة من شجرة مجتباة.

يا زائر البقيع!!

قف على قبور الأطائب

وادْعُ المولى أن يرسل رياحا برحمته لتهُبَّ عليك نسمات الإمامة وتستنشق روحُك من عطرها الفوّاح

ولتصْفِقَ أبواب المحبة والمودة فتطرق سمع قلبك نغمات الولاية ببسط وانشراحِ

ولتكشف الأستار عن ناظرك فترى وجوها يعلوها من نور ربها الوضّاحِ

ولتنشئ سحاب مُزْن يروي قلبك الظمآن من ماء قراحِ

فلا تبرحْ جنة هم فيها دُفنوا عسى أن تدرك معنى النور والمشكاة والكوكب الدري والمصباحِ!!

كَفَى شَرَفاً أنّي مُضافٌ إليكم
وأنّي بِكُمْ أُدْعَى وأرْعَى وأُعْرَفُ

إذا بِمُلوكِ الأرْضِ قوماً قد تَشَرَّفوا
فلي شَرَفٌ منكُمْ أجَلُّ وأشْرَفُ

في رحابِ الحَرَم

أيها الحاج المُحْرِم!!

لقد خرجت من الميقات مُحْرِما

ظاهرا وباطنا

فأما ظاهرا فقد أحرمت عن أمور معدودة حملت عنوان «تروك الإحرام»

وأما باطنا فتروكه متفاوتة غير محدودة

تعددت بتعدد سبل الهوى ومحبوبات النفس وأرباب متفرِّقين

تزينت لك كلها بزينة زائفة، فبدت لك أنها المحبوبة الجميلة!!

أيها الحاج المُحْرِم!!

لطالما هاجت روائح محبة الله في قلبك

فرجوت لقاءه والتوفيق لزيارته

لقد خرجت من ميقات المحبة والوصال ملبِّيا دعوة الواحد الأحد، والجميل على الإطلاق، رب الأرباب، وخالق الأكوان، الذي لا يقبل في محبته محبوبا سواه

وها أنت على أبواب بيته الحرام وقد نفضت عن كاهلك محبة كل محبوب غيره

قف على الباب، وافتح عينك ترى كعبة شامخة توسطت فِناء البيت، عليها شملة سوداء، وحولها جمع غفير يطوفون على نظام واحد منذ قرون متواصلة لم ينقطع قِدَما ولن ينقطع أبدا

ترتعد فرائصك وتهتز جوانحك

وتملأ عينيك وقلبك هيبة صاحب البيت

استأذن رب البيت بالدخول استئذان العبد مولاه، وقل قول مؤمِّل فقير متذلل خاشع متضرع:

«عبيدك ببابك، أسيرك بفِنائك مسكينك بفِنائك، سائلك بفِنائك»

«يا خير من سُئِل، ويا أرحم من استُرْحِم، ارحَم ضعفي وذلي بين يديك وتضرعي إليك ووحشتي من الناس وذل مقامي ببابك»

وقم بين يدي ربك بنيّة صادقة ونفس مطمئنة وبه واثقة وله مسلِّمة وفي الإجابة عليه معتمدة

ولتكن على يقين أن صاحب البيت يقبلك ويسمع نداءك

وإذا اختلج في قلبك أنك عبد عاصي متجرئ على مولاه آبق منه، وهو الملك العظيم، وكيف مثله يقبل مثلك!! وكيف تفعل إن لم يقبلك!!

فلا تحزن، وقل بلسان حالك ومقالك:

«إلهي هل يرجع العبد الآبق إلا إلى مولاه، أم هل يجيره من سخطه أحد سواه»

ولتكن على يقين أنه يستقبلك منتظرا رجوعك إليه، لأنه عز وجل أهل العناية والرأفة والكرامة بك وبالخلق أجمعين، يفتح باب رحمته لكل من قصده وتوجه إليه، بل هو الذي ينتظرك منذ خلقك كما أوحى إلى نبيه عيسى(ع) «يا عيسى، كم أجمل النظر وأحسن الطلب والقوم في غفلة لا يرجعون»!!

يقول الشاعر (بالفارسية):

به طـواف كـعـبـه رفـتـم به حـرم رهـم نـدادنـد
كـه تـو در بـرون جـه كـردى كـه درون خانه آئى
در ديـر مـنـتـظـر مـن كـه يـكى زدر درآمـد
كـه درآ درآ عراقـى كـه تو خـاص از آن مـائى

أي: قصدت الكعبة لأطوف حولها، فمُنِعْت من دخول الحرم، وقيل لي ماذا فعلت خارج الحرم لكي تطمع أن تدخلها الآن!!

وبينما أنا أنتظر عند الباب إذا بمنادٍ يناديني ويقول: ادخل ادخل، فأنت ضيفنا ومن خواصنا!!

ربك الرؤوف الرحيم يدعوك لتدخل بيته، وهو أشد شوقا لرجوعك إليه منك له، فاسجد للحبيب وضع جبهتك على الأرض، وألصق خديك على عتبة بابه وقبِّله، واجتهد أن تدمع عيناك، وقل خاشعا متذللا:

«يا رب البيت أنا ضيفك وبباب بيتك ولكل ضيف قِرى فاجعل قراي اليوم عتق رقبتي من النار»

وجَدِّدْ الميثاقَ بَيْنَ يَدَيْهِ

أيها الحاج!!

دخلت البيت وأردت الطواف

واتجهت بخُطى خاشعة نحو مبدأ الطواف

ركن الحجر الأسود!!

أقرب الأركان إلى باب الكعبة

حجر أسود في حفاظ من فضة

وخلْق حوله مزدحم عليه

وأيادي ممدودة تتسابق لاستلامه ورؤوس مطأطئة تجهد لتقبيله

تمهل قليلا!! وتذكَّر ما في أودع الله تعالى في هذا الحجر من مواثيق العباد

آية العهد والميثاق قرأتها في كتاب الله العزيز حيث يقول عزّوجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (٢٤١)

أيها الحاج!!

ألم تكن من الذين أجابوا ربهم حين سألهم «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ» قالوا «بَلَى»!!

أنت وكل الخلق في ذلك سواء!!

الكل أجاب جوابا واحدا وهو: «بَلَى»!!

نعم، ذلك هو العهد الذي عاهدت به الحق سبحانه وتعالى، وشهدت له بالربوبية على نفسك، وبايعته على أن لا تعبد ربًّا سواه!!

فهل تتذَكَّر ذلك العهد!!

تفكر قليلا تجد نفسك تتذكّر ما كان بينك وبين ربك من عهد وميثاق يقينا مؤكدا في قلبك وكأنه كان بالأمس القريب!!

ثم افحص وانظر هل تتذكر في أي موقف كانت المشافهة وفي أي زمان!!

ترى أنه لا يحصل لك من ذلك الفحص شيء!!

ففي حين أنك لا تقدر على إنكار أصل العهد والميثاق، أنت لا تتذكر مكان أخذ العهد والميثاق وزمانه!!

أخي الحاج!!

لا تجهد نفسك في ذلك، لأن تذكُّره ونسيانه مضمون في قول مولانا الإمام الصادق$: «ثبتت المعرفة في قلوبهم ونسوا الموقف وسيذكرونه يوما»!!

فتفكَّر في أصل العهد والميثاق يكفيك

أنت الذي عهدت بالأمس عهدا واليوم تفعل خلافه

ونفسك تناديك من باطنك وتقول لك:

«أنت الذي عهدت وأنت الذي نقضت»!!

«أنت الذي وعدت وأنت الذي خالفت»!!

أما آن لك أن تسترجع سالف ذنوبك، وأن تندم على مضى من عمرك في الغفلة أشد الندم!!

هذه الندامة مقدمة للرجوع إلى الله تعالى

فارجَع - وأنت في ميدان العهد والميثاق - إلى من إليه يرجع الأمر كله

واقطع أمانيك من الدنيا، واستصغر شهواتها وملذاتها

وطهِّر ظاهرك من الذنوب وباطنك من العيوب

وتعرَّض لرحمة الله ومعروفه وبرْد عفوه وغفرانه وتحصيل رضاه، وقل:

رب إني نكثت العهد في مقام العمل، ولكني اليوم نادم وعازم أكيدا على تدارك ما فات، وها أنا أجدد العهد والبيعة معك بين يديك!!

واجعل الحجر شاهدا على ذلك، وقل:

«اللّهم أمانتي أدّيتها و ميثاقي تعاهدته لتشهد عندك لي بالموافاة»

أيُّها الماشِي إلَى عَرَفاتِ لَيْلاً

لقد سجى ليل عرفة وغشيت ظلمته وادلهمّت دياجيره والناس نيام وأنت سالك بقلبك إلى الحق تعالى في هذا الليل مسالك العارفين وسبيل المخلصين.

فاعلم أيها الطالب لمعرفة الحق أن نور يوم عرفة مبطون في ظلمة ليله

ومن الظلمة يعرف معنى النور وآثار النور وتجليات النور

وقد دعاك ربك الحق في هذه العشية إلى نفسه

والحق نور

والإدراك لا يكون إلا بالنور

فتنبّه من نومة البطّالين ورقدة الجاهلين وسبات الغافلين

ولا تكن من الذين أساؤوا الأدب مع ربهم في ادّعاءِ محبته وطلبِ الخلوة به والاستئناسِ بذكره وإذا جنَّ عليهم الليل وطلبهم ربهم وجدهم عن مجالسته نائمين وعن ذكره لاهين وعن مناجاته ساهين

ثم ارفع عن عين قلبك بُرقُعَها وافتح بصيرتك وتأهّب واستعد واقصد السفر إلى منبع النور والكمال

وضع إحدى قدميك على نفسك تجد الأخرى قد حلّت في فِناء دار اللقاء ومسكن البقاء

وتصفّح كتاب نفسك وتدبر فيه واعرفه حق المعرفة

واسجد لربك سجود من اعترف بذنبه وأقر بمعصيته

وطأطئ رأسك عن كل رفعة موهومة تقف على حقيقتك

وإذا وقفت على حقيقتك عرفت نفسك

وإذا عرفت نفسك تحققت بقول رسول الله ﷺ: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»

ومن عرف ربه نسي نفسه!!

أيها السالك إلى لقاء الحق

إن في ليل عرفة مقاما للاعتراف بظلم النفس ودسّها

ولكل مظلمة كفَّارة

وكفَّارة ظلم النفس التوبة والاستغفار والمسكنة

فاتخذ من ليل عرفة براقا تعرج به من مضائق ظلمات النفس عروج شرف وعزة

ورفرفا تصعد به إلى فسيح دار كرامة أولياء الله صعود حباء ودِعة

وتذلّل عافِراً خدك على باب الكريم راجيا عفوه ملتمسا غفرانه وأنت تقول:

«سيدي ومولاي!! عُبَيدك ببابك، فقيرك ببابك، مسكينك ببابك، أسيرك ببابك، سائلك ببابك...»!!

«يا نور النور يا منور النور يا خالق النور يا مدبر النور يا مقدر النور يا نور كل نور يا نورا قبل كل نور يا نورا بعد كل نور يا نورا ليس كمثله نور خلصنا من ظلمات أنفسنا وأوهامها بطلوع شمس عرفانك، ونجنا من قبائح أعمالنا بمعاينة أنوار جمالك، واقبلنا زائرين وافدين إلى حضرة جنابك بمحض فضلك وإحسانك آمين رب العالمين».

وصُبْحُ يومِ عَرَفَة إذا تَنَفَّس

وأدبر ليل عرفة وانفلقت ظلمته

وانصدع فجر يوم عرفة وأسفر نوره

وأقبل عليك بإقباله رَوْحٌ من رياض محبة الله ونسيمُ صبا من حدائق لطف الله

فإن كنت قد عرفت نفسك وأقررت بفقرها وعجزها وقصورها وظلمها وظلمتها فقل مع بزوغ تشعشعات الأنوار السُبُّوحية والقُدُّوسية على أفق قلبك: «اللهم عرِّفْني نفسك»

فإنه يوم الكشف الإلهي اللامع والتجلي النوراني الساطع والعلم اللدنـّي النافع

فلا تحرم نفسك خيره

واجعل قلبك عرشا لاستواء الرحمن ومتَّسَعا لحرم المَلِك المنَّان

وليكن دعاؤك في صبيحة يوم التجلّي الأعظم والفتح المبين أن يجعلك الله نورا يقذف في قلبك من نور علمه وأسراره ما يشاء

ويندرج نورك في نوره فيكون الحق سمعك وبصرك ولسانك ويدك وكل جوارحك وقواك

وقِف في عرفة موقف العارفين بالله

واعتكف على أعتاب باب المولى ولا تفارقه

فإن البيوت لا تُؤتَى إلا من أبوابها

واقرع ذلك الباب وارْقــب فتحَه

فإنه لا فاتح إلا هو

ولمّا ينفتـح لك باب الملكوت تدخل في حرم الطُّـهْر والقـدس

وتُـدْعَـى تحت قباب الوصال والأنس

وتستشم روائـح القرب الإلهي

ويتجلّى لك ربك بنوره القيُّومي وجلاله الأحدي وجماله الأزلي

وينـزِلـك مُنزلا مباركا في جنة معيَّته وجواره

ويُكْسِيك من حُلَل البهاء والكمال

ويلبسك وشاح الكرامة والجمال

وتكون أهلا للاستضافـة بين يدي حضرة الإله

في بيتٍ أمر الحق تبارك وتعالى نبيَّه بتطهيره وقال: «وطَهِّـرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِيـنَ والْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ»!!

«إلهي ما ألَذَّ خواطرَ الإلهامِ بذِكْرِك على القلوب، وما أحْلَى المَسيرَ إليك بالأوهامِ في مَسالِكِ الغُيوب، وما أطيَبَ طعْمَ حُبِّكَ، وما أعْذَبَ شِـرْبَ قُرْبِك، فأعِذْنا مِن طَرْدِك وإبْعادِك، واجْعَلْنا مِن أخَصِّ عارفيك وأصْلَحِ عِبادِك وأصْدَقِ طائعيك، يا عظيمُ يا جَليل يا كَريمُ يا مُنيلُ برحمتِك ومَنِّك يا أرحم الراحمين».

فَإذَا أفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ

قال تعالى: فَإذَا أفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّين [٢٤٧] .

أيها السالك إلى الله!!

لقد منَّ الله تعالى عليك بالوقوف بعرفات وفتح عينك وقلبك بعرفانه

وإلى جنبك ولي الله الأعظم، العارف الكامل بحق الله الذي لا يعرف الله في هذا الزمان حق معرفته إلا هو

دعوت الله وناجيته وكلّمته بكلام إمام العارفين وقطب العاشقين ومعلم المحبين وسيد الشهداء في حب رب العالمين أبي عبد الله الحسين $، الذي قال ببكاء وحنين والدموع تمطر من عينيه الكريمتين:

إلهي أنت الذي أشرَقْتَ الأنوار في قلوب أوليائك حتى عرفوك ووحَّدوك

الهوامش

مدخل في الحج وأحكامه

(١) قال الله تبارك وتعالى في سورة البقرة آية ٣٠: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً... ، وفي هذه الآية الكريمة دلالة صريحة على عظم الدور الذي أناطه الله جل اسمه بهذا المخلوق، وهو دور خلافة الخالق في أرضه، وتنفيذه لمشيئته وإرادته، ومن هنا فقد كانت الأديان السماوية المتلاحقة بعباداتها المختلفة كمناهج علمية يراد من خلالها إعداد هذا المخلوق إعدادا تربويا متعدد الأبعاد لكي يكون أهلا لهذه الخلافة والنيابة.

(٢) هذه الحقيقة الساطعة تدل على عظم الدين الإسلامي وكماله، وأنه منزَّل من الخالق الذي أحاط بكل شيء علما، فكان ما أرسل به رسولنا الأكرم محمد من نظم وأحكام متكاملة تجد فيها البشرية الدواء الناجع والمرفأ الآمن رغم تقادم الدهور ومرور العصور.

(٣) سورة آل عمران: آية ١٩

(٤) سورة الحج: آية ٢٧

(٥) ولا غرابة في ذلك، فقد روي عن الإمام علي بن أبي طالب $ في تفسيره لقوله تعالى: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (سورة آل عمران: آية ٩٦) أنه قال أن الكعبة كانت أول بيت وضع لعبادة الله تبارك وتعالى.... فكم بعث الله تبارك وتعالى من الأنبياء والمرسلين منذ ذلك الزمان وإلى مبعث رسول الله ؟!! إنه أمر لا يحتاج معه إلى دليل.

بل وقد روى العياشي في تفسيره (ج ١ ص ٦٠) عن الإمام الصادق $ قوله: «إن آدم ونوحا حجّا وسليمان بن داود قد حجّ البيت بالجن والإنس والطير والريح وحجّ موسى على جمل أحمر».

وورد في بحار الأنوار (ج٩٩ ص٦٤) قال الحلبي: سئل الإمام أبو عبدالله $ عن البيت أكان يُحَجّ قبل أن يُبعث النبي قال: «نعم، وتصديقه في القرآن قول شعيب $ حين قال لموسى $ حيث تزوج: ... عَلَى أن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ... ولم يقل ثماني سنين!!».

وروى الكليني في الكافي (ج ٤ ص ٢١٤) عن أبي جعفر $ قوله: «إن ما بين الركن والمقام لمشحون من قبور

الأنبياء#».

(٦) المحاسن: ج ١ ص ٦٤، أصول الكافي: ج ٤ ص ٢٥٨، الفقيه: ج ٢ ص ١٤٥، دعائم الإسلام: ج ١ ص ٢٣٩.

(٧) التهذيب: ج ٥ ص ٢١

بل وروى الكليني في الكافي (ج ٤ ص ٢٦٠) عن أبي عبدالله $ قوله: «حجة أفضل من عتق سبعين رقبة».

ومثله روى الشيخ الطوسي في التهذيب (ج ٥ ص ٢٢).

كما أنه روى عن أبي عبدالله $ قوله: «درهم في الحج أفضل من ألفي ألف فيما سوى ذلك في سبيل الله تعالى».

وروى الصدوق في الفقيه (ج ٢ ص ٢٢٥) أن درهما في الحج خير من ألف ألف درهم في غيره.

(٨) راجع الأبواب المختصة من الكتب الحديثة المختلفة التي أولت هذا الموضوع جانبا من الأهمية وروت جملة واسعة من هذه الأحاديث.

(٩) سورة الحج: آية ٢٧ - آية ٢٨

(١٠) قال سيد البلغاء علي بن أبي طالب $ في ذلك الصدد:

«وفرض عليكم حج بيته الحرام، الذي جعله قبلة للأنام، يردونه ورود الأنعام، ويولهون إليه ولَهَ الحمام، وجعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته، وإذعانهم لعزته، واختار من خلقه سماعا أجابوا إلى دعوته، وصدقوا كلمته، ووقفوا مواقف أنبيائه، وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه، يحرزون الأرباح في متجر عبادته، ويتبادرون عنده موعد مغفرته، جعله سبحانه وتعالى للإسلام علما وللعائذين حرما، وفرض حقه وأوجب حجه، وكتب عليه وفادته، فقال سبحانه: وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ » - (شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد): ج ١ ص ١٢٣)

وقال $ في موضع آخر:

«إن أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله سبحانه وتعالى.... وحج بيته واعتماره فإنهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب» - (شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد): ج ٧ ص ٢٢١)

وقال $ أيضا:

«ثم أمر آدم $ وولده أن يثنوا أعطافهم نحوه، فصار مثابة لمنتجع أسفارهم، وغاية لملقى رحالهم تهوي إليه ثمار الأفئدة من مفاوز قفار سحيقة، ومهاوي فجاج عميقة، وجزائر بحار منقطعة، حتى يهزوا مناكبهم ذللا يهللون لله حوله، ويرملون على أقدامهم شعثا غبرا له قد نبذوا السرابيل وراء ظهورهم وشوّهوا بإعفاء الشعور محاسن خَلْقهم ابتلاء عظيما وامتحانا شديدا واختبارا مبينا وتمحيصا بليغا جعله الله سبحانه وتعالى سببا لرحمته ووصلة إلى جنته» - (شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد): ج ١٣ ص ١٥٦)

(١١) سورة آل عمران: آية ٩٧

(١٢) سورة آل عمران: آية ٩٧

(١٣) سـورة الحـج: آيـة ٢٧

(١٤) سـورة الـبـقـرة: آيـة ١٩٦

(١٥) الـكـافـي: ج ٢ ص ١٨

(١٦) الخـصـال: ج ٢ ص ٤٤٧

(١٧) الـكـافـي: ج ٢ ص ٢٢

(١٨) شـرح نـهـج الـبـلاغـة (لابـن أبـي الحـديـد): ج ١٨ ص ٣٠

(١٩) الـكـافـي: ج ٤ ص ٢٧٢، الـتـهـذيـب: ج ٥ ص ٤٤١، الـفـقـيـه: ج ٢ ص ٤٢٠

(٢٠) الـكـافـي: ج ٤ ص ٢٧٢

(٢١) سـورة الأنـفـال: آيـة ٢٤

(٢٢) سـورة آل عـمـران: آيـة ٩٧

(٢٣) بـحـار الأنـوار: ج ٩٩ ص ١٢٤

(٢٤) بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ٢٩، عن أبي بصير قال: قلت للإمام الصادق$: ما فضلنا على من خالفنا فوالله إني لأرى الرجل منهم أرخى بالا وأنعم عيشا وأطمع في الجنة، فسكت عني حتى كنا بالأبطح من مكة ورأينا الناس يضجون إلى الله، فقال الإمام الصادق$: «ما أكثر الضجيج والعجيج وأقل الحجيج والذي بعث بالنبوة محمدا وعجّل بروحه إلى الجنة مايتقبل الله إلا منك ومن أصحابك خاصة»، قال: ثم مسح يده على وجهي فنظرت فإذا أكثر الناس خنازير وحمير وقردة إلا رجل بعد رجل.

(٢٥) مـسـتـدرك الـوسـائـل: ج ١٠ ص ١٦٦ روايـة ١١٧٧٠

(٢٦) بـحـار الأنـوار: ج ٦٧ ص ٣٣٧

(٢٧) سـورة الـتـكـاثـر: آيـة ٥ - آيـة ٧

(٢٨) فـي روايـة أخـرى مـشـابـهـة قـيـل أن الـصـحـابـي هـو حـارثـة بـن مـالـك بـن الـنـعـمـان الأنـصـاري

(٢٩) بـحـار الأنـوار: ج ٢٢ ص ١٢٦

(٣٠) الـكـافـي: ج ٤ ص ٢٧٨

(٣١) سـورة آل عـمـران: آيـة ٩٧

(٣٢) الـكـافـي: ج ٤ ص ٢٨٢، الـفـقـيـه: ج ٢ ص ٤٣٧

(٣٣) الـكـافـي: ج ٤ ص ٢٧٦، الـفـقـيـه: ج ٢ ص ٤٤٠

(٣٤) الـتـهـذيـب: ج ٥ ص ٤٢

(٣٥) الـكـافـي: ج ٤ ص ٣١٨

(٣٦) سـورة طـه: آيـة ١٢

(٣٧) سـورة آل عـمـران: آيـة ٩٧

(٣٨) بـحـار الأنـوار: ج ٤٧ ص ١٦، ج ٩٩ ص ١٨١

(٣٩) بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ٣٣٧

(٤٠) الكافي: ج ٤ ص ٣٣٢

(٤١) الكافي: ج ٤ ص ٣٢٦

(٤٢) سورة المائدة: آية ٩٥

(٤٣) سورة المائدة: آية ٩٦

(٤٤) الكافي: ج ٤ ص ٣٨١

(٤٥) سورة المائدة: آية ٩٥

(٤٦) بحار الأنوار: ج ٩٩ ص ١٧٤ (عن أبي عبدالله $: «المحرم لا يَنْكَح ولا يُنْكِح ولا يَشْهَد فإن نكح فنكاحه باطل». التهذيب: ج ٥ ص ٣٣٠)

(٤٧) الكافي: ج ٤ ص ٣٥٧

(٤٨) التهذيب: ج ٥ ص ٣٠١

(٤٩) سورة البقرة: آية ١٩٧

(٥٠) الكافي: ج ٤ ص ٣٤٣

(٥١) الكافي: ج ٤ ص ٣٤٩

(٥٢) الكافي: ج ٤ ص ٣٥٣. التهذيب: ج ٥ ص ٣٠٧

(٥٣) التهذيب: ج ٥ ص ٣١٣. الاستبصار: ج ٢ ص ١٨٧

(٥٤) الكافي: ج ٤ ص ٣٦٠

(٥٥) التهذيب: ج ٥ ص ٣٣٢. الاستبصار: ج ٢ ص ١٩٤

(٥٦) التهذيب: ج ٥ ص ٣٦٩

(٥٧) التهذيب: ج ٥ ص ٣٨٧

(٥٨) تنهنه: انزجر من الاضطراب والحركة

(٥٩) بحار الأنوار: ج ١٠ ص ١٢٢ (الآية من سورة فاطر: آية ١٠)

(٦٠) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٣٥٩

(٦١) بحار الأنوار: ج ٥٨ ص ٣٩

(٦٢) نفس المصدر

(٦٣) بحار الأنوار: ج ٨٣ ص ١٠

(٦٤) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٩٢

(٦٥) سورة آل عمران: آية ٩٧

(٦٦) بحار الأنوار: ج ٩٠ ص ١٧٦

(٦٧) سورة الحج: آية ٢٦

(٦٨) سورة الحج: آية ٢٩

(٦٩) بحار الأنوار: ج ٥٨ ص ٥ (نقلا عن الفقيه وعلل الشرائع)

(٧٠) بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ٥

(٧١) سورة البقرة: آية ١١٥

(٧٢) سورة سبأ: آية ١٣

(٧٣) سورة آل عمران: آية ٩٦

(٧٤) التهذيب: ج ٥ ص ١٥٤

(٧٥) التهذيب: ج ٥ ص ١١٨

(٧٦) الفقيه: ج ٢ ص ٤٠٠

(٧٧) التهذيب: ج ٥ ص ١٢٦

(٧٨) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٢٧٣

(٧٩) الكافي: ج ٤ ص ٤١٩، الفقيه: ج ٢ ص ٣٩٨

(٨٠) التهذيب: ج ٢ ص ٣٥٢

(٨١) سورة الحجر: آية ٩٩

(٨٢) سورة الحجر: آية ٩

(٨٣) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ١٨٦

(٨٤) بحار الأنوار: ج ٦٩ ص ٢٨٨

(٨٥) سورة الأنعام: آية ١٢٢

(٨٦) بحار الأنوار: ج ٢ ص ١٥٢

(٨٧) بحار الأنوار: ج ١ ص ٢٠٣

(٨٨) سورة المؤمنون: آية ٩١، سورة الصافات: آية ١٥٩

(٨٩) سورة الصافات: آية ١٠٢

(٩٠) شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد): ج ١١ ص ٥

(٩١) بحار الأنوار: ج ١٠ ص ٩٦

(٩٢) سورة البقرة: آية ٣٠

(٩٣) سورة المعارج: آية ١٩ - آية ٢٢

(٩٤) سورة الروم: آية ٣٠

(٩٥) سورة الضحى: آية ١١

(٩٦) سورة المؤمنون: آية ٨، سورة المعارج: آية ٣٢

(٩٧) سورة يس: آية ٦٠

(٩٨) سورة العنكبوت: آية ٤٥

(٩٩) سورة البقرة: آية ١٥٦

(١٠٠) سورة النحل: آية ١٢٠

(١٠١) مقتبس من بحار الأنوار: ج ٨٢ ص ٢٤٨

(١٠٢) سورة مريم: آية ٥٤

(١٠٣) سورة الصافات: آية ١٠٢

(١٠٤) الكافي: ج ٤ ص ٢٠٨

(١٠٥) سورة إبراهيم: آية ٣٧

(١٠٦) مقتبس من الكافي: ج ٤ ص ٤١٩

(١٠٧) سورة الأعراف: آية ١٧٢

(١٠٨) بحار الأنوار: ج ٩٩ ص ٢٢٧

(١٠٩) الكافي: ج ٤ ص ١٨٤

(١١٠) علل الشرائع: ص ٤٢٤ باب ١٦١

(١١١) بحارالأنوار: ج ٩٩ ص ٤٨

(١١٢) الكافي: ج ٤ ص ١٨٤

(١١٣) بحار الأنوار: ج ٩٩ ص ٢٢٠

(١١٤) سورة البقرة: آية ١٢٥

(١١٥) الكافي: ج ٤ ص ٤٢٣

(١١٦) الكافي: ج ٤ ص ٤٢٤

(١١٧) علل الشرائع: ص ٤٢٣ باب ١٦٠

(١١٨) سورة البقرة: آية ١٢٤

(١١٩) سورة النساء: آية ١٢٥. ورد في عيون أخبار الرضا$ أنه قال: «سمعت أبي يحدث عن أبيه$ أنه قال: إنما اتخذ الله إبراهيم خليلا لأنه لم يردْ أحدا ولم يسأل أحدا قط غير الله عز وجل».

(١٢٠) عن أبي عبدالله الصادق$ أنه قال: «إن الله تعالى اتخذ إبراهيم عبدا قبل أن يتخذه نبيا وأن الله اتخذه نبيا قبل أن يتخذه رسولا وأن الله اتخذه رسولا قبل أن يتخذه خليلا وأن الله اتخذه خليلا قبل أن يتخذه إماما فلما جمع له الأشياء قال ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾ قال: «فمن عظمها في عين إبراهيم$ قال: ومن ذريتي ؟! قال لا ينال عهدي الظالمين!!» - (بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ٢٠٥)

(١٢١) سورة الصافات: آية ١٠٧

(١٢٢) بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٣١٤

(١٢٣) سورة البقرة: آية ١٢٤

(١٢٤) بحار الأنوار: ج ٣٨ ص ٨٤
(١٢٥) بحار الأنوار: ج ٣٦ ص ٢٩٦
(١٢٦) التهذيب: ج ٥ ص ١٥٠
(١٢٧) التهذيب: ج ٥ ص ١٥٤، الاستبصار: ج ٢ ص ٢٤١
(١٢٨) الكافي: ج ٤ ص ٤٣٨، التهذيب: ج ٥ ص ١٥٤
(١٢٩) الكافي: ج ٤ ص ٤٣٧، التهذيب: ج ٥ ص ١٥٥
(١٣٠) التهذيب: ج ٥ ص ٤٧١
(١٣١) التهذيب: ج ٥ ص ١٥١، الاستبصار: ج ٢ ص ٢١٧
(١٣٢) الكافي: ج ٤ ص ٤٣٤
(١٣٣) الكافي: ج ٤ ص ٤٣٤
(١٣٤) علل الشرائع: ص ٤٣٢ باب ١٦٦
(١٣٥) سورة النجم: آية ٣٩
(١٣٦) سورة البقرة: آية ١٥٨
(١٣٧) بحار الأنوار: ج ٢٣ ص ٢٠٦
(١٣٨) سورة الأعراف: آية ١٥٧
(١٣٩) شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد): ج ١٥ ص ١٤٣
(١٤٠) سورة التحريم: آية ٨
(١٤١) الكافي: ج ٤ ص ٤٥٤
(١٤٢) الفقيه: ج ٢ ص ٤٧١، التهذيب: ج ٥ ص ٢٩٠، الاستبصار: ج ٢ ص ٣٠٣
(١٤٣) الكافي: ج ٤ ص ٢٥٧
(١٤٤) الكافي: ج ٤ ص ٦٦
(١٤٥) بحار الأنوار: ج ٩٩ ص ٢٤٨
(١٤٦) الكافي: ج ٤ ص ٢٥٦
(١٤٧) ثواب الأعمال: ص ٧١
(١٤٨) أمالي الصدوق: ص ١٨٧
(١٤٩) الفقيه: ج ٢ ص ٢١١
(١٥٠) الفقيه: ج ٢ ص ٢١١
(١٥١) بحار الأنوار: ج ٤ ص ٤٢
(١٥٢) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٢٢١
(١٥٣) بحار الأنوار: ج ٧٧ ص ١٨٣

(١٥٤) بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٢٦٥

(١٥٥) بحار الأنوار: ج ٦٧ ص ١٣٧

(١٥٦) بحار الأنوار: ج ٢ ص ٣٢

(١٥٧) سورة الحج: آية ٥

(١٥٨) سورة القصص: آية ٨٨

(١٥٩) بحار الأنوار: ج ٤ ص ٣

(١٦٠) بحار الأنوار: ج ٤ ص ٣

(١٦١) بحار الأنوار: ج ٢٤ ص ١١٤

(١٦٢) سورة الصافات: آية ١٠٣

(١٦٣) سورة الصافات: آية ١٠٧

(١٦٤) بحار الأنوار: ج ١٠١ ص ٧٦

(١٦٥) التهذيب: ج ٦ ص ٤٩

(١٦٦) بحار الأنوار ج ١٠١ ص ٣٦

(١٦٧) بحار الأنوار: ج ٤ ص ٥٢

(١٦٨) بحار الأنوار: ج ٥ ص ٣١٢

(١٦٩) سورة البقرة: آية ١٩٨

(١٧٠) الكافي: ج ٤ ص ص ٤٧١

(١٧١) علل الشرائع: ص ٤٣٦ باب ١٧٥، بحار الأنوار: ج ١٢ ص ١٠٩

(١٧٢) علل الشرائع: ص ٤٣٦ باب ١٧٥، بحار الأنوار: ج ٩٩ ص ٢٦٦

(١٧٣) علل الشرائع: ص ٤٣٧ باب ١٧٦، بحار الأنوار: ج ٩٩ ص ٢٦٦

(١٧٤) علل الشرائع: ص ٤٤٣ باب ١٩٠

(١٧٥) الفقيه: ج ٢ ص ٢١٣

(١٧٦) سورة البقرة: آية ١٩٨

(١٧٧) الكافي: ج ٤ ص ٤٧٣

(١٧٨) الكافي: ج ٤ ص ٤٧٣

(١٧٩) الكافي: ج ٤ ص ٤٧٤

(١٨٠) سورة الزمر: آية ٩

(١٨١) سورة الإسراء: آية ١

(١٨٢) سورة الأعراف: آية ١٤٢

(١٨٣) بحار الأنوار: ج ٩١ ص ١٢٢

(١٨٤) سورة يوسف: آية ٩٨

(١٨٥) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٢٥

(١٨٦) سورة يس: آية ٤٠

(١٨٧) الفقيه: ج ٢ ص ١٩٧

(١٨٨) علل الشرائع: ص ٤٣٥ باب ١٧٢

(١٨٩) الكافي: ج ٤ ص ٢٦٢

(١٩٠) الكافي: ج ٤ ص ٢٥٦

(١٩١) المحاسن: ص ٦٦

(١٩٢) الكافي: ج ٤ ص ٤٨٠

(١٩٣) الكافي: ج ٤ ص ٢٦١

(١٩٤) الفقيه: ج ٢ ص ٢١٤

(١٩٥) الفقيه: ج ٢ ص ٢١٤

(١٩٦) علل الشرائع: ص ٤٣٧ باب ١٧٧

(١٩٧) الفقيه: ج ٢ ص ٢٠٠

(١٩٨) بحار الأنوار: ج ١٢ ص ١٠٢

(١٩٩) سورة الأحزاب: آية ٦٢

(٢٠٠) سورة البقرة: آية ١٩٦

(٢٠١) سورة الحج: آية ٣٦ - آية ٣٧

(٢٠٢) علل الشرائع: ص ٤٤٠ باب ١٨٣

(٢٠٣) المحاسن: ص ٦٧

(٢٠٤) المحاسن: ص ٦٧

(٢٠٥) سورة البقرة: آية ١٩٦

(٢٠٦) سورة الصافات: آية ١٠٣ - آية ١٠٦

(٢٠٧) سورة القيامة: آية ١٤

(٢٠٨) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٦٥

(٢٠٩) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٧١

(٢١٠) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٧٢

(٢١١) سورة البقرة: آية ١٩٦

(٢١٢) الكافي: ج ٤ ص ٥٠٢، الفقيه: ج ٢ ص ٥٠٧

(٢١٣) التهذيب: ج ٥ ص ٢٤٠

(٢١٤) الكافي: ج ٤ ص ٥٠٢

(٢١٥) الفقيه: ج ٢ ص ٥٠٧

(٢١٦) سورة البقرة: آية ٢٠٣

(٢١٧) سورة الحج: آية ٢٨

(٢١٨) الكافي: ج ٤ ص ٥١٤

(٢١٩) الكافي: ج ٤ ص ٢٦٤

(٢٢٠) الكافي: ج ٤ ص ٤٨٠

(٢٢١) سورة المعارج: آية ٢٠

(٢٢٢) سورة البقرة: آية ٢٥٦

(٢٢٣) سورة الحجر: آية ٣٩ - آية ٤٠

(٢٢٤) سورة الحج: آية ٢٩

(٢٢٥) بحار الأنوار: ج ٢٤ ص ٣٦٠

(٢٢٦) سورة الحج: آية ٢٩

أدعية الحج

(٢٢٧) جمع: هو اسم للمشعر الحرام

الزيارات

(٢٢٨) الكافي: ج ٥ ص ٥٥٠، الفقيه: ج ٢ ص ٥٥٨

(٢٢٩) التهذيب: ج ٥ ص ٤٣٩، الاستبصار: ج ٢ ص ٣٢٩، الفقيه: ج ٢ ص ٥٥٨

(٢٣٠) الكافي: ج ٤ ص ٥٤٨، الفقيه: ج ٢ ص ٥٦٥، التهذيب: ج ٦ ص ٤

(٢٣١) الكافي: ج ٤ ص ٥٤٨

(٢٣٢) الكافي: ج ٤ ص ٥٤٨

(٢٣٣) التهذيب: ج ٦ ص ٣

(٢٣٤) التهذيب: ج ٦ ص ٣

(٢٣٥) الكافي: ج ٤ ص ٥٦٧، التهذيب: ج ٦ ص ٧٨، ص ٩٣، الفقيه: ج ٢ ص ٥٧٧

(٢٣٦) الكافي: ج ٤ ص ٥٧٩، ص ٥٨٥، التهذيب: ج ٦ ص

(٢٣٧) كامل الزيارات: ص ١١

(٢٣٨) المزار الكبير: ص ٥

(٢٣٩) التهذيب: ج ٦ ص ٧٨

(٢٤٠) التهذيب: ج ٦ ص ٧٨

(٢٤١) الكافي: ج ٤ ص ٥٦٠

(٢٤٢) كامل الزيارات: ص ٢٥

(٢٤٣) الكافي: ج ٤ ص ٥٦٦، التهذيب: ج ٦ ص ١٨، الفقيه: ج ٢ ص ٥٥٩

(٢٤٤) الكافي: ج ٤ ص ٥٦٧، التهذيب: ج ٦ ص ١٨

(٢٤٥) قال رسول الله : «من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله جل جلاله»!!

(٢٤٦) سورة الأعراف: آية ١٧٣

(٢٤٧) سورة البقرة: آية ١٩٨

(٢٤٨) سورة البقرة: آية ١٩٩

فهرس المحتويات

أدعية الحج
١٣٣

الزيارات
١٥٣

الهوامش
١٧٥

فهرس المحتويات
١٨٩

مؤلفات السيّد الدّيباجيّ الالكترونية

١ - سيماء الأولياء وكراماتهم (ج٢)
٢ - حقوق الإنسان في الإسلام
٣ - حقوق المرأة في الإسلام
٤ - السيدة خديجة¢: مقاومة، إيثار، أسطورة
٥ - نفحات الرحمن في منازل العرفان (ج١)
٦ - نفحات الرحمن في منازل العرفان (ج٢)
٧ - القصص القرآنية (ج١)
٨ - القصص القرآنية (ج٢)
٩ - القصص القرآنية (ج٣)
١٠ - القصص القرآنية (ج٤)
١١ - القصص القرآنية (ج٥)
١٢ - التوحيد، دراسة معاصرة، الحلقة الأولى من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٣ - النبوة، دراسة معاصرة، الحلقة الثانية من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٤ - العدل، دراسة معاصرة، الحلقة الثالثة من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٥ - الإمامة، دراسة معاصرة، الحلقة الرابعة من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٦ - المعاد يوم القيامة، دراسة معاصرة، الحلقة الخامسة من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٧ - منتقى الدرر في سيرة المعصومين الأربعة عشر# (ج١)
١٨ - منتقى الدرر سيرة المعصومين الأربعة عشر# (ج٢)
١٩ - منتقى الدرر سيرة المعصومين الأربعة عشر# (ج٣)
٢٠ - الفتنة العظمى، سلسلة دراسات تأريخية
٢١ - مظاهر الفرقة بين المسلمين وعلاجها
٢٢ - الإمام المهدي$: الحقيقة المنتظرة
٢٣ - حوار حول الإمام المهدي (عج)
٢٤ - العباس بن علي$ بطل النهضة الحسينية
٢٥ - زينب الكبرى¢: بطلة الحرية
٢٦ - الحج: أحكاماً وفلسفة ودعاء
٢٧ - أجوبتنا على مسائلكم الدينية
٢٨ - رسالة عقائدية (ردّ على كتاب الشيعة والتصحيح للدكتور الموسوي)
٢٩ - الروضة المنتخبة
٣٠ - أجود المناظرات (تحت إشراف المؤلف)
٣١ - القصص الهادفة من سيرة المعصومين الأربعة عشر
٣٢ - أنصار الإمام الحسين$
٣٣ - فضائل ومناقب علي$ وفاطمة¢ في مسانيد أهل السنة (ج١)
٣٤ - فضائل ومناقب علي$ وفاطمة¢ في مسانيد أهل السنة (ج٢)
٣٥ - قصص المثنوي
٣٦ - خطر الأفيون
٣٧ - زيارة الإمام الرضا سلام الله عليه